

## البرهان في علوم القرآن

الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم النوع الثاني والثلاثون معرفة أحكامه

وقد اعتنى بذلك الأئمة وأفردوه وأولهم الشافعي ثم تلاه من أصحابنا ألكيا الهراسي ( 1 ) ومن الحنفية أبو بكر الرازي ( 2 ) ومن المالكية القاضي إسماعيل ( 3 ) وبكر بن العلاء القشيري ( 4 ) وابن بكير ومكي وابن العربي ( 5 ) وابن الفرس ( 6 ) ومن الحنابلة القاضي أبو يعلى الكبير ( 7 ) ثم قيل إن آيات الأحكام خمسمائة آية وهذا ذكره الغزالي وغيره وتبعهم الرازي ولعل مرادهم المصريح به فإن آيات القصص والأمثال وغيرها يستنبط منها كثير من الأحكام ومن أراد الوقوف على ذلك فليطالع كتاب الإمام الشيخ عز الدين بن عبد السلام

ثم هو قسمان أحدهما ما صرح به في الأحكام وهو كثير وسورة البقرة والنساء والمائدة والأنعام مشتملة على كثير من ذلك والثاني ما يؤخذ بطريق الاستنباط ثم هو على قسمين ( 1 )

أحدهما ما يستنبط من غير ضمنية إلى آية أخرى كاستنباط الشافعي تحريم الاستمناء باليد من قوله تعالى ( إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ( 1 إلى قوله ) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ( 2 ) واستنباط صحة أنكحة الكفار من قوله تعالى ( امرأة فرعون ( 3 ) وامرأته حمالة الحطب ( 4 ) ونحوه واستنباطه عتق الأصل والفرع بمجرد الملك من قوله تعالى ( وما ينبغي للرجمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ( 5 فجعل العبودية منافية للولادة حيث ذكرت في مقابلتها فدل على أنهما لا يجتمعان واستنباطه حجية الإجماع من قوله ( ويتبع غير سبيل المؤمنين ( 6 ) واستنباطه ( 7 ) صحة صوم الجنب من قوله

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

تعالى ) فالآن باشروهن ( إلى قوله ) حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ( 8 فدل على جواز الوقاء في جميع الليل ويلزم منه تأخير الغسل إلى النهار وإلا لوجب أن يحرم الوطاء إلى آخر جزء من الليل بمقدار ما يقع ( 9 ) الغسل فيه

والثاني ما يستنبط مع ضميمة آية أخرى كاستنباط علي وابن عباس رضي الله عنهما أن أقل الحمل ستة أشهر من قوله تعالى ) وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ( 1 مع قوله ) وفصاله في عامين ( 2 وعليه جرى الشافعي واحتج بها أبو حنيفة على أن أكثر الرضاع سنتان ونصف ( ثلاثون شهرا ) ووجهه أن الله تعالى قدر لشيئين مدة واحدة فانصرفت المدة بكمالها إلى كل واحد منهما فلما قام النص في أحدهما بقي الثاني ( 3 ) على أصله ومثل ذلك بالأجل الواحد للدينين فإنه مضروب بكماله لكل واحد منهما وأيضا فإنه لا بد من اعتبار مدة يبقى فيها الإنسان بحيث يتغير الغذاء فاعتبرت مدة يعتاد الصبي فيها غذاء طبيعيا غير اللبن ومدة الحمل قصيرة فقدمت الزيادة على الحولين

فإن قيل العادة الغالبة في مدة الحمل تسعة أشهر وكان المناسب في مقام الإمتنان ذكر الأكثر المعتاد لا الأقل النادر كما في جانب الفصال

قلنا لأن هذه المدة أقل مدة الحمل ولما كان الولد لا يعيش غالبا إذا وضع لسته أشهر كانت مشقة الحمل في هذه المدة موجودة لا محالة في حق كل مخاطب فكان ذكره أدخل في باب المناسبة بخلاف الفصال لأنه لا حد لجانب القلة فيه بل يجوز أن يعيش الولد بدون ارتضاع من الأم ولهذا اعتبر فيه الأكثر لأنه الغالب ولأنه اختياري كأنه قيل حملته ستة أشهر لا محالة إن لم تحمله أكثر

ومثله استنباط الأصوليين أن تارك الأمر يستحق العقاب من قوله تعالى ) أف عصيت أمري ( 4 مع قوله ) ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم ( 5 وكذلك

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

استنباط بعض المتكلمين أن الله خالق لأفعال العباد من قوله تعالى ( وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ( 1 مع قوله تعالى ) وربك يخلق ما يشاء ويختار ( 2 فإذا ثبت أنه يخلق ما يشاء وأن مشيئة العبد لا تحصل إلا إذا شاء الله أنتج أنه تعالى خالق لمشيئة العبد فائدة في ضرورة معرفة المفسر قواعد أصول الفقه  
ولا بد من معرفة قواعد أصول الفقه فإنه من أعظم الطرق في استثمار الأحكام من الآيات  
فيستفاد عموم النكرة في سياق النفي من قوله تعالى ( ولا يظلم ربك أحدا ( 3 وقوله ) فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ( 4  
وفي الإستفهام من قوله ) هل تعلم له سميا ( 5  
وفي الشرط من قوله ) فإما ترين من البشر أحدا ( 6 ) وإن أحد من المشركين استجارك ( 7  
وفي النهي من قوله ) ولا يلتفت منكم أحد ( 8  
وفي سياق الإثبات بعموم القلة المقتضى من قوله ) علمت نفس ما أحضرت ( 9  
وقوله ) ونفس وما سواها ( 1 وإذا أضيف إليها ( كل ) نحو ) وجاءت كل نفس ( 2  
ويستفاد عموم المفرد المحلى باللام من قوله ) إن الإنسان لفي خسر ( 3 ) وسيعلم الكفار ( 4 ) ويقول الكافر ( 5  
وعموم المفرد المضاف من قوله ) وصدقت بكلمات ربها وكتبه ( 6 وقوله ) هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ( 7 والمراد جميع الكتب التي اقتضت فيها أعمالهم  
وعموم الجمع المحلى باللام في قوله ) وإذا الرسل أقتت ( 8  
وقوله ) وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ( 9 وقوله ) إن المسلمين والمسلمات ( 10 إلى آخرها  
والشرط من قوله ) ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ( 11 وقوله ) فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ( 12 وقوله ) وما تفعلوا من خير يعلمه الله ( 13 )  
أيما تكونوا يدرككم الموت ( 14 وقوله ) وحيث ما كنتم فولوا

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وجوهكم شطره ( 15 وقوله ) وإذا رأيت الذين يخوضون في  
آياتنا فأعرض عنهم )  
1 وقوله ( وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم )  
2  
هذا إذا كان الجواب طلبا مثل هاتين الآيتين فإن كان ماضيا لم  
يلزم العموم  
وكقوله ( وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها ( 3 و ) إذا جاءك  
المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ( 4 وإن كان مستقبلا  
فأكثر موارده للعموم كقوله ) وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون  
( 5 وقوله ) وإذا مروا بهم يتغامزون ( 6 وقوله ) إنهم كانوا إذا  
قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ( 7  
وقد لا يعم كقوله ) وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ( 8  
ويستفاد كون الأمر المطلق للوجوب من ذمه لمن خالفه  
وتسميته إياه عاصيا وترتيبه العقاب العاجل أو الآجل على فعله  
ويستفاد كون النهي من ذمه لمن ارتكبه وتسميته عاصيا  
وترتيبه العقاب على فعله  
ويستفاد الوجوب بالأمر بالتصريح بالإيجاب والفرض والكتب  
ولفظة ( على ) ولفظة ( حق على العباد ) و ( على المؤمنين )  
وترتيب الذم والعقاب على الترك وإحباط العمل بالترك وغير  
ذلك  
ويستفاد التحريم من النهي والتصريح بالتحريم والحظر  
والوعيد على الفعل وذم الفاعل وإيجاب الكفارة وقوله ( لا  
ينبغي ) فإنها في لغة القرآن والرسول للمنع شرعا أو عقلا  
ولفظة ( ما كان لهم كذا وكذا ) و ( لم يكن لهم ) وترتيب الحد  
على  
الفعل ولفظة ( لا يحل ) و ( لا يصلح ) ووصف الفعل بأنه فساد  
أو من تزيين الشيطان وعمله وأن الله لا يحبه وأنه لا يرضاه  
لعباده ولا يركي فاعله ولا يكلمه ولا ينظر إليه ونحو ذلك  
ويستفاد الإباحة من الإذن والتخيير والأمر بعد الحظر ونفي  
الجناح والحرث والإثم والمؤاخذه والإخبار بأنه يعفو عنه  
وبالإقرار على فعله في زمن الوحي وبالإنكار على من حرم

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الشيء والإخبار بأنه خلق لنا وجعله لنا وامتنانه علينا به وإخباره عن فعل من قبلنا له غير ذام لهم عليه فإن اقترن بإخباره مدح دل على رجحانه استحبابا أو وجوبا فصل ويستفاد التعليل من إضافة الحكم إلى الوصف المناسب كقوله تعالى ( والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ( 1 ) الزانية والزاني فاجلدوا ( 2 ) فكما يفهم منه وجوب الجلد والقطع يفهم منه كون السرقة والزنا علة وأن الوجوب كان لأجلهما مع أن اللفظ من حيث النطق لم يتعرض لذلك بل يتبادر إلى الفهم من فحوى الكلام

وكذلك قوله تعالى ( إن الأبرار لفي نعيم ( أي لبرهم ) وإن الفجار لفي جحيم ( 3 ) أي لفجورهم

وكذا كل كلام خرج مخرج الذم والمدح في حق العاصي والمطيع وقد يسمى هذا في علم الأصول لحن الخطاب فصل

وكل فعل عظمه الله ورسوله أو مدحه أو مدح فاعله لأجله أو أحبه أو أحب فاعله أو رضى ( 1 ) به أو رضى عن فاعله أو وصفه بالطيب أو البركة أو الحسن أو نصبه سببا لمحبه أو لثواب عاجل أو أجل أو نصبه سببا لذكره لعبده أو لشكره له أو لهديته إياه أو لإرضاء فاعله أو لمغفرة ذنبه وتكفير سيئاته أو لقبوله أو لنصرة فاعله أو بشارته فاعله أو وصف فاعله بالطيب أو وصف الفعل بكونه معروفا أو نفي الحزن والخوف عن فاعله أو وعده بالأمن أو نصبه سببا لولايته أو أخبر عن دعاء الرسول بحصوله أو وصفه بكونه قربة أو أقسم به وبفاعله كالقسم بخيل المجاهدين وإغارتها فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب فصل

وكل فعل طلب الشرع تركه أو ذم فاعله عتب عليه أو لعنه أو مقت فاعله أو نفي محبه إياه أو محبة فاعله أو نفي الرضا به أو الرضا عن فاعله أو شبه فاعله بالبهائم أو بالشياطين أو جعله مانعا من الهدى أو من القبول أو وصفه بسوء أو كراهة أو استعاز الأنبياء منه أو أبغضوه أو جعل سببا لنفي الفلاح أو لعذاب عاجل أو أجل أو لدم أو لوم أو ضلالة أو معصية أو

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وصف بخبث أو رجس أو بخس أو بكونه فسقا أو إثما أو سببا  
لإثم أو رجس أو غضب أو زوال نعمة أو حلول نقمة أو حد من  
الحدود أو قسوة أو خزي أو امتهان نفس أو لعداوة الله  
ومحاربتة و الاستهزاء به أو سخريته أو جعله الرب سببا لنسيانه  
لفاعله أو وصف نفسه بالصبر عليه أو بالحلم أو بالصفح عنه أو  
دعا إلى التوبة منه أو وصف فاعله بخبث أو احتقار أو نسبه إلى  
عمل الشيطان وتزيينه أو تولى الشيطان لفاعله أو وصف  
بصفة ذم مثل كونه ظلما أو بغيا أو عدوانا أو إثما أو تبرأ الأنبياء  
منه أو من فاعله أو شكوا إلى الله من فاعله أو جأهروا فاعله  
بالعداوة أو نصب سببا لخيبة فاعله عاجلا أو آجلا أو ترتب عليه  
حرمان من الجنة أو وصف فاعله بأنه عدو لله أو أعلم فاعله  
بحرب من ( 1 ) الله ورسوله أو حمل فاعله إثم غيره أو قيل  
فيه ( لا ينبغي هذا ) و ( لا يصلح ) أو أمر بالتقوى عند السؤال  
عنه أو أمر بفعل يضاده أو هجر فاعله أو يلاعن في الآخرة أو  
يتبرأ بعضهم من بعض أو وصف صاحبه بالضلالة أو أنه ليس من  
الله في شيء أو أنه ليس من الرسول وأصحابه أو قرن بمحرم  
ظاهر التحريم في الحكم أو أخبر ( 2 ) عنهما بخبر واحد أو  
جعل اجتنابه سببا للفلاح أو جعله سببا لإيقاع العداوة والبغضاء  
بين المسلمين أو قيل لفاعله ( هل أنت منته ) أو نهى الأنبياء  
عن الدعاء لفاعله أو رتب عليه أبعادا وطرادا أو لفضة ( قتل  
من فعله ) أو ( قاتل الله من فعله ) أو أخبر أن فاعله لا يكلمه  
الله يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه أو أن الله لا يصلح عمله  
أو لا يهدي كيده أو أن فاعله لا يفلح أو لا يكون في القيامة من  
الشهداء ولا من الشفعاء أو أن الله تعالى يغار من فعله أو نبه  
على وجود المفسدة فيه أو أخبر أنه لا يقبل من فاعله صرفا  
ولا عدلا أو أخبر أن من فعله قبيح له الشيطان فهو له قرين أو  
جعل الفعل سببا لإزاعة الله قلب فاعله أو صرفه عن آيات الله  
وفهم الآية وسؤاله

سبحانه عن علة الفعل نحو ) لم تصدون عن سبيل الله من  
أمن ( 1 ) لم تلبسون الحق بالباطل ( 2 ) ما منعك أن تسجد )  
( 3 ) لم تقولون ما لا تفعلون ( 4 ) ما لم يقترن به جواب عن

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

السؤال فإذا قرن به جواب كان بحسب جوابه  
وأما لفظ ( يكرهه الله ورسوله ) وقوله ( عند ربك مكروها ) 5  
فأكثر ما يستعمل في المحرم وقد يستعمل في كراهة التنزيه  
وأما لفظ ( أما أنا فلا أفعل ) فالمحقق فيه الكراهة كقوله ( أما  
أنا فلا آكل متكئا ) وأما لفظ ( ما يكون لك ) و ( ما يكون لنا )  
فاطرد استعمالها في المحرم نحو ( فما يكون لك أن تتكبر فيها  
( 6 ) وما يكون لنا أن نعود فيها ( 7 ) ما يكون لي أن أقول ما  
ليس لي بحق ( 8 ) فصل

وتستفاد الإباحة من لفظ الإحلال ورفع الجناح والإذن والعفو و  
( إن شئت فافعل ) و ( إن شئت فلا تفعل ) ومن الإمتنان بما  
في الأعيان من المنافع وما يتعلق بها  
الأفعال نحو ( ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ) ( 1 )  
وبالنجم هم يهتدون ( 2 ) ومن السكوت عن التحريم ومن  
الإقرار على الفعل في زمن الوحي وهو نوعان  
إقرار الرب تعالى وإقرار رسوله إذا علم الفعل فمن إقرار  
الرب قول جابر ( كنا نعزل والقرآن ينزل ) ومن إقرار رسوله  
قول حسان ( كنت أنشد وفيه من هو خير منك ) فائدة  
قوله تعالى ( يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا  
واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ) ( 3 ) جمعت أصول  
أحكام الشريعة كلها فجمعت الأمر والنهي والإباحة والتخيير  
فائدة

تقديم العتاب على الفعل من الله تعالى يدل على تحريمه فقد  
عاتب الله سبحانه في خمسة مواضع من كتابه في الأنفال ( 4 )  
وبراءة ( 5 ) والأحزاب ( 6 ) والتحريم ( 7 )  
وعبس ( 1 ) خلافا للشيخ عز الدين بن عبد السلام حيث جعل  
العتب من أدلة النهي فائدة  
لا يصح الإمتنان بممنوع عنه خلافا لمن زعم أنه يصح ويصرف  
الإمتنان إلى خلقه للصبر عليهم فائدة  
التعجب كما يدل على محبة الله للفعل نحو ( عجب ربك من  
شاب ليست له صبوة ) و ( تعجب ربك من رجل ثار من فراشه  
ووطئه إلى الصلاة ) ونحو ذلك فقد يدل على بغض الفعل

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

كقوله ) وإن تعجب فعجب قولهم ( 2 وقوله ) بل عجت ويسخرون ( 3 وقوله ) كيف تكفرون بالله ( 4 ) وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ( 5 ) وقد يدل على امتناع الحكم وعدم حسنه كقوله ) كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ( 6 ) ويدل على حسن المنع منه وأنه لا يليق به فعله كقوله ) كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم ( 7 ) قاعدة في الإطلاق والتقييد ( 1 ) إن وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه وإلا فلا والمطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب والضابط أن الله تعالى إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقا نظر فإن لم يكن له أصل يرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به وإن كان له أصل غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر فالأول مثل اشتراط الله العدالة في الشهود على الرجعة والفراق والوصية وإطلاقه الشهادة في البيوع وغيرها والعدالة شرط في الجميع ومنه تقييد ميراث الزوجين بقوله ) من بعد وصية يوصين بها أو دين ( 2 ) وإطلاقه الميراث فيما أطلق فيه وكان ما أطلق من الموارد كلها بعد الوصية والدين وكذلك ما اشترط في كفارة القتل من الرقبة المؤمنة وأطلقها في كفارة الظهر واليمين والمطلق كالمقيد في وصف الرقبة وكذلك تقييد الأيدي إلى المرافق في الوضوء وإطلاقه في التيمم وكذلك ) ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ( 3 فأطلق الإحباط عليه وعلقه بنفس الردة ولم يشترط الموافاة عليه و قال في الآية الأخرى ) ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم ( 1 ) وقيد الردة بالموت عليها و الموافاة على الكفر فوجب رد الآية المطلقة إليها وألا يقضي بإحباط الأعمال إلا بشرط



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الموافاة عليها و هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وإن كان قد تورع في هذا التقرير ومن هذا الإطلاق تحريم الدم و تقييده في موضع آخر بالمسفوح و قوله ) فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ( 2 وقال في موضع آخر ) منه ( 3 و قوله ) من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ( 4 فإنه لو قيل نحن نرى من يطلب الدنيا طلبا حثيثا و لا يحصل له منها شيء قلنا قال الله تعالى ) من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ( 5 فعلق ما يريد بالمشيئة والإرادة ومثله قوله تعالى ) أجب دعوة الداع إذا دعان ( وقوله ) ادعوني أستجب لكم ( 7 فإنه معلق تنبيهه اختلف الأصوليون في أن حمل المطلق على المقيد هل هو من وضع اللغة أو بالقياس على مذهبين و الأولون يقولون العرب من مذهبها استحباب الإطلاق اكتفاء بالمقيد و طلبا للإيجاز و الاختصار و قد قال تعالى ) عن اليمين وعن الشمال قعيد ( 1 و المراد ) عن اليمين قعيد ) و لكن حذف لدلالة الثاني عليه وزعم بعضهم أن القرآن كالأية الواحدة لأن كلام الله تعالى واحد فلا بعد أن يكون المطلق كالمقيد قال إمام الحرمين وهذا غلط لأن الموصوف بالإتحاد الصفة القديمة المختصة بالذات وأما هذه الألفاظ والعبارات فمحسوس تعددها وفيها الشيء ونقيضه كالإثبات والنفي والأمر والنهي إلى غير ذلك من أنواع النقائص التي لا يوصف الكلام القديم بأنه اشتمل ( 2 ) عليها والثاني كإطلاق صوم الأيام في كفارة اليمين وقيدت بالتتابع في كفارة الظهر والقتل وبالتفريق في صوم التمتع فلما تجاذب الأصل تركناه على إطلاقه هذا كله إذا كان الحكمان بمعنى واحد وإنما اختلفا في الإطلاق والتقييد فأما إذا حكم في شيء بأمور لم يحكم في شيء آخر ينقض تلك الأمور وسكت فيه عن بعضها فلا يقتضي الإلحاق

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كالأمر بغسل الأعضاء الأربعة في الوضوء وذكر في التيمم  
عضوين فلم يكن في الأمر بمسح الرأس وغسل الرجلين في  
الوضوء دليل على مسحهما بالتراب في التيمم  
ومن ذلك ذكر العتق والصوم والطعام في كفارة الظهار ولم  
يذكر الإطعام في كفارة القتل فلم يجمع بينهما في إبدال  
الطعام عن الصيام  
وقريب من هذا قول السلف في قوله تعالى ( وأمهات نسائكم  
وربائبكم ) 3 إن اللام مبهمة وعنوا بذلك أن الشرط في  
الربائب خاصة  
قاعدة في العموم والخصوص ( 1 )  
لا يستدل بالصفة العامة إذا لم يظهر تقييد عدم التعميم  
ويستفاد ذلك من السياق ولهذا قال الشافعي اللفظ بين في  
مقصوده ويحتمل في غير مقصوده  
فمنه قوله تعالى ( والذين يكنزون الذهب والفضة ) 2 لا يصلح  
الإحتجاج بها في إيجاب الزكاة في قليل الذهب والفضة وكثيره  
وفي المتنوع منهما من الحلي وغيره ألا ترى أن من ملك دون  
النصاب منهما غير داخل في جملة المتوعدين بترك الإنفاق  
منهما وهذا يدل على إن القصد من الآية إثبات الحكم في ترك  
أداء الواجب من الزكاة منهما وفيها دليل على وجوب الزكاة  
فيهما وليس فيها بيان مقدار ما يجب من الحق فيهما  
وقوله تعالى ( والذين هم لفروجهم حافظون ) 3 الآية القصد  
منها مدح قوم صانوا فروجهم عما لا يحل ولم يوافقوا بها إلا  
من كان بملك النكاح أو اليمين وليس في الآية بيان ما يحل  
منها وما لا يحل ( 4 ) ثم إذا احتيج إلى تفصيل ما يحل بالنكاح  
وملك اليمين صير إلى ما قصد وتفصيله بقوله ( حرمت عليكم  
أمهاتكم ) 5 الآية  
كذا قاله القفال الشاشي ( 1 ) وفيه نظر لما سبق  
ومثله قوله تعالى ( أحل لكم ليلة الصيام ) 2 إلى قوله ( من  
الخيطة الأسود ) 2 فلو تعلق متعلق بقوله ( وكلوا واشربوا ) 2  
في إباحة أكل أو شرب كل شيء قد اختلف فيه لكان لا معنى  
له لأن المخاطب قد غفل عن أنها لم ترد مبينة لذلك بل مبينة

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

لحكم جواز الأكل والشرب والمباشرة إلى الفجر دفعا لما كان الناس عليه من حظر ذلك على من نام فبين في الآية إباحة ما كان محظورا ثم أطلق لفظ الأكل والشرب والمباشرة لا معنى لإبانة الحكم فيما يحل من ذلك وما يحرم ألا ترى أنه لا يدخل فيه شرب الخمر والدم وأكل الميتة ولا المباشرة فيما لا يبتغى منه الولد ومثله في القرآن كثير وهذا يدل على أن النظر في العموم إلى المعاني لا لإطلاق اللفظ قال القفال ومن ضبط هذا الباب أفاد علما كثيرا فصل الأحكام المستنبطة من تنبيه الخطاب ومما تستثمر منه الأحكام تنبيه الخطاب وهو إما في الطلب كقوله تعالى ( فلا تقل لهما أف ) 3 فنهيه عن القليل منه على الكثير وقوله ( ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ) 4 يدل على تحريم الإحراق والإتلاف وإما في الخبر فإما أن يكون بالتنبيه بالقليل ( 1 ) على الكثير كقوله تعالى ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا ) 2 فنبه على أن الرطل والقنطار لا يضيق لك عنده وكقوله ( ما يملكون من قطمير ) 3 ولا يظلمون نقيرا ( 4 ) ولا يظلمون فتىلا ( 5 ) وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ( 6 ) فإنه يدل على أن من لم يملك نقيرا أو قطميرا مع قلتها فهو عن ملك ما فوقهما أولى وعلم أن من لم يعزب عنه مثقال ذرة مع خفائه ودقته فهو بالأ يذهب عنه الشيء الجليل الظاهر أولى وإما بالكثير على القليل كقوله تعالى ( ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ) 7 فهذا من التنبيه على أنه ( 8 ) يؤدي إليك الدينار وما تحته ثم قال ( ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك ) 7 فهذا من الأول وهو التنبيه بالقليل على الكثير فدل بالتنبيه على أنك لا تأمنه بقنطار بعكس الأول ومثل قوله في فرش أهل الجنة ( بطائنها من إستبرق ) 9 وقد علمنا إن أعلى ما عندنا هو الإستبرق الذي هو الخشن من الديباج فإذا كان بطائن فرش ( 10 ) أهل الجنة ذلك فعلم أن وجوهها في العلو إلى غاية لا يعقل معناها

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وكذلك قوله في شراب أهل الجنة ( ختامه مسك ) 11 وإنما يرى من الكأس الختام وأعلى ما عندنا رائحة المسك وهو أدنى شراب أهل الجنة فليتبين اللبيب إذا كان الثفل الذي فيك المسك أيش يكون حشو الكأس فيظهر فضل حشو الكأس بفضل الختام وهذا من التنبيه الخفي ( 1 )

وقوله ( الذي باركنا حوله ) 2 فنبه على حصول البركة فيه من باب أولى

واعلم ( 3 ) أن هذا النوع البديع ينظر إليه من ستر رقيق وطريق تحصيله فهم المعنى وتقييده من سياق الكلام كما في آية التأفيف فإننا نعلم أن الآية إنما سيقنت لاحترام الوالدين وتوقيرهما ففهمنا منه تحريم الشتم والضرب ولو لم يفهم المعنى لا يلزم ذلك لأن الملك الكبير يتصور أن يقول لبعض عبده اقتل قرني ولا تقل له أف ويكون قصده الأمن عن مزاحمته في الملك فثبت أن ذلك إنما جاء لفهم المعنى فإن قيل فإذا ابتنى الفهم على تخيل المعنى كان بطريق القياس كما صار إليه الشافعي

قيل ما يتأخر من نظم الكلام وما يتقدم فهمه على اللفظ ويقترن به لا يكون قياساً حقيقياً لأن القياس ما يحتاج فيه إلى استنباط وتأمل فإن أطلق القائل بأنه قياس اسم القياس عليه وأراد ما ذكرناه فلا مضايقة في التسمية فصل في الحكم على الشيء مقيداً بصفة

وقد ( 4 ) يحكم على الشيء مقيداً بصفة ثم قد يكون ما سكت عنه بخلافه وقد يكون

مثله فمن الأول قوله تعالى ( وأشهدوا ذوي عدل منكم ) 1 وقوله ( إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ) 2 وقوله ( وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ) 3 فاشتراط أولاد الصلب تنبيهاً على إباحة حلائل أبناء الرضاع ( 4 ) وليس في ذكر الحلائل إباحة من وطئه الأبناء من الإمام بملك اليمين وهذه الآية مما اجتمع فيه النوعان أعنى المخالفة والمماثلة وكذلك قوله ( لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ) 5 الآية

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

فيه وقوع الجناح في إبداء الزينة لمن عدا المذكورين من الأجنب ولم يكن فيه إبداءها لقرابة الرضاع ومن الثاني قوله تعالى ( في الصيد ) ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم ( 6 فإن القتل إتلاف والإتلاف عمدته وخطؤه فيستدل به على أن التعمد ليس بشرط فإن قيل فما فائدة التقييد في هذا القسم إذا كان المسكوت عنه مثله وهلا حذفت الصفة واقتصر على قوله ) ومن قتله منكم )

قلنا لتخصيص الشيء بالذكر فوائدها منها اختصاصه في جنسه بشيء لا يشركه فيه غيره من جملة الجنس كما في هذه الآية أعني قوله ) ومن قتله منكم متعمدا )

إلى قوله ) فينتقم الله منه ( 1 إن المتعمد إنما خص بالذكر لما عطف عليه في آخر الآية من الإنتقام الذي لا يقع إلا في العمد دون الخطأ

ومنها ما يخص بالذكر تعظيما له على سائر ما هو من جنسه كقوله تعالى ) منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ( 2 فخص النهي عن الظلم فيهن وإن كان الظلم منها عنه في جميع الأوقات تفضيلا لهذه الأشهر وتعظيما للوزر فيها وقوله ) فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ( 3

ومنها أن يكون ذلك الوصف هو الغالب عليه كقوله تعالى ) وربائبكم اللاتي في حجوركم ( 4 الآية فإن الغالب من حال الربيبة أنها تكون في حجر أمها ونحو ) يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ( 5 إلى قوله ) ثلاث مرات )

5 الآية خص هذه الأوقات الثلاثة بالاستئذان لأن الغالب تبذل البدن فيهن وإن كان في غير هذه الأوقات ما يوجب الاستئذان فيجب وكذلك قوله ) فإن خفتن ألا يقيما حدود الله ( 6 فالافتداء يجوز مع الأمر وقوله ) فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتن ( 7 وقوله ) فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ( 8 وقوله ) وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ( 8 فجرى التقييد بالسفر لأن الكاتب إنما

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

يعدم غالبا فيه ولا يدل على منع الرهن إلا في السفر كما صار إليه مجاهد  
النوع الثالث والثلاثون في معرفة جدله  
وقد أفردته من المتأخرين بالتصنيف العلامة نجم الدين الطوفي  
( 1 ) رضي الله عنه  
اعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به لكن أوردته تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين لأمرين أحدهما بسبب ما قاله ( وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ) ( 2 الآية  
والثاني أن المائل ( 3 ) إلى دقيق المحاجة ( 4 ) هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم يتخط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون ولم يكن ملغزا فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجل صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الخطباء  
وعلى هذا حمل الحديث المروي ( إن لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حرف حدا ومطلعا ) لا على ما ذهب إليه الباطنية ومن هذا الوجه كل من كان حظه في العلوم أوفر كان نصيبه من علم القرآن أكثر ولذلك إذا ذكر تعالى حجة على ربوبيته ووحدانيته أتبعها مرة بإضافته إلى أولي العقل ومرة إلى السامعين ومرة إلى المفكرين ومرة إلى المتذكرين تنبيها أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقته منها وذلك نحو قوله ( إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ) ( 1 ) وغيرها من الآيات واعلم أنه قد يظهر منه بدقيق الفكر استنباط البراهين العقلية على طرق المتكلمين فمن ذلك الإستدلال على حدوث العالم بتغير الصفات عليه وانتقاله من حال إلى حال وهو آية الحدوث وقد ذكر الله تعالى في احتجاج إبراهيم الخليل ( 2 ) عليه

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

السلام استدلاله بحدوث الأقل على وجود المحدث والحكم على السماوات والأرض بحكم النيرات الثلاث وهو الحدوث طردا للدليل في كل ما هو مدلوله لتساويها في علة الحدوث وهي الجسمانية

ومن ذلك الاستدلال على أن صانع العالم واحد بدلالة التمانع المشار إليه في قوله تعالى ( لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ) 3 لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام ولا يتسق على إحكام ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما وذلك لو أراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته فإما أن تنفذ إرادتهما فتتناقض لاستحالة تجزؤ الفعل إن فرض الاتفاق أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف وإما لا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجزهما أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه والإله لا يكون عاجزا

ومن ذلك الإستدلال على المعاد الجسماني بضروب أحدها قياس الإعادة على الإبتداء قال تعالى ( كما بدأكم تعودون ) 1 كما بدأنا أول خلق نعيده ) 2 أفعينا بالخلق الأول ) 3

ثانيها قياس الإعادة على خلق السماوات والأرض بطريق الأولى نحو ) أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ) 4 لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ) 5

ثالثها قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات وهو في كل موضع ذكر فيه إنزال المطر غالبا نحو ) ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ) 6

رابعها قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر وقد ورد أن أبي بن خلف لما جاء بعظام بالية ففتها وذرهما في الهواء وقال يا محمد من يحيي العظام وهي رميم فأنزل الله تعالى ) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ) 7 فعلم سبحانه كيفية الإستدلال برد النشأة الأخرى إلى الأولى والجمع بينهما بعلة الحدوث ثم زاد في الحجج بقوله ) الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ) 7

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وهذا في غاية البيان في رد الشيء إلى نظيره والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراس عليهما  
خامسها في قوله تعالى ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ( 1 ) وتقريرها كما قاله ابن السيد ( 2 ) إن اختلاف المختلفين في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه والحق في نفسه واحد فلما ثبت أن هاهنا حقيقة موجودة لا محالة وكان لا سبيل لنا في حياتنا هذه إلى الوقوف عليها وقوفا يوجب الإئتلاف ويرفع عنا الإختلاف إذ كان الاختلاف مركزا في فطرنا وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الجبلية ونقلها إلى جبلية غيرها صح ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة فيها يرتفع الخلاف والعناد وهذه هي الحال التي وعد الله بالمصير إليها فقال ( ونزعنا ما في صدورهم من غل ( 3 ) ولا بد من كون ذلك باضطرار إذ كان جواز الخلاف يقتضي الإئتلاف لأنه نوع من المضاف وكان لابد من حقيقته فقد صار الخلاف الموجود كما ترى أوضح دليل على كون البعث الذي ينكره المنكرون

النوع الرابع والثلاثون معرفة ناسخه من منسوخه

والعلم به عظيم الشأن وقد صنف فيه جماعة كثيرون منهم قتادة بن دعامة ( 1 ) السدوسي وأبو عبيد القاسم بن سلام ( 2 ) وأبو داود السجستاني ( 3 ) وأبو جعفر ( 4 ) النحاس وهبة الله بن سلام ( 5 ) الضرير وابن العربي ( 6 ) وابن الجوزي ( 7 ) وابن الأنباري ( 8 ) ومكي ( 9 ) وغيرهم ومن ظريف ما حكى في كتاب هبة الله أنه قال في قوله تعالى ( ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ( 1 ) منسوخ من هذه الجملة ) وأسيرا ( والمراد بذلك أسير المشركين فقرئ الكتاب عليه وابنته تسمع فلما انتهى إلى هذا الموضوع قالت أخطأت يا أبت في هذا الكتاب فقال لها وكيف يا



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

بنية قالت أجمع المسلمون على أن الأسير يطعم ولا يقتل  
جوعاً  
قال الأئمة ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف  
منه الناسخ والمنسوخ وقد قال علي بن أبي طالب لقاص  
أتعرف الناسخ والمنسوخ قال الله أعلم قال هلكت وأهلكت  
والنسخ يأتي بمعنى الإزالة ومنه قوله تعالى ( فينسخ الله ما  
يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ) 2  
ويأتي بمعنى التبديل كقوله ( وإذا بدلنا آية مكان آية ) 3  
وبمعنى التحويل كتناسخ الموارد يعني تحويل الميراث من  
واحد إلى واحد  
ويأتي بمعنى النقل من موضع إلى موضع ومنه ( نسخت  
الكتاب ) إذا نقلت ما فيه حاكياً للفظه وخطه قال مكي وهذا  
الوجه لا يصح أن يكون في القرآن وأنكر على النحاس إجازته  
ذلك محتجاً بأن الناسخ فيه لا يأتي بلفظ المنسوخ وإنما يأتي  
بلفظ آخر وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن بركات السعدي  
يشهد ( 4 ) لما قاله النحاس قوله تعالى ( إنا كنا نستنسخ ما  
كنتم تعملون ) 1 وقال ( وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم )  
2 ومعلوم أن ما نزل من الوحي نجوماً جميعه في أم الكتاب  
وهو اللوح المحفوظ كما قال ( في كتاب مكنون لا يمسه إلا  
المطهرون ) 3  
ثم اختلف العلماء فقيل المنسوخ ما رفع تلاوة تنزله كما رفع  
العمل به ورد بما نسخ الله من التوراة بالقرآن والإنجيل وهما  
متلوان  
وقيل لا يقع النسخ في قرآن يتلى وينزل والنسخ مما خص الله  
به هذه الأمة في حكم من التيسير ( 4 ) ويفر ( 5 ) هؤلاء من  
القول بأن الله ينسخ شيئاً بعد نزوله والعمل به وهذا مذهب  
اليهود في الأصل ظناً ( 6 ) منهم أنه بداء كالذي يرى الرأي ثم  
يبدو له وهو باطل لأنه بيان مدة الحكم ألا ترى الإحياء بعد  
الإماتة وعكسه والمرض بعد الصحة وعكسه والفقر بعد الغنى  
وعكسه وذلك لا يكون بداء فكذا الأمر والنهي  
وقيل إن الله تعالى نسخ القرآن من اللوح المحفوظ الذي هو

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

أم الكتاب فأنزله على نبيه والنسخ لا يكون إلا من أصل  
والصحيح جواز النسخ ووقوعه سمعا وعقلا  
ثم اختلفوا ف قيل لا ينسخ قرآن إلا بقرآن لقوله تعالى ( ما  
نسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها )  
1 قالوا ولا يكون مثل القرآن وخيرا منه إلا قرآن  
وقيل بل السنة لا تنسخ السنة  
وقيل السنة إذا كانت بأمر الله من طريق الوحي نسخت وإن  
كانت باجتهاد فلا تنسخه حكاه ابن حبيب النيسابوري في  
تفسيره

وقيل بل إحداهما تنسخ الأخرى ثم اختلفوا ف قيل الآيتان إذا  
أوجبتا حكمين مختلفين وكانت إحداهما متقدمة الأخرى  
فالمتأخرة ناسخة للأولى كقوله تعالى ( إن ترك خيرا الوصية  
للوالدين والأقربين ) 2 ثم قال بعد ذلك ( ولأبويه لكل واحد  
منهما السدس ) 3 وقال ( فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه  
فلامه الثلث ) 3 قالوا فهذه ناسخة للأولى ولا يجوز أن يكون  
لهما الوصية والميراث  
وقيل بل ذلك جائز وليس فيهما ناسخ ولا منسوخ وإنما نسخ  
الوصية للوارث بقوله عليه السلام ( لا وصية لوارث ) وقيل ما  
نزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكة  
ويجوز نسخ الناسخ فيصير الناسخ منسوخا وذلك كقوله ( لكم  
دينكم ولي دين ) 4 نسخها بقوله تعالى ( فاقتلوا المشركين )  
5 ثم نسخ هذه أيضا بقوله ( حتى يعطوا الجزية عن يد ) 6  
وقوله ( فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ) 7 وناسخه  
قوله تعالى ( فاقتلوا المشركين ) 5 ثم نسخها ( حتى يعطوا  
الجزية ) 6

مسألة في جواز النسخ بالكتاب  
لا خلاف في جواز نسخ الكتاب بالكتاب قال الله تعالى ( ما  
نسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ) 1 وقال ( وإذا  
بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل ) 2 ولذلك نسخ السنة  
بالكتاب كالقصة في صوم عاشوراء برمضان وغيره  
واختلف في نسخ الكتاب بالسنة قال ابن عطية حذاق الأمة

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

على الجواز وذلك موجود في قوله ﷺ ( لا وصية لوارث ) وأبى الشافعي ذلك ( 3 ) والحجة عليه من قوله في إسقاط الجلد في حد الزنا عن الثيب الذي رجم فإنه لا مسقط لذلك إلا السنة فعل النبي ﷺ

قلنا أما آية الوصية فقد ذكرنا أن ناسخها القرآن وأما ما نقله عن الشافعي فقد اشتهر ذلك لظاهر لفظ ذكره في الرسالة ( 3 ) وإنما مراد الشافعي أن الكتاب والسنة لا يوجدان مختلفين إلا ومع أحدهما مثله ناسخ له وهذا تعظيم لقدر الوجهين وإبانة تعاضدهما وتوافقهما وكل من تكلم على هذه المسألة لم يفهم مراده

وأما النسخ بالآية فليس بنسخ بل تخصيص ثم إنه ثابت بالقرآن الذي نسخت تلاوته وهو ( الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ) ( 4 )

فصل فيما يقع فيه النسخ الجمهور على أنه لا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي وزاد بعضهم الأخبار وأطلق وقيدها آخرون بالتي يراد بها الأمر والنهي تنبيهات التنبيه الأول في تقسيم سور القرآن بحسب ما دخله من النسخ وما لم يدخله اعلم أن سور القرآن العظيم تنقسم بحسب ما دخله النسخ وما لم يدخل إلى أقسام ( 1 )

أحدهما ما ليس فيه ناسخ ولا منسوخ وهي ثلاث وأربعون سورة وهي الفاتحة ثم يوسف ثم يس ثم الحجرات ثم الرحمن ثم الحديد ثم الصف ثم الجمعة ثم التحريم ثم الملك ثم الحاقة ثم نوح ثم الجن ثم المرسلات ثم النبا ثم النازعات ثم الإنفطار ثم المطففين ثم الإنشقاق ثم البروج ثم الفجر ثم البلد ثم الشمس ثم الليل ثم الضحى ثم الإنشراح ثم القلم ثم القدر ( 2 ) ثم الإنفكاك ثم الزلزلة ثم العاديات ثم القارعة ثم الهاكم ثم الهمزة ثم الفيل ثم قريش ثم الدين ثم الكوثر ثم النصر ثم تبت ثم الإخلاص ثم المعوذتين ( 3 ) وهذه السور تنقسم إلى ما ليس فيه أمر ولا نهي وإلى ما فيه نهي لا أمر ( 1 )

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والثاني ما فيه ناسخ وليس فيه منسوخ وهي ست سور الفتح والحشر والمنافقون والتغابن والطلاق والأعلى الثالث ما فيه منسوخ وليس فيه ناسخ وهو أربعون الأنعام والأعراف ويونس وهود والرعد والحجر والنحل وبنو إسرائيل والكهف وطه والمؤمنون والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والمضاجع ( 2 ) والملائكة والصفاء وص و الزمر والمصابيح ( 3 ) والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف وسورة محمد ﷺ والباسقات والنجم والقمر والرحمن والمعارج والمدثر والقيامة والإنسان وعبس والطارق والغاشية والتين والكافرون

الرابع ما اجتمع فيه الناسخ والمنسوخ وهي إحدى وثلاثون سورة ( 4 ) البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأعراف والأنفال والتوبة وإبراهيم والنحل وبنو إسرائيل ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان والشعراء والأحزاب وسبأ والمؤمن والشورى والقتال والذاريات والطور والواقعة والمجادلة والممتحنة والمزمل والمدثر والتكوير والعصر

ومن غريب هذا النوع آية أولها منسوخ وآخرها ناسخ قيل ولانظير لها في القرآن وهي قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم )

1 يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا ناسخ لقوله عليكم أنفسكم ( ذكره ابن العربي في أحكامه ( 2 ) التنبيه الثاني ( 3 ) في ضروب النسخ في القرآن

النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب الأول ما نسخ في تلاوته وبقي حكمه فيعمل به إذا تلقته الأمة بالقبول كما روى أنه كان يقال في سورة النور ( الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ) ولهذا قال عمر لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبها بيدي رواه البخاري في صحيحه معلقا ( 4 )

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي بن كعب قال كانت سورة الأحزاب توازي سورة النور فكان فيها ( الشيخ والشيخة

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إذا زنيا فارجموهما )  
وفي هذا سؤالان الأول ما الفائدة في ذكر الشيخ والشيخة وهلا  
قال المحصن والمحصنة  
وأجاب ابن الحاجب في أماليه عن هذا بأنه من البديع في  
المبالغة وهو أن يعبر عن الجنس في باب الذم بالأنقص  
فالأنقص وفي باب المدح بالأكثر والأعلى فيقال لعن الله  
السارق يسرق ربع دينار فتقطع يده والمراد يسرق ربع دينار  
فصاعدا إلى أعلى ما يسرق وقد يبالغ فيذكر ما لا تقطع به كما  
جاء في الحديث ( لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده )  
( 1 ) وقد علم أنه لا تقطع في البيضة وتأويل من أوله ببيضة  
الحرب تأباه الفصاحة  
الثاني أن ظاهر قوله ( لولا أن يقول الناس ) الخ أن كتابتها  
جائزة وإنما منعه قول الناس والجائز في نفسه قد يقوم من  
خارج ما يمنعه وإذا كانت جائزة لزم أن تكون ثابتة لأن هذا  
شأن المكتوب وقد يقال لو كانت التلاوة باقية لبادر عمر رضي  
الله عنه ولم يعرج على مقال الناس لأن مقال الناس لا يصلح  
مانعا  
وبالجملة فهذه الملازمة مشكلة ولعله كان يعتقد أنه خبر واحد  
والقرآن لا يثبت به وإن ثبت الحكم ومن هنا أنكر ابن ظفر في  
الينبوع ( 2 ) عد هذا مما نسخ تلاوته قال لأن خبر الواحد لا  
يثبت القرآن قال وإنما هذا من المنسأ لا النسخ وهما مما  
يلتبان ( 3 ) والفرق بينهما أن المنسأ لفظه قد يعلم حكمه  
ويثبت أيضا وكذا قاله في غيره القراءات الشاذة كإيجاب  
التتابع في صوم كفارة اليمين ونحوه أنها كانت قرأنا فنسخت  
تلاوتها لكن في العمل بها الخلاف المشهور في القراءة الشاذة  
( 4 )  
ومنهم من أجاب عن ذلك بأن هذا كان مستفيضا عندهم وأنه  
كان متلوا من القرآن فأثبتنا الحكم بالإستفاضة وتلاوته غير  
ثابتة بالإستفاضة ومن هذا الضرب ما رواه مسلم في صحيحه ( 5 )  
عن أبي موسى الأشعري إنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في  
الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني أحفظ منها ( لو كان

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

لابن آدم واديان من مال لايتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ) وكنا نقرأ سورة نسيها بإحدى المسبحات ( 1 ) فأنسيتها غير أني حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون فكتبت شهادة في أعناقكم فتسالون عنها يوم القيامة )

وذكر الإمام المحدث أبو الحسين أحمد بن جعفر ( 2 ) المنادي في كتابه الناسخ والمنسوخ مما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظه سورتا القنوت في الوتر قال ولا خلاف بين الماضين والغابرين أنهما مكتوبتان في المصاحف المنسوبة إلى أبي بن كعب وأنه ذكر عن النبي ﷺ أنه أقرأه إياهما وتسمى سورتي الخلع والحفد

هنا سؤال وهو أن يقال ما الحكمة في رفع التلاوة مع بقاء الحكم وهلا أبقيت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها وأجاب صاحب الفنون ( 3 ) فقال إنما كان كذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الأمة في المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظن من غير استفعال لطلب طريق مقطوع به فيسرعون بأيسر شيء كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام والمنام أدنى طرق الوحي

الضرب الثاني ما نسخ حكمه وبقي تلاوته وهو في ثلاث وستين سورة كقوله تعالى ) والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا ( 4 ) الآية فكانت المرأة إذا مات زوجها لزم التبرص بعد انقضاء العدة حولا كاملا ونفقتها في مال الزوج ولا ميراث لها وهذا معنى قوله ) متاعا إلى الحول غير إخراج ( 5 ) الآية فنسخ الله ذلك بقوله ) يتبرصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ( 1 ) وهذا الناسخ مقدم في النظم على المنسوخ

قال القاضي أبو المعالي وليس في القرآن ناسخ تقدم على المنسوخ إلا في موضعين هذا أحدهما والثاني قوله ) يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك ( 2 ) الآية فإنها ناسخة لقوله ) لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ( 3 ) قلت وذكر بعضهم موضعا آخر وهو قوله تعالى ) سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ( 4 )

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

هي متقدمة في التلاوة ولكنها منسوخة بقوله تعالى ( قد نرى  
تقلب وجهك في السماء ) 5  
وقيل في تقديم النسخة فائدة وهي أن تعتقد حكم المنسوخة  
قبل العلم بنسخها ويجيء موضع رابع وهو آية الحشر في قوله  
تعالى ( ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول  
( 6 الآية فإنه لم يذكر فيها شيء للغانمين ورأى الشافعي أنها  
منسوخة بآية الأنفال وهي قوله ) واعلموا أنما غنمتم من شيء  
فإن لله خمسه ( 7  
واعلم أن هذا الضرب ينقسم إلى ما يحرم العمل به ولا يمتنع  
كقوله ) إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ( 8 ثم  
نسخ الوجوب  
ومنه قوله ) ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ( 9 قيل  
منسوخ بقوله تعالى ) فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ( 10  
وقوله ) وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ( 1 نسختها آيات القيامة  
والكتاب والحساب  
وهنا سؤال وهو أن يسأل ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء  
التلاوة  
والجواب من وجهين أحدهما أن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم  
منه والعمل به فيتلى لكونه كلام الله تعالى فيثاب عليه فتركت  
التلاوة لهذه الحكمة  
وثانيهما أن النسخ غالبا يكون للتخفيف فأبقيت التلاوة تذكيرا  
بالنعمة ورفع المشقة وأما حكمة النسخ قبل العمل كالصدقة  
عند النجوى فيثاب على الإيمان به وعلى نية طاعة الأمر  
الثالث نسخهما جميعا فلا تجوز قراءته ولا العمل به كآية  
التحريم بعشر رضعات فنسخن بخمس قالت عائشة كان مما  
أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات فتوفي  
رسول الله ﷺ وهي مما يقرأ من القرآن رواه مسلم  
وقد تكلموا في قولها ( وهي مما يقرأ ) فإن ظاهره بقاء التلاوة  
وليس كذلك فمنهم من أجاب بأن المراد قارب الوفاة والأظهر  
أن التلاوة نسخت أيضا ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة  
رسول الله ﷺ فتوفي وبعض الناس يقرأها

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقال أبو موسى الأشعري نزلت ثم رفعت  
وجعل الواحدي من هذا ما روي عن أبي بكر رضي الله عنه  
قال كنا نقرأ ( لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر ) وفيه نظر  
وحكى القاضي أبو بكر في الإنتصار عن قوم إنكار هذا القسم  
لأن الأخبار فيه أخبار آحاد ولا يجوز القطع على إنزال قرآن  
ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها  
وقال أبو بكر الرازي نسخ الرسم والتلاوة إنما يكون بأن  
ينسيهم الله إياه ويرفعه من أوهامهم ويأمرهم بالإعراض عن  
تلاوته وكتبه في المصحف فيندرس على الأيام كسائر كتب الله  
القديمة التي ذكرها في كتابه في قوله ( إن هذا لفي الصحف  
الأولى صحف إبراهيم وموسى ( 1 ) ولا يعرف اليوم منها شيء  
ثم لا يخلو ذلك من أن يكون في زمن النبي ﷺ حتى إذا توفي لا  
يكون متلوا في القرآن أو يموت وهو متلو موجود في الرسم  
ثم ينسيه الله ويرفعه من أذهانهم وغير جائز نسخ شيء من  
القرآن بعد وفاة النبي ﷺ فائدة  
قال ابن العربي ( 2 ) قوله تعالى ( فإذا انسلخ الأشهر الحرم )  
3 ناسخة لمائة وأربع عشرة آية ثم صار آخرها ناسخاً لأولها  
وهي قوله ( فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا  
سبيلهم ) 4  
قالوا وليس في القرآن آية من المنسوخ ثبت حكمها ست  
عشرة سنة إلا قوله في الأحقاف ( قل ما كنت بدعاً من  
الرسول وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ) 5 وناسخها أول سورة  
الفتح قال ابن العربي ( 1 ) ومن أغرب آية في النسخ قوله  
تعالى ( خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ) 2 أولها  
وآخرها منسوخان ووسطها محكم  
وقسمه الواحدي أيضاً إلى نسخ ما ليس بثابت التلاوة كعشر  
رضعات وإلى نسخ ما هو ثابت التلاوة بما ليس بثابت التلاوة  
كنسخ الجلد في حق المحصنين بالرجم والرجم غير متلو الآن  
وإنه كان يتلى على عهد رسول الله ﷺ فالحكم ثبت والقراءة لا  
ثبتت كما يجوز أن تثبت التلاوة في بعض ولا يثبت الحكم وإذا  
جاز أن يكون قرآن ولا يعمل به جاز أن يكون قرآن يعمل به ولا



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

يتلى وذلك أن الله عز وجل أعلم بمصالحنا وقد يجوز أن يعلم من مصلحتنا تعلق العمل بهذا الوجه التنبيه الثالث في تقسيم القرآن على ضرب من وجه آخر قسم بعضهم النسخ من وجه آخر إلى ثلاثة أضرب الأول نسخ المأمور به قبل امتثاله وهذا الضرب هو النسخ على الحقيقة كأمر الخليل بذبح ولده وكقوله تعالى ( إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ( 3 ثم نسخه سبحانه بقوله ) أشفقتم ( 3 الآية الثاني ويسمى نسخا تجوزا وهو ما أوجبه الله على من قبلنا كحتم القصاص ( 4 )

ولذلك قال عقب تشريع الدية ( ذلك تخفيف من ربكم ورحمة )  
1 وكذلك ما أمرنا الله به أمرا إجماليا ثم نسخ كنسخه التوجه إلى بيت الله المقدس بالكعبة فإن ذلك كان واجبا علينا من قضية أمره باتباع الأنبياء قبله وكنسخ صوم يوم عاشوراء برمضان الثالث ما أمر به لسبب ثم يزول السبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر وبالمغفرة للذين يرجون ( 2 ) لقاء الله ونحوه من عدم إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحوها ثم نسخه إيجاب لذلك وهذا ليس بنسخ في الحقيقة وإنما هو نسيء كما قال تعالى ( أو ننسها ( 3 فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى وبهذا التحقيق تبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الأمرة بالتخفيف أنها منسوخة بأية السيف وليست كذلك بل هي من المنسأ بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعله توجب ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلة

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إلى حكم آخر وليس بنسخ إنما النسخ الإزالة حتى لا يجوز  
امثاله أبداً وإلى هذا أشار الشافعي في ( الرسالة ) إلى النهي  
عن ادخار لحوم الأضاحي من أجل الرأفة ثم ورد الإذن فيه فلم  
يجعله منسوخاً بل من باب زوال الحكم لزوال علته حتى لو  
فاجأ أهل ناحية جماعة مضرورون تعلق بأهلها النهي  
ومن هذا قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ) 4  
الآية كان ذلك في ابتداء الأمر فلما قوي الحال وجب الأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر والمقاتلة عليه ثم لو فرض وقوع  
الضعف كما أخبر النبي ﷺ في قوله ( بدأ الإسلام غربياً وسيعود  
غربياً كما بدأ ) عاد الحكم وقال ﷺ ( فإذا رأيت هوى متبعاً  
وشحاً مطاعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك )

وهو سبحانه وتعالى حكيم أنزل على نبيه ﷺ حين ضعفه ما  
يليق بتلك الحال رأفة بمن تبعه ورحمة إذ لو وجب لأورث حرجاً  
ومشقة فلما أعز الله الإسلام وأظهره ونصره أنزل عليه من  
الخطاب ما يكافئ تلك الحالة من مطالبة الكفار بالإسلام أو  
بأداء الجزية إن كانوا أهل كتاب أو الإسلام أو القتل إن لم  
يكونوا أهل كتاب  
ويعود هذان الحكمان أعني المسألة عند الضعف والمسايقة  
عند القوة يعود سببهما وليس حكم المسايقة ناسخاً لحكم  
المسألة بل كل منهما يجب امثاله في وقته فائدة  
قيل في قوله تعالى ( ما ننسخ من آية ( 1 ) ولم يقل ( من  
القرآن ) لأن القرآن ناسخ مهيمن على كل الكتب وليس يأتي  
بعده ناسخ له وما فيه من ناسخ ومنسوخ فمعلوم وهو قليل  
بين الله ناسخه عند منسوخه كنسخ الصدقة عند مناجاة  
الرسول والعدة والفرار في الجهاد ونحوه وأما غير ذلك فمن  
تحقق علماً بالنسخ علم أن غالب ذلك من المنسأ ومنه ما يرجع  
ليبان الحكم المجمل كالسبيل في حق الآتية بالفاحشة فيبينته  
السنة وكل ما في القرآن مما يدعى نسخه بالسنة عند من  
يراه فهو بيان لحكم

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

لقرآن وقال سبحانه ( وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ( 1 ) وأما بالقرآن علي ما ظنه كثير من المفسرين فليس بنسخ وإنما هو نسا وتأخير أو مجمل آخر بيانه لوقت الحاجة أو خطاب قد حال بينه وبين أوله خطاب غيره أو مخصوص من عموم أو حكم عام لخاص أو لمداخلة معنى في معنى وأنواع الخطاب كثيرة فظنوا ذلك نسخا وليس به وأنه الكتاب المهيم على غيره وهو في نفسه متعاضد وقد تولى الله حفظه فقال تعالى ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ( 2 ) النوع الخامس والثلاثون معرفة موهم المختلف

وهو ما يوهم التعارض بين آياته وكلام الله جل جلاله منزه عن الاختلاف كما قال تعالى ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ( 1 ) ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافا وليس به فاحتيج لإزالته كما صنف في مختلف الحديث وبيان الجمع بينهما وقد رأيت لقطرب ( 2 ) فيه تصنيفا حسنا جمعه على السور وقد تكلم فيه الصدر الأول ابن عباس ( 3 ) وغيره وقال الإمام وقد وفق الحسن البصري بين قوله تعالى ( وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ( 4 ) وقوله ( وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ( 5 ) بأن قال ليس المراد في آية الأعراف على ظاهره من أن الوعد كان ثلاثين ليلة ثم بعد ذلك وعده بعشر لكنه وعده أربعين ليلة جميعا انتهى وقيل تجري آية الأعراف على ظاهره من أن الوعد كان ثلاثين ثم أتم بالعشر فاستقرت الأربعون ثم أخبر في آية البقرة بما استقر

وذكره الخطابي قال وسمعت ابن أبي هريرة يحكي عن أبي العباس بن سريج قال سأل رجل بعض العلماء عن قوله تعالى ( لا أقسم بهذا البلد ( 1 ) فأخبر أنه لا يقسم بهذا ثم أقسم به ( في قوله ) وهذا البلد الأمين ( 2 ) فقال ابن سريج أي الأمرين أحب إليك أجيبك ثم أقطعك أو أقطعك ثم أجيبك فقال بل أقطعني ثم أجبني فقال اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال وبين ظهرا في قوم وكانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا وعليه مطعنا فلو كان هذا عندهم

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مناقضة لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه ولكن القوم علموا  
وجهلت فلم ينكروا منه ما أنكرت ثم قال له إن العرب قد  
تدخل ( لا ) في أثناء كلامها وتلغي معناها وأنشد فيه أبياتا  
والقاعدة في هذا أشباهه أن الألفاظ إذا اختلفت وكان مرجعها  
إلى أمر واحد لم يوجب ذلك اختلافا فائدة عن الغزالي في  
معنى الإختلاف

سئل الغزالي عن معنى قوله تعالى ( ولو كان من عند غير الله  
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) 3 فأجاب بما صورته الإختلاف لفظ  
مشترك بين معان وليس المراد نفي إختلاف الناس فيه بل  
نفي الإختلاف عن ذات القرآن يقال هذا كلام مختلف أي لا  
يشبه أوله آخره في الفصاحة إذ هو مختلف أي بعضه يدعو إلى  
الدين وبعضه يدعو إلى الدنيا أو هو مختلف النظم فبعضه على  
وزن الشعر وبعضه منزحف وبعضه على

أسلوب مخصوص في الجزالة وبعضه على أسلوب يخالفه  
وكلام الله تعالى منزه ( 1 ) عن هذه الإختلافات فإنه على  
منهاج واحد في النظم مناسب أوله آخره وعلى مرتبة واحدة  
في غاية الفصاحة فليس يشتمل على الغث والسمين ومسوق  
لمعنى واحد وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى وصر فهم عن  
الدنيا إلى الدين وكلام الآدميين يتطرق إليه هذه الإختلافات إذ  
كلام الشعراء والمترسلين إذا قيس عليه وجد فيه إختلاف في  
منهاج النظم ثم إختلاف في درجات الفصاحة بل في أصل  
الفصاحة حتى يشتمل على الغث والسمين فلا تتساوى  
رسالتان ولا قصيدتان بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة  
وأبيات سخيصة وكذلك تشتمل القصائد والأشعار على أغراض  
مختلفة لأن الشعراء والفصحاء ( في كل واد يهيمون ) 2 فتارة  
يمدحون الدنيا وتارة يذمونها وتارة يمدحون الجبن فيسمونه  
حزما وتارة يذمونهم ويسمونه ضعفا وتارة يمدحون الشجاعة  
ويسمونها صراحة وتارة يذمونها ويسمونها تهورا ولا ينفك كلام  
آدمي عن هذه الإختلافات لأن منشأ هذه الإختلافات إختلاف  
الأغراض وإختلاف الأحوال والإنسان تختلف أحواله فتساعده  
الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه ويتعذر عليه عند الإنقباض

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ولذلك تختلف أغراضه فيميل إلى الشيء مرة ويميل عنه أخرى فيوجب اختلاف الأحوال والأغراض اختلافا في كلامه بالضرورة فلا تصادف اللسان يتكلم في ثلاث وعشرين سنة وهي مدة نزول القرآن فيتكلم على غرض واحد وعلى منهج واحد ولقد كان رسول الله ﷺ بشرا تختلف أحواله فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجد فيه اختلاف كثير فأما اختلاف الناس فهو تباين في آراء الناس لا في نفس القرآن وكيف يكون هذا المراد وقد قال تعالى ( يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ) 3 فقد ذكر في القرآن أنه في نفسه غير مختلف وهو مع هذا سبب لاختلاف الخلق ( 1 ) في الضلال والهدى فلو لم يختلف فيه لكانت أمثال هذه الآيات خلفا وهي أشد أنواع الإختلاف والله أعلم فصل في القول عند تعارض الآي ( 2 ) قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني ( 3 ) إذا تعارضت الآي وتعذر فيها الترتيب والجمع ( 4 ) طلب التاريخ وترك المتقدم منهما بالمتأخر ويكون ذلك نسخا له وإن لم يوجد التاريخ وكان الإجماع على استعمال إحدى الآيتين علم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها

قال ولا يوجد في القرآن آيتان متعارضتان تعريان عن هذين الوصفين

وذكروا عند التعارض مرجحات

الأول تقديم المكي على المدني وإن كان يجوز أن تكون المكية نزلت عليه ﷺ بعد عوده إلى مكة والمدنية قبلها فيقدم الحكم بالآية المدنية على المكية في التخصيص والتقديم إذ كان غالب الآيات المكية نزولها قبل الهجرة

الثاني أن يكون أحد الحكمين على غالب أحوال أهل مكة والآخر على غالب

أحوال أهل المدينة فيقدم الحكم بالخير الذي فيه أحوال أهل المدينة كقوله تعالى ( ومن دخله كان آمنا ) 1 مع قوله ( كتب عليكم القصاص في القتلى ) 2 فإذا أمكن بناء كل واحدة من الآيتين على البديل جعل التخصيص في قوله تعالى ( ومن دخله

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

كان آمنا ( 1 كأنه قال إلا من وجب عليه القصاص ومثل قوله ) لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ( 3 ونهيه ﷺ عن قتل صيد مكة مع قوله تعالى ) يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين ( 4 فجعل النهي فيمن اصطاده في الحرم وخص من اصطاده في الحل وأدخله حيا فيه الثالث أن يكون أحد الظاهرين مستقلا بحكمه والآخر مقتضيا لفظا يزداد عليه فيقدم المستقل بنفسه عند المعارضة والترتيب كقوله تعالى ) وأتموا الحج والعمرة لله ( 5 مع قوله ) فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ( 5 وقد أجمعت الأمة على أن الهدى لا يجب بنفس الحصر وليس فيه صريح الإحلال بما يكون سببا له فيقدم المنع من الإحلال عند المرض بقوله ) وأتموا الحج والعمرة لله ( 5 على ما عارضه من الآية الرابع أن يكون كل واحد من العمومين محمولا على ما قصد به في الظاهر عند الإجتهد فيقدم ذلك على تخصيص كل واحد منهما من المقصود بالآخر كقوله ) وأن تجمعوا بين الأختين ( 6 بقوله ) وما ملكت أيمانكم ( 6 فيخص الجمع يملك اليمين بقوله تعالى ) وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف ( 1 فتحمل آية الجمع على العموم والقصد فيها بيان ما يحل وما يحرم وتحمل آية الإباحة على زوال اللوم فيمن أتى بحال الخامس أن يكون تخصيص أحد الإستعمالين على لفظ تعلق بمعناه والآخر باسمه كقوله ) شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم ( 2 مع قوله تعالى ) إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ( 3 الآية فيمكن أن يقال في الآية بالتبين عند شهادة الفاسق إذا كان ذلك من كافر على مسلم أو مسلم فاسق على كافر وأن يقبل الكافر على الكافر وإن كان فاسقا أو يحمل ظاهر قوله ) أو آخران من غيركم ( 2 على القبيلة دون الملة ويحمل الأمر بالتثبت على عموم النسيان في الملة لأنه رجوع إلى تعيين اللفظ وتخصيص الغير بالقبيلة لأنه رجوع إلى الاسم على عموم الغير السادس ترجيح ما يعلم بالخطاب ضرورة على ما يعلم منه

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ظاهرا كتقديم قوله تعالى ( وأحل الله البيع ( 4 على قوله )  
وذروا البيع ( 5 فإن قوله ) وأحل ( 4 يدل على حل البيع  
ضرورة ودلالة النهي على فساد البيع إما ألا تكون ظاهرة أصلا  
أو تكون ظاهرة منحطة عن النص

فصل في القول عند تعارض أي القرآن والآثار ( 1 )  
قال القاضي أبو بكر في ( التقریب ) لا يجوز تعارض أي القرآن  
والآثار وما توجه أدلة العقل فلذلك لم يجعل قوله تعالى ( الله  
خالق كل شيء ( 2 معارضا لقوله ) وتخلقون إفاكا ( 3 وقوله )  
وإذ تخلق من الطين ( 4 وقوله ) فتبارك الله أحسن الخالقين )  
5 لقيام الدليل العقلي أنه لا خالق غير الله تعالى فيتعين تأويل  
ما عارضه فيؤول قوله ) وتخلقون ( 3 بمعنى ( تكذبون ) لأن  
الإفك نوع من الكذب وقوله ) وإذ تخلق من الطين ( 4 أي  
( تصور )

ومن ذلك قوله ( أن الله بكل شيء عليم ( 6 لا يعارضه قوله )  
أتنبئون الله بما لا يعلم ( 7 فإن المراد بهذا ما لا يعلمه أنه غير  
كائن ويعلمونه وقوع ما ليس بواقع لا على أن من المعلومات  
ما هو غير عالم به وإن علمتموه  
وكذلك لا يجوز جعل قوله تعالى ( إن الله لا يخفى عليه شيء )  
8 معارضا لقوله ( حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ( 9  
وقوله ) إلى ربها ناظرة ( 10 معارضا لقوله ) لا تدركه الأبصار  
( 11 في تجويز الرؤية وإحالتها

لأن دليل العقل يقضي بالجواز ويجوز تخليص النفي بالدنيا  
والإثبات بالقيامة

وكذلك لا يجوز جعل قوله ( وما مسنا من لغوب ( 1 معارضا  
لقوله ) وهو أهون عليه ( 2 بل يجب تأويل ( أهون ) على  
( هين )

ولا جعل قوله تعالى ( ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا )  
3 معارضا لأمره نبيه وأمته بالجدال في قوله ( وجادلهم بالتي  
هي أحسن ( 4 فيحمل الأول على ذم الجدال الباطل  
ولا يجوز جعل قوله ) ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ( 5

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

معارضاً لقوله ( كل من عليها فان ) 6 فصل في تعارض القراءتين في آية واحدة ( 7 )  
وقد جعلوا تعارض القراءتين في آية واحدة كتعارض الآيتين كقوله ( وأرجلكم ) 8 بالنصب والجر وقالوا يجمع بينهما بحمل إحداهما على مسح الخف والثانية على غسل الرجل إذا لم يجد متعلقاً سواهما

وكذلك قراءة ( يطهرن ) ( و ) يطهرن ( 1 حملت الحنفية إحداهما على ما دون العشرة والثانية على العشرة واعلم أنه إذا لم يكن لها متعلق سواهما تصدى لنا الإلغاء أو الجمع فأما إذا وجدنا متعلقاً سواهما فالمتعلق هو المتبع فائدة ( 2 ) في القول في الاختلاف والتناقض

قال أبو بكر الصيرفي في شرح ( رسالة الشافعي ) جماع الاختلاف والتناقض أن كل كلام صح أن يضاف بعض ما وقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض وإنما التناقض في اللفظ ما ضاده من كل جهة على حسب ما تقتضيه الأسماء ولن يوجد في الكتاب ولا في السنة شيء من ذلك أبداً وإنما يوجد فيه النسخ في وقتين بأن يوجب حكماً ثم يحله وهذا لا تناقض فيه وتناقض الكلام لا يكون إلا في إثبات ما نفي أو نفي ما أثبت بحيث يشترك المثبت والمنفي في الاسم والحدث والزمان والأفعال والحقيقة فلو كان الاسم حقيقة في أحدهما وفي الآخر مستعاراً ونفي أحدهما وأثبت الآخر لم يعد تناقضاً

هذا كله في الأسماء وأما المعاني وهو باب القياس فكل من أوجد علة وحررها

وأوجب بها حكماً من الأحكام ثم ادعى تلك العلة بعينها فيما ياباه الحكم فقد تناقض فإن رام الفرق لم يسمع منه لأنه في فرقه تناقض والزيادة في العلة نقص أو تقصير عن تحريرها في الابتداء وليس هذا على السائل

وكل مسألة يسأل عنها فلا تخلو من أحد وجهين إما أن يسأل فيما يستحق الجواب عنه أو لا فأما المستحق للجواب فهو ما يمكن كونه ويجوز وأما ما استحال كونه فلا يستحق جواباً لأن



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

من علم أنه لا يجتمع القيام والقعود فسأل هل يكون الإنسان قائماً منتصباً جالساً في حال واحدة فقد أحال وسأل عن محال فلا يستحق الجواب فإن كان لا يعرف القيام والقعود عرف فإذا عرفه فقد استحال عنده ما سأله  
قال وقد رأيت كثيراً مما يتعاطى العلم يسأل عن المحال ولا يدري أنه محال ويجاب عنه والآفات تدخل على هؤلاء لقلة علمهم بحق الكلام فصل في الأسباب الموهمة للاختلاف وللأختلاف أسباب

الأول وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى كقوله تعالى في خلق آدم إنه ( من تراب ( 1 ومرة ) من حمأ مسنون ( 2 ومرة ) من طين لازب ( 3 ومرة من ) صلصال كالفخار ( 4 وهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة لأن الصلصال غير الحمأ والحمأ غير التراب إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب ومن التراب تدرجت هذه الأحوال  
ومن قوله تعالى ( فإذا هي ثعبان مبين ( 1 وفي موضع ) تهتز كأنها جان ( 2 والجان الصغير من الحيات والثعبان الكبير منها وذلك لأن خلقها خلق الثعبان العظيم واهتزازها وحركاتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته

السبب الثاني لاختلاف الموضوع كقوله تعالى ( وقفوهم إنهم مسؤولون ( 3 وقوله ) فلنسالن الذين أرسل إليهم ولنسالن المرسلين ( 4 مع قوله ) فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ( 5 قال الحليمي فتحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل والثانية على ما يستلزم الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه حمله غيره على اختلاف الأماكن لأن في القيامة مواقف كثيرة فموضع يسأل ويناقش وموضع آخر يرحم ويلطف به وموضع آخر يعنف ويوبخ وهم الكفار وموضع آخر لا يعنف وهم المؤمنون  
وقوله ) ولا يكلمهم الله يوم القيامة ( 6 مع قوله ) فوربك لنسالنهم أجمعين عما كانوا يعملون ( 7 وقيل المنفي كلام التلطف والإكرام والمثبت سؤال التوبيخ والإهانة فلا تنافي

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وكقوله تعالى ( وجزاء سيئة سيئة مثلها ( 8 مع قوله ) يضاعف لهم العذاب )  
1 والجواب أن التضعيف هنا ليس على حد التضعيف في الحسنات بل هو راجع لتضاعيف مرتكباتهم فكان لكل مرتكب منها عذاب يخصه فليس التضعيف من هذا الطريق على ما هو في الطريق الآخر وإنما المراد هنا تكثيره بحسب كثرة المجترحات لأن السيئة الواحدة يضاعف الجزاء عليها بدليل سياق تلك الآية وهو قوله ( ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون ( 2 فهؤلاء كذبوا على ربهم وصدوا عن سبيله وبغوها عوجا وكفروا فهذه مرتكبات عذبوا بكل مرتكب منها  
وكقوله ) ثم لم تكن فتنهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ( 3 مع قوله ) ولا يكتُمون الله حديثا ( 4 فإن الأولى تقتضي أنهم كتموا كفرهم السابق  
والجواب من وجهين أحدهما أن للقيامه مواطن ففي بعضها يقع منهم الكذب وفي بعضها لا يقع كما سبق والثاني أن الكذب يكون بأقوالهم ( 5 ) والصدق يكون من جوارحهم فيأمرها الله تعالى بالنطق فتنطق بالصدق  
وكقوله ) ولا تكسب كل نفس إلا عليها ( 6 مع قوله ) لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ( 7 والجواب أن المراد لا تكسب شرا ولا إثما بدليل سبب  
النزول ( 1 ) أو ضمن معنى ( تجني ) وهذه الآية أقتصر فيها على الشر والآخرى ذكر فيها الأمران ولهذا لما ( 2 ) ذكر القسمين ذكر ما يميز أحدهما عن الآخر وهما لما كان المراد ذكر أحدهما اقتصر عليه ب ( فعل ) ولم يأت ب ( افتعل )  
ومنه قوله تعالى ( اتقوا الله حق تقاته ( 3 مع قوله ) فاتقوا الله ما استطعتم ( 4 يحكى عن الشيخ العارف ( 5 ) أبي الحسن الشاذلي رحمه الله أنه جمع بينهما فحمل الآية الأولى على التوحيد والثانية على الأعمال والمقام يقتضي ذلك لأنه

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

قال بعد الأولى ( ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ) 3  
وقيل بل الثانية ناسخة قال ابن المنير الظاهر أن قوله ( اتقوا  
الله حق تقاته ) 3 إنما نسخ حكمه لا فضله وأجره وقد فسر  
النبي ﷺ ( حق تقاته ) بأن قال ( هو أن يطاع فلا يعصى ويذكر  
فلا ينسى ويشكر فلا يكفر ) فقالوا أينما يطيق ذلك فنزلت ( فاتقوا الله ما استطعتم ) 4 وكان التكليف أولاً باستيعاب العمر  
بالعبادة بلا فترة ولا نعاس كما كانت الصلاة خمسين ثم صارت  
بحسب الاستطاعة خمسا والاقتدار منزل على هذا الاعتبار ولم  
ينحط من درجاته

وقال الشيخ كمال الدين الزملكاني ( 1 ) وفي كون ذلك  
منسوخاً نظر وقوله ( ما استطعتم ) هو ( حق تقاته ) إذ به أمر  
فإن ( حق تقاته ) الوقوف على أمره ودينه وقد قال بذلك كثير  
من العلماء انتهى

والحديث الذي ذكره ابن المنير في تفسيره ( حق تقاته ) 2 لم  
يثبت مرفوعاً بل هو من كلام ابن مسعود رواه النسائي وليس  
فيه قول الصحابة ( أينما يطيق ذلك ) ونزول قوله تعالى ( فاتقوا الله ما استطعتم )

ومنه قوله تعالى ( فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ) 3 مع قوله  
في أواخر السورة ( ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو  
حرصتم ) 4 فالأولى تفهم إمكان العدل والثانية تنفيه  
والجواب أن المراد بالعدل في الأولى العدل بين الأزواج في  
توفية حقوقهن وهذا ممكن الوقوع وعدمه والمراد به في  
الثانية الميل القلبي فالإنسان لا يملك ميل قلبه إلى بعض  
زوجاته دون بعض وقد كان ﷺ يقسم بين نسائه ثم يقول  
( اللهم هذا قسمي في ما أملك فلا تؤاخذني بما لا أملك ) يعني  
ميل القلب وكان عمر يقول ( الله قلبي فلا أملكه وأما ما سوى  
ذلك فأرجو أن أعدل )

ويمكن أن يكون المراد بالعدل في الثانية العدل التام أشار إليه  
ابن عطية

وقد يحتاج الاختلاف إلى تقدير فيرتفع به الإشكال كقوله تعالى  
( لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله  
المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد  
الله الحسنى )  
1 ثم قال سبحانه ( وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا  
عظيما ( 1 والأصل في الأولى وفضل الله المجاهدين على  
القاعدين من أولي الضرر درجة والأصل في الثانية وفضل الله  
المجاهدين على القاعدين من الأصحاء درجات  
وممن ذكر أن المحذوف كذلك الإمام بدر الدين بن مالك ( 2 )  
في شرح ( الخلاصة ) في الكلام على حذف النعت  
وللزمخشري فيه كلام آخر ( 3 )  
وكقوله تعالى ( إن الله لا يأمر بالفحشاء ( 4 مع قوله ) أمرنا  
مترفيها ففسقوا فيها ( 5 والمعنى أمرناهم وملكناهم وأردنا  
منهم الصلاح فأفسدوا والمراد بالأمر في الأولى أنه لا يأمر به  
شرعا ولكن قضاء لاستحالة أن يجري في ملكه ما لا يريد وفرق  
بين الأمر الكوني والديني  
الثالث لاختلافهما في جهتي الفعل كقوله تعالى ( فلم تقتلوهم  
ولكن الله قتلهم ( 6 أضيف القتل إليهم على جهة الكسب  
والمباشرة ونفاه عنهم باعتبار التأثير ولهذا قال الجمهور إن  
الأفعال مخلوقة لله تعالى مكتسبة للأدبيين فنفي الفعل  
بإحدى الجهتين لا يعارضه إثباته بالجهة الأخرى  
وكذا قوله ( وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ( 1 أي ما  
رميت خلقا إذ رميت كسبا وقيل إن الرمي يشتمل على القبض  
والإرسال وهما بكسب الرامي وعلى التبليغ والإصابة وهما  
بفعل الله عز وجل قال ابن جرير الطبري ( 2 ) وهي الدليل  
على أن الله خالق لأفعال العباد فإن الله تعالى أضافه إلى نبيه  
ثم نفاه عنه وذلك فعل واحد لأنه من الله تعالى التوصيل إليهم  
ومن نبيه بالحذف والإرسال وإذا ثبت هذا لزم مثله في سائر  
أفعال العباد المكتسبة فمن الله تعالى الإنشاء والإيجاد ومن  
الخلق الاكتساب بالقوى  
ومثله قوله تعالى ( الرجال قوامون على النساء ( 3 وقال  
تعالى ( وقوموا لله قانتين ( 4 فقيام الانتصاب لا ينافي القيام

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

بالأمر لاختلاف جهتي الفعل  
الرابع لاختلافهما في الحقيقة والمجاز كقوله ( وترى الناس  
سكارى وما هم بسكارى ( 5 ) ويأتيه الموت من كل مكان وما  
هو بميت ( 6 ) وهو يرجع لقول المناطقة الاختلاف بالإضافة أي  
وترى الناس سكارى بالإضافة إلى أهوال القيامة مجازاً وما هم  
بسكارى بالإضافة إلى الخمر حقيقة  
ومثله في الاعتبارين قوله تعالى ( أمنا بالله وباليوم الآخر وما  
هم بمؤمنين ( 7 ) وقوله ( ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا  
يسمعون ( 8 ) وقوله تعالى  
وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ( 1 ) فإنه لا يلزم من نفي  
النظر نفي الإبصار لجواز قولهم ( نظرت إليه فلم أبصره )  
الخامس بوجهين واعتبارين وهو الجامع للمفترقات كقوله (   
فبصرك اليوم حديد ( 2 ) وقال ( خاشعين من الذل ينظرون من  
طرف خفي ( 3 ) قال قطرب ( فبصرك ( 2 أي علمك  
ومعرفتك بها قوية من قولهم ( بصر بكذا وكذا ) أي علم وليس  
المراد رؤية العين قال الفارسي وبدل على ذلك قوله (   
فكشفنا عنك غطاءك ( 2 وصف البصر بالحدة  
وكقوله تعالى ( وقال الملا من قوم فرعون أتذر موسى وقومه  
ليفسدوا في الأرض ويذكرك وآلهتك ( 4 مع قوله ) أنا ربكم  
الأعلى ( 2 ف قيل يجوز أن يكون معناه ويذكرك وآلهتك إن ساغ  
لهم ويكون إضافة الآلهة إليه ملكا كان يعبد في دين قومه ثم  
يدعوهم إلى أن يكون هو الأعلى كما تقول العرب موالي من  
فوق وموالي من أسفل فيكون اعتقادهم في الآلهة مع فرعون  
أنها مملوكة له فيحسن قولهم ( وآلهتك )  
وقوله تعالى ( الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ( 6 مع  
قوله ) إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ( 7 فقد  
يظن أن الوجع خلاف الطمأنينة وجوابه أن الطمأنينة إنما تكون  
بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد والوجع يكون عند خوف الزيف  
والذهاب عن الهدى فتوجل القلوب لذلك وقد جمع بينهما في  
قوله ( تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم  
وقلوبهم إلى ذكر الله ( 1 فإن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

معتقدهم ووثقوا به فانتفى عنهم الشك  
وكقوله ( خمسين ألف سنة ( 2 وفي موضع ) ألف سنة ( 2 )  
وأجيب بأنه باعتبار حال المؤمن والكافر بدليل ) وكان يوماً  
على الكافرين عسيرا ( 3 )  
وكقوله ( بألف من الملائكة مردفين ( 4 وفي آية أخرى ) بثلاثة  
آلاف من الملائكة منزلين ( 5 قيل إن الألف أردفهم بثلاثة آلاف  
وكان الأكثر مددا للأقل وكان ( الألف مردفين ) بفتحها  
وكقوله تعالى ( خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى  
السماء ( 6 وفي آية أخرى ) والأرض بعد ذلك دحاها ( 7 ولا  
تنافي بينهما فالأول ( 8 ) دال على أن الأرض وما فيها خلقت ( 9 )  
قبل السماء وذلك صحيح ثم دحيت الأرض بعد خلق  
السماء وبذلك تتفق معاني الآيات في سورة القمر والمؤمن  
والنازعات  
وكقوله تعالى ( ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في  
سنة أيام ( 1 وقوله ) قل أننكم لتكفرون بالذي خلق الأرض  
في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها  
رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام  
سواء للسائلين ( إلى قوله ) فقضاهن سبع سماوات في  
يومين ( 2 وذلك يبلغ ثمانية أيام والجواب أن المراد بقوله )  
قل أننكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ( إلى قوله )  
وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ( مع اليومين المتقدمين ولم  
يرد بذكر ( الأربعة ) غير ما تقدم ذكره وهذا كما يقول الفصيح  
( سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام ) ( وسرت إلى  
الكوفة في ثلاثة عشر يوماً ) ولا يريد سوى العشرة بل يريد مع  
العشرة ثلاثة ثم قال تعالى ( فقضاهن سبع سماوات في  
يومين ( 3 وأراد سوى الأربعة وذلك لا مخالفة فيه لأن  
المجموع يكون ستة  
ومنه قوله تعالى في السجدة ) عذاب النار الذي كنتم به  
تكذبون ( 4 بلفظ ( الذي ) على وصف العذاب وفي سبأ )  
عذاب النار التي ( 5 بلفظ ( التي ) على وصف النار وفيه أربعة  
أوجه أحدها أنه وصف العذاب في السجدة لوقوع ( النار )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

موقع الضمير الذي لا يوصف وإنما وقعت موقع الضمير لتقدم  
إضمامها مع قوله ) وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما  
أرادوا أن يخرجوا منها أعيديا فيها ( 4 فحق الكلام ( وقيل لهم  
ذوقوا عذابها ) فلما وضعها موضع المضمير الذي لا يقبل  
الوصف

عدل إلى وصف العذاب وأما في ( سبأ ) فوصفها لعدم المانع  
من وصفها والثاني أن الذي في ( السجدة ) وصف النار أيضا  
وذكر حملا على معنى الجحيم والحريق والثالث أن الذي في  
( السجدة ) في حق من يقر بالنار ويجحد العذاب وفي ( سبأ )  
في حق من يجحد أصل النار والرابع أنه إنما وصف العذاب في  
السجدة لأنه لما تقدم ذكر النار مضمرا ومظهرا عدل إلى  
وصف العذاب ليكون تلويحا للخطاب فيكون أنشط للسامع  
بمنزلة العدول من الغيبة إلى الخطاب

ومنه قوله تعالى ( توفته رسلنا ( 1 وقوله ) تتوفاهم الملائكة )  
( 2 وبين قوله ) قل يتوفاكم ملك الموت ( 3 وبين قوله ) الله  
يتوفى الأنفس ( 4 ) وهو الذي يتوفاكم بالليل ( 1 وجمع  
البعوي بينها لأن توفى الملائكة بالقبض والنزع وتوفى ملك  
الموت بالدعاء والأمر يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه  
بقبضها وتوفى الله سبحانه خلق الموت فيه

ومنه قوله تعالى في البقرة ( فاتقوا النار ( 5 وفي سورة  
التحریم ) نارا ( 6 بالتنكير لأنها نزلت بمكة قبل آية البقرة فلم  
تكن النار التي وقودها الناس والحجارة معروفة فنكرها ثم  
نزلت آية البقرة بالمدينة مشارا بها إلى ما عرفوه أولا  
وقال في سورة البقرة ( رب اجعل هذا بلدا آمنا ( 7 وفي  
سورة إبراهيم ) رب اجعل هذا البلد آمنا ( 8 لأنه في الدعوة  
الأولى كان مكانا فطلب منه أن يجعله بلدا آمنا وفي الدعوة  
الثانية كان بلدا غير آمن فعرفه وطلب له الأمن أو كان بلدا آمنا  
وطلب

65 ثبات الأمن ودوامه وكون سورة البقرة مدنية وسورة  
إبراهيم مكية لا ينافي هذا لأن الواقع من إبراهيم كونه على  
الترتيب المذكور والإخبار عنه في القرآن على غير ذلك

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الترتيب أو لأن المكي منه ما نزل قبل الهجرة فيكون المدني متأخرا عنها ومنه ما نزل بعد فتح مكة فيكون متأخرا عن المدني فلم قلت إن سورة إبراهيم من المكي الذي نزل قبل الهجرة فصل في الإجابة عن بعض الاستشكالات ومما استشكلوه قوله تعالى ( وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلًا ) 1 فإنه يدل على حصر المانع من الإيمان في أحد هذين الشئيين وقد قال تعالى في الآية الأخرى ( وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ) 2 فهذا حصر في ثالث غيرهما وأجاب ابن عبد السلام بأن معنى الآية وما منع الناس أن يؤمنوا إلا إرادة أن تأتيهم سنة من الخسف وغيره ( أو يأتيهم العذاب قبلًا ) في الآخرة فأخبر أنه أراد أن يصيبهم أحد الأمرين ولا شك أن إرادة الله مانعة من وقوع ما ينافي المراد فهذا حصر في السبب الحقيقي لأن الله هو المانع في الحقيقة ومعنى الآية الثانية ( وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ) إلا استغراب بعثه بشرا رسولا لأن قولهم ليس مانعا من الإيمان لأنه يصلح لذلك وهو يدل على الاستغراب بالالتزام وهو المناسب للمانعية واستغرابهم ليس مانعا حقيقيا بل عاديا لجواز خلو الإيمان معه بخلاف إرادة الله تعالى فهذا حصر في المانع العادي والأولى حصر في المانع الحقيقي فلا تنافي انتهى

وقوله ( ليس مانعا من الإيمان ) فيه نظر لأن إنكارهم بعثه بشرا رسولا كفر مانع من الإيمان وفيه تعظيم لأمر النبي ﷺ وإن إنكارهم بعثته مانع من الإيمان فصل في وقوع التعارض بين الآية والحديث وقد يقع التعارض بين الآية والحديث ولا بأس يذكر شيء للتنبيه لأمثاله فمنه قوله تعالى ( والله يعصمك من الناس ) 1 وقد صح أنه شج يوم أحد وأجيب بوجهين أحدهما أن هذا كان قبل نزول هذه الآية لأن غزوة أحد كانت



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

سنة ثلاث من الهجرة وسورة المائدة من أواخر ما نزل  
بالمدينة  
والثاني بتقدير تسليم الأخير فالمراد العصمة من القتل وفيه  
تنبيه على أنه يجب عليه أن يحتمل كل ما دون النفس من  
أنواعه قوله تعالى ( ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ) 1 مع  
قوله ﷺ ( لن يدخل أحدكم الجنة بعمله )  
وأجيب بوجهين  
أحدهما ونقل عن سفيان وغيره كانوا يقولون النجاة من النار  
بعفو الله ودخول الجنة برحمته ( 2 ) وانقسام المنازل  
والدرجات بالأعمال ويدل له حديث أبي هريرة ( إن أهل الجنة  
إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ) رواه الترمذي  
والثاني أن الباء في الموضعين مدلولها مختلف ففي الآية باء  
المقابلة وهي الداخلة على الأعراض وفي الحديث للسببية لأن  
المعطي بعوض قد يعطي مجانا وأما المسبب فلا يوجد بدون  
السبب ومنهم من عكس هذا الجواب وقال الباء في الآية  
للسببية وفي الحديث للعوض وقد جمع النبي ﷺ بقوله ( سدّدوا  
وقاربوا واعلموا أن أحدا منكم لن ينجو بعمله ) قالوا ولا أنت يا  
رسول الله قال ( ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته ) ومنه  
قوله تعالى مخبرا عن خلق السماوات والأرض وما بينهما ( في  
سنة أيام ) 3 فإنه يقتضي أن يكون يوما من أيام الجمعة بقي  
لم يخلق فيه شيء والظاهر من الأحاديث الصحاح أن الخلق  
ابتدأ يوم الأحد وخلق آدم يوم الجمعة آخر الأشياء فهذا يستقيم  
مع الآية الشريفة ووقع في صحيح مسلم أن الخلق ابتداء يوم  
السبت فهذا بخلاف الآية اللهم إلا أن يكون أراد في الآية  
الشريفة جميع الأشياء غير آدم ثم يكون يوم الجمعة هو الذي  
لم يخلق فيه شيء مما بين السماء والأرض لأن آدم حينئذ لم  
يكن فيما بينهما  
ع البلاء فما أشد تكليف الأنبياء  
النوع السادس والثلاثون معرفة المحكم من المتشابه  
قال الله تعالى ( منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر  
متشابهات ) 1 قيل ولا يدل على الحصر في هذين الشئيين

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

فإنه ليس فيه شيء من الطرق الدالة عليه وقد قال ( لتبين للناس ما نزل إليهم ( 2 والمتشابه لا يرجى بيانه والمحكم لا توقف معرفته على البيان  
وقد حكى الحسين بن محمد بن حبيب النيسابوري في هذه المسألة ثلاثة أقوال  
أحدها أن القرآن كله محكم لقوله تعالى ( كتاب أحكمت آياته )  
3  
والثاني كله متشابه لقوله تعالى ( الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ( 4  
والثالث وهو الصحيح أن منه محكما ومنه متشابها لقوله تعالى ( منه آيات محكمات هن أم الكتاب ( 5  
فأما المحكم فأصله لغة المنع تقول أحكمت بمعنى رددت ومنعت والحاكم لمنعه الظالم من الظلم وحكمه اللجام هي التي تمنع الفرس من الاضطراب  
وأما في الاصطلاح فهو ما أحكمته بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام  
وقيل هو مثل قوله تعالى ( وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ( 1  
وقيل هو الذي لم ينسخ لقوله تعالى ( قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ( 2 وقوله ( وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ( 3 إلى آخر الآيات وهي سبعة عشر حكما مذكورة في سورة الأنعام وفي سورة بني إسرائيل  
وقيل هو الناسخ  
وقيل الفرائض والوعد والوعيد  
وقيل الذي وعد عليه ثوابا أو عقابا وقيل الذي تأويله تنزيله بجعل القلوب تعرفه عند سماعه كقوله ( قل هو الله أحد ( 4 )  
ليس كمثله شيء ( 5 )  
وقيل ما لا يحتمل في التأويل إلا وجها واحدا  
وقيل ما تكرر لفظه  
وأما المتشابه فأصله أن يشتهب اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني كما قال تعالى في وصف ثمر الجنة ( وأتوا به متشابها ( 6 أي متفق المناظر مختلف الطعوم ويقال للغامض متشابه

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

لأن جهة الشبه فيه كما تقول لحروف التهجي والمنتشابه مثل المشكل لأنه أشكل أي دخل في شكل غيره وشاكله واختلفوا فيه ف قيل هو المشتبه الذي يشبه بعضه بعضا وقيل هو المنسوخ الغير معمول به وقيل القصص والأمثال وقيل ما أمرت أن تؤمن به وتكل علمه إلى عالمه وقيل فواتح السور وقيل

ما لا يدري إلا بالتأويل ولا بد من صرفه إليه كقوله ( تجري بأعيننا ( 1 و ) على ما فرطت في جنب الله ( 2 وقيل الآيات التي يذكر فيها وقت الساعة ومجيء الغيث وانقطاع الآجال كقوله ) إن الله عنده علم الساعة ( 3 وقيل ما يحتمل وجوها والمحكم ما يحتمل وجها واحدا وقيل ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره وقيل غير ذلك وكلها متقارب وفصل الخطاب في ذلك أن الله سبحانه قسم الحق بين عباده فأولاهم بالصواب من عبر بخطابه عن حقيقة المراد قال سبحانه ) وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يتفكرون ( 4 ثم قال ) ثم إن علينا بيانه ( 5 أي على لسانك وألسنة العلماء من أمتك وكلام السلف راجع إلى المشتبه بوجه لا إلى المقصود المعبر عنه بالمنتشابه في خطابه لأن المعاني إذا دقت تداخلت وتشابهت على من لا علم له بها كالأشجار إذا تقارب بعضها من بعض تداخلت أمثالها ( 6 ) واشتبهت أي على من لم يمعن النظر في البحث عن منبعث كل فن منها قال تعالى ) وهو الذي أنشأ جنات معروشات ( 7 إلى قوله ) متشابهها ( وهو على اشتباكه غير متشابه وكذلك سياق معاني القرآن العزيز قد تتقارب المعاني ويتقدم الخطاب بعضه على بعض ويتأخر بعضه عن بعض لحكمة الله في ترتيب الخطاب والوجود فتشتبك المعاني وتشكل إلا على أولي الأبواب فيقال في هذا الفن منتشابه بعضه ببعض وأما المنتشابه من القرآن العزيز فهو يشابه بعضه بعضا في الحق والصدق والإعجاز والبشارة والندارة وكل ما جاء به وأنه من عند الله فذم سبحانه الذين يتبعون ما تشابه منه عليهم افتتاناً وتضليلاً فهم بذلك يتبعون ما تشابه عليهم تناصراً وتعاضداً

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

للفتنة والإضلال تفرجات  
الأول الأشياء التي يجب ردها عند الإشكال إلى أصولها  
فيجب رد المتشابهات في الذات والصفات إلى محكم ( ليس  
كمثله شيء ) 1  
ورد المتشابهات في الأفعال إلى قوله ( قل فله الحجة البالغة  
( 2 وكذلك الآيات الموهمة نسبة الأفعال لغير الله تعالى من  
الشیطان والنفس ترد إلى محكم قوله تعالى ) ومن يرد أن  
يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً ( 3 وما كان من ذلك عن تنزل  
الخطاب أو ضرب مثال أو عبارة عن مكان أو زمان أو معية أو  
ما يوهم التشبيه فمحكم ذلك قوله ) ليس كمثله شيء ( 1  
وقوله ) ولله المثل الأعلى ( 4 وقوله ) قل هو الله أحد ( 5  
ومنه ضرب في تفصيل ذكر النبوة ووصف إلقاء الوحي  
ومحكمه قوله تعالى ) إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ( 6  
وقوله ) وما ينطق عن الهوى ( 7  
ومنه ضرب في الحلال والحرام ومن ثم اختلف الأئمة في كثير  
من الأحكام بحسب فهمهم لدلالة القرآن  
ومنه شيء يتقارب فيه بين اللمتين لمة الملك و لمة الشيطان  
لعنه الله ومحكم ذلك قوله تعالى ) إن الله يأمر بالعدل  
والإحسان ( 1 الآية ولهذا قال عقبة ) يعظكم لعلكم تذكرون ( 1  
أي عندما يلقي العدو الذي لا يأمر بالخير بل بالشر والإلباس  
ومنه الآيات التي اختلف المفسرون فيها على أقوال كثيرة  
تحتملها الآية ولا يقطع على واحد من الأقوال وأن مراد الله  
منها غير معلوم لنا مفصلاً بحيث يقطع به  
الثاني أن هذه الآية من المتشابهة أعني قوله ) وأخر متشابهات  
( 2 الآية من حيث تردد الوقف فيها بين أن يكون على ) إلا الله  
( وبين أن يكون على ) والراسخون في العلم يقولون آمنا به  
( وتردد الواو في ) والراسخون ( بين الاستئناف والعطف ومن  
ثم ثار الخلاف في ذلك  
فمنهم من رجح أنها للاستئناف وأن الوقف على ) إلا الله ( وأن  
الله تعبد من كتابه بما لا يعلمون وهو المتشابه كما تعبدهم من  
دينه بما لا يعقلون وهو التعبدات ولأن قوله ) يقولون آمنا به

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

( متردد بين كونه حالا فضلا وخبرا عمدة والثاني أولى  
ومنهم من رجع أنها للعطف لأن الله تعالى لم يكلف الخلق بما  
لا يعلمون وضعف الأول لأن الله لم ينزل شيئا من القرآن إلا  
لينتفع به عباده ويدل به على معنى أرادته فلو كان المتشابه لا  
يعلمه غير الله ( 3 ) للزمنا ولا يسوغ لأحد أن يقول إن رسول  
الله

ﷺ لم يعلم المتشابه فإذا جاز أن يعرفه الرسول مع قوله )  
وما يعلم تأويله إلا الله ( جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته  
والمفسرون من أمته ألا ترى أن ابن عباس كان يقول أنا من  
الراسخين في العلم ويقول عند قراءة قوله في أصحاب  
الكهف ) ما يعلمهم إلا قليل ( 1 أنا من أولئك القليل  
وقال مجاهد في قوله تعالى ) وما يعلم تأويله إلا الله  
والراسخون في العلم ( يعلمونه و ) يقولون آمنا به ( ولو لم  
يكن للراسخين في العلم حظ من المتشابه إلا أن يقولوا )  
آمنا ( لم يكن لهم فضل على الجاهل لأن الكل قائلون ذلك  
ونحن لم نر المفسرين إلى هذه الغاية توقفوا عن شيء من  
القرآن فقالوا هو متشابه لا يعلمه إلا الله بل أمره على  
التفسير حتى فسروا الحروف المقطعة

فإن قيل كيف يجوز في اللغة أن يعلم الراسخون والله  
يقول ) والراسخون في العلم يقولون آمنا به ( وإذا أشركهم  
في العلم انقطعوا عن قوله ) يقولون ( لأنه ليس هنا عطف  
حتى يوجب للراسخين فعلين

قلنا إن ) يقولون ( هنا في معنى الحال كأنه قال )  
والراسخون في العلم ( قائلين آمنا كما قال الشاعر ( 2 )

الريح تبكي شجوها

والبرق يلمع في غمامه

أي لامعا

وقيل المعنى ( يعلمون ويقولون ) فحذف واو العطف كقوله )  
وجوه يومئذ ناضرة ( 3 والمعنى يقولون علمنا وآمنا لأن  
الإيمان قبل العلم محال

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

إذ لا يتصور الإيمان مع الجهل وأيضا لو لم يعلموها لم يكونوا من الراسخين ولم يقع الفرق بينهم وبين الجهال الثالث ومن هذا الخلاف نشأ الخلاف في أنه هل في القرآن شيء لا تعلم الأمة تأويله قال الراغب ( 1 ) في مقدمة تفسيره وذهب عامة المتكلمين إلى أن كل القرآن يجب أن يكون معلوما وإلا لأدى ( 2 ) إلى إبطال فائدة الانتفاع به وحملوا قوله ( والراسخون ) بالعطف على قوله ( إلا الله ) وقوله ( يقولون ) جملة حالية قال ذهب كثير من المفسرين إلى أنه يصح أن يكون في القرآن بعض ما لا يعلم تأويله إلى الله قال ابن عباس أنزل الله القرآن على أربعة أوجه حلال وحرام ووجه لا يسع أحد جهالته ووجه تعرفه العرب ووجه تأويل لا يعلمه إلا الله وقال بعضهم المتشابه اسم لمعنيين أحدهما لما التبس من المعنى لدخون شبهة بعضه في بعض نحو قوله ( إن البقر تشابه علينا ) 3 الآية والثاني اسم لما يوافق بعضه بعضا ويصدقه قوله تعالى ( كتابا متشابها مثاني ) 4 الآية فإن كان المراد بالمتشابه في القرآن الأول فالظاهر أنه لا يمكنهم الوصول إلى مراده وإن جاز أن يطلعهم عليه بنوع من لطفه لأنه اللطيف الخبير وإن كان المراد الثاني جاز أن يعلموا مراده الرابع قيل ما الحكمة في إنزال المتشابه ممن أراد لعباده البيان والهدى قلنا إن كان ممن يمكن علمه فله فوائد منها ليحث العلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائق معانيه فإن استدعاء الهمم لمعرفة ذلك من أعظم القرب وحذرا مما قال المشركون ( إنا وجدنا آباءنا على أمة ) 1 وليمتحنهم ويثيبهم كما قال ( وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ) 2 الآية وقوله ( ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) 3 فنبههم على أن أعلى المنازل هو الثواب فلو كان القرآن كله محكما لا يحتاج إلى تأويل لسقطت المحنة وبطلت التفاضل

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

واستوت منازل الخلق ولم يفعل الله ذلك بل جعل بعضه محكما ليكون أصلا للرجوع إليه وبعضه متشابها يحتاج إلى الاستنباط والاستخراج وورده إلى المحكم ليستحق بذلك الثواب الذي هو الغرض وقد قال تعالى ( ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ) 4

ومنها إظهار فضل العالم على الجاهل ويستدعيه علمه إلى المزيد ( 5 ) في الطلب في تحصيله ليحصل له درجة الفضل والأنفس الشريفة تتشوف لطلب العلم وتحصيله وأما إن كان ممن لا يمكن علمه فله فوائد منها إنزاله ابتلاء وامتحانا بالوقوف فيه والتعبد بالاشتغال من جهة التلاوة وقضاء فرضها وإن لم يقفوا على ما فيها من المراد الذي يجب العمل به اعتبارا بتلاوة المنسوخ من القرآن وإن لم يعجز العمل بما فيه من المحكم ويجوز أن يمتحنهم بالإيمان بها حيث ادعوا وجوب رعاية الأصل ومنها إقامة الحجة بها عليهم وذلك إنما نزل بلسانهم ولغتهم ثم عجزوا عن الوقوف على ما فيها مع بلاغتهم وإفهامهم فيدل على أن الذي أعجزهم عن الوقوف هو الذي أعجزهم عن تكرار الوقوف عليها وهو الله سبحانه

الخامس آثار بعضهم سؤالا وهو هل للمحكم مزية على المتشابه بما يدل عليه أو هما سواء والثاني خلاف الإجماع والأول ينقض أصلكم أن جميع كلامه سبحانه سواء وأنه نزل بالحكمة

وأجاب أبو عبد الله محمد بن أحمد البكراباذي بأن المحكم كالمتشابه من وجه ويخالفه من وجه فيتفقان في أن الاستدلال بهما لا يمكن إلا بعد معرفة حكمة الواضع وأنه لا يختار ( 1 ) القبيح ويختلفان في أن المحكم بوضع اللغة لا يحتمل إلا الوجه الواحد فمن سمعه أمكنه أن يستدل به ( 2 ) في الحال والمتشابه يحتاج إلى ذكر مبتدأ ونظر مجدد عند سماعه ليحمله على الوجه المطابق ولأن المحكم أصل والعلم بالأصل أسبق ولأن المحكم يعلم مفصلا والمتشابه لا يعلم إلا مجملا فإن قيل إذا كان المحكم بالوضع كالمتشابه وقد قلت إن من

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

حق هذه اللغة أن يصح فيها الاحتمال ويسوغ التأويل فيما يميز المحكم في أنه لا بد له من مزية سيما والناس قد اختلفوا فيهما كاختلافهم في المذاهب فالمحكم عند السني متشابه عند القدري

فالجواب أن الوجه الذي أوردته ( 3 ) يلجئ إلى الرجوع إلى العقول فيما يتعلق بالتفريد والتنزيه فإن العلم بصحة خطابه يفتقر إلى العلم بحكمته وذلك يتعلق بصفاته فلا بد من تقدم معرفته ليصح له مخرج كلامه فأما في الكلام فيما يدل على الحلال والحرام فلا بد من مزية للمحكم وهو أن يدل ظاهره على المراد أو يقتضي بانضمامه أنه مما لا يحتمل الوجه الواحد

وللمحكم في باب الحجاج عند غير المخالف مزية لأنه لا يمكن أن يبين له أنه مخالف للقرآن وأن ظاهر المحكم يدل على خلاف ما ذهب إليه وإن تمسك بمتشابه القرآن وعدل عن محكمه لما أنه تمسك بالشبه العقلية وعدل عن الأدلة السمعية وذلك لطف وبعث على النظر لأن المخالف المتدين يؤثر ذلك ليتفكر فيه ويعمل فإن اللغة وإن توقفت محتملة ففيها ما يدل ظاهره على أمر واحد وإن جاز صرفه إلى غيره بالدليل ثم يختلف فيه ما يكره صرفه لاستبعاده في اللغة النوع السابع والثلاثون في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات

وقد اختلف الناس في الوارد منها في الآيات والأحاديث على ثلاث فرق

أحدها أنه لا مدخل للتأويل فيها بل تجري على ظاهرها ولا تؤول شيئاً منها وهم المشبهة

والثاني أن لها تأويلاً ولكنها تمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا عن الشبه والتعطيل ونقول لا يعلمه إلا الله وهو قول السلف

والثالث أنها مؤولة وأولوها على ما يليق به

والأول باطل والأخيران منقولان عن الصحابة فنقل الإمساك عن أم سلمة أنها سئلت عن الاستواء فقالت الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وكذلك



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

سئل عنه مالك فأجاب بما قالته أم سلمة إلا أنه زاد فيها أن من عاد إلى هذا السؤال عنه أضرب عنقه وكذلك سئل سفيان الثوري فقال أفهم من قوله ( الرحمن على العرش استوى ) ( 1 ما أفهم من قوله ) ثم استوى إلى السماء ( 2 وسئل الأوزاعي عن تفسير هذه الآية فقال ) الرحمن على العرش استوى ( 1 كما قال واني لأراك ضالا وسئل ابن راهويه عن الاستواء أقائم هو أم قاعد فقال لا يمل القيام حتى يقعد ولا يمل القعود حتى يقوم وأنت إلى هذا السؤال أحوج

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح وعلى هذه الطريقة مضى صدر الأمة وسادتها

وإياها اختار أئمة الفقهاء وقادتها وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأبأها وأفصح الغزالي عنهم في غير موضع بتهجين ما سواها حتى ألجم آخرها في ( إجماعه ) كل عالم أو عامي عما عداها قال وهو كتاب ( إجماع العوام عن علم الكلام ) ( 1 ) آخر تصانيف الغزالي مطلقا آخر تصانيفه في أصول الدين حث فيه على مذاهب السلف ومن تبعهم

وممن نقل عنه التأويل علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم وقال الغزالي في كتاب ( التفرقة بين الإسلام والزندقة ) ( 2 ) إن الإمام أحمد أول في ثلاثة مواضع ( 3 ) وأنكر ذلك عليه بعض المتأخرين

قلت وقد حكى ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى تأويل أحمد في قوله تعالى ( أو يأتي ربك ) 4 قال وهل هو إلا أمره بدليل قوله ( أو يأتي أمر ربك ) 5 واختار ابن برهان ( 6 ) وغيره من الأشعرية التأويل قال ومنشأ الخلاف بين الفريقين أنه هل يجوز في القرآن شيء لا يعلم معناه فعندهم يجوز فلهذا منعوا التأويل واعتقدوا التنزيه على ما يعلمه الله وعندنا لا يجوز ذلك بل الراسخون يعلمونه

قلت وإنما حملهم على التأويل وجوب حمل الكلام على خلاف المفهوم من حقيقته لقيام الأدلة على استحالة التشابه والجسمية في حق البارئ تعالى والخوض في مثل هذه الأمور

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

خطره عظيم وليس بين المعقول والمنقول تغاير في الأصول بل التغاير إنما يكون في الألفاظ واستعمال المجاز لغة العرب وإنما قلنا لا تغاير بينهما في الأصول لما علم بالدليل أن العقل لا يكذب ما ورد به الشرع إذ لا يرد الشرع بما لا يفهمه العقل إذ هو دليل الشرع وكونه حقا ولو تصور كذب العقل في شيء لتصور كذبه في صدق الشرع فمن طالعت ممارسته العلوم وكثر خوضه في بحورها أمكنه التلفيق بينهما لكنه لا يخلو من أحد أمرين إما تأويل يبعد عن الأفهام أو موضع لا يتبين فيه وجه التأويل لقصور الأفهام عن إدراك الحقيقة والطمع في تليق كل ما يرد مستحيل ( 1 ) المرام والمرد إلى قوله ) ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير ( 2 ) ونحن نجري في هذا الباب على طريق المؤولين حاكين كلامهم

فمن ذلك صفة الاستواء فحكى مقاتل والكلبي عن ابن عباس أن استوى ( 2 ) بمعنى استقر وهذا إن صح يحتاج إلى تأويل فإن الاستقرار يشعر بالتجسيم وعن المعتزلة بمعنى ( استولى وقهر ) ورد بوجهين أحدهما بأن الله تعالى مستول على ( 1 ) الكونين والجنة والنار وأهلها فأى فائدة في تخصيص العرش الثاني أن الاستيلاء إنما يكون بعد قهر وغلبة والله تعالى منزه عن ذلك قاله ابن الأعرابي وقال أبو عبيد بمعنى ( صعد ) ورد بأنه يوجب هبوطا منه تعالى حتى يصعد وهو منفي عن الله وقيل ( الرحمن على العرش استوى ) فجعل ( علا ) فعلا لا حرفا حكاه الأستاذ إسماعيل الضير ( 2 ) في تفسيره ورد ( 3 ) بوجهين أحدهما أنه جعل الصفة فعلا ومصاحف أهل الشام والعراق والحجاز قاطعة بأن ( على ) هنا حرف ولو كان فعلا لكتبوها باللام ألف كقوله ) ولعلا بعضهم على بعض ( 4 ) والثاني أنه رفع العرش ولم يرفعه أحد من القراء وقيل تم الكلام عند قوله ) الرحمن على العرش ( ثم ابتداء

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

بقوله ( استوى له ما في السماوات وما في الأرض ) 5 وهذا  
ركبك يزيل الآية عن نظمها ومرادها  
قال الأستاذ والصواب ما قاله الفراء ( 1 ) والأشعري ( 2 )  
وجماعة من أهل المعاني إن معنى قوله ( استوى ) أقبل على  
خلق العرش وعمد إلى خلقه فسماه استواء كقوله ( ثم  
استوى إلى السماء وهي دخان ) 3 أي قصد وعمد إلى خلق  
السماء فكذا هاهنا قال وهذا القول مرضي عند العلماء ليس  
فيه تعطيل ولا تشبيه  
قال الأشعري ( على ) هنا بمعنى ( في ) كما قال تعالى ( على  
ملك سليمان ) 4 ومعناه أحدث الله في العرش فعلا سماه  
استواء كما فعل فعلا سماه فضلا ونعمة قال تعالى ( ولكن الله  
حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر  
والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة  
5 ) فسمى التحيب والتكريه فضلا ونعمة وكذلك قوله ( فأتى  
الله بنيانهم من القواعد ) 6 أي فخرّب الله بنيانهم وقال (  
فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ) 7 أي قصدهم وكما أن  
التخريب والتعذيب سماها إتيانا فكذلك أحدث فعلا بالعرش  
سماه استواء  
قال وهذا قول مرضي عند العلماء لسلامته من التشبيه  
والتعطيل وللعرش خصوصية ليست لغيره من المخلوقات لأنه  
أول خلق الله وأعظم والملائكة حافون به ودرجة الوسيلة  
متصلة به وأنه سقف الجنة وغير ذلك  
وقوله تعالى ( تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ) 1  
قيل النفس هاهنا الغيث تشبيها له بالنفس لأنه مستتر كالنفس

قوله ( ويحذركم الله نفسه ) 2 أي عقوبته وقيل يحذركم الله  
إياه  
قوله تعالى ( وهو الله في السماوات وفي الأرض ) 3 اختار  
البيهقي معناه أنه المعبود في السماوات والأرض مثل قوله  
تعالى ( وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ) 4 وهذا  
القول هو أصح الأقوال وقال الأشعري في ( الموجز ) ( وهو

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الله في السماوات وفي الأرض يعلم ( أي عالم بما فيهما وقيل  
( وهو الله في السماوات ( جملة تامة ) وفي الأرض يعلم  
( كلام آخر وهذا قول المجسمة واستدلت الجهمية بهذه الآية  
على أنه تعالى في كل مكان وظاهر ما فهموه من الآية من  
أسخف الأقوال

قوله تعالى ( وجاء ربك والملك ( 5 قيل استعارة الواو موضع  
الباء لمناسبة بينهما في معنى الجمع إذ الباء موضوعة للإلصاق  
وهو جمع والواو موضوعة للجمع والحروف ينوب بعضها عن  
بعض وتقول عرفا جاء الأمير بالجيش إذا كان مجيئهم مضافا  
إليه بتسليطه أو بأمره ولا شك أن الملك إنما يجيء بأمره على  
ما قال تعالى ( وهم بأمره يعملون ( 6 فصار كما لو صرح به  
وقال جاء الملك بأمر ربك وهو كقوله

( فاذهب أنت وربك ( 1 أي اذهب أنت بربك أي بتوفيق ربك  
وقوته إذ معلوم أنه إنما يقاتل بذلك من حيث صرف الكلام  
إلى المفهوم في العرف

قوله تعالى ( يوم يكشف عن ساق ( 2 قال قتادة عن شدة  
وقال إبراهيم النخعي ( 3 ) أي عن أمر عظيم قال الشاعر  
وقامت الحرب عن ساق

وأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج  
إلى معاناة وجد فيه شمر عن ساقه فاستعيرت  
الساق في موضع الشدة

قوله تعالى ٢ ما فرطت في جنب الله 4 آ قال  
اللغويون معناه ما فرطت في طاعة الله وأمره لأن  
التفريط لا يقع إلا في ذلك والجنب المعهود من  
ذوي الجوارح لا يقع فيه تفريط البتة فكيف يجوز  
وصف القديم سبحانه بما لا يجوز

قوله تعالى ٣ سنفرغ لكم أيها الثقلان 5 آ فرغ يأتي  
بمعنى قطع شغلا أتفرغ لك أي أقصد قصدك والآية  
منه أي سنقصد لعقوبتكم ونحكم جزاءكم

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

قوله تعالى ۞ وإني لأظنه كاذبا 6 آ إن قيل لأي علة  
نسب الظن إلى الله وهو شك

قيل فيه جوابان  
أحدهما أن يكون الظن لفرعون وهو شك لأنه قال قبله ( فأطلع إلى إله موسى ( وإني لأظن موسى كاذبا فالظن على هذا لفرعون

والثاني أن يكون تم الكلام عند قوله ( أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه ( على معنى وإني لأعلمه كاذبا فإذا كان الظن لله كان علما وبقينا ولم يكن شكا كقوله ( إني ظننت أني ملاق حسابه ( 1

وقوله ( لا تأخذه سنة ولا نوم ( 2 لم يرد سبحانه بنفي النوم والسنة عن نفسه إثبات اليقظة والحركة لأنه لا يقال لله تعالى يقظان ولا نائم لأن اليقظان لا يكون إلا عن نوم ولا يجوز وصف القديم به وإنما أراد بذلك نفي الجهل والغفلة كقوله ما أنا عنك بغافل

قوله تعالى ( لما خلقت بيدي ( 3 قال السهيلي اليد في الأصل كالمصدر عبارة عن صفة لموصوف ولذلك مدح سبحانه وتعالى بالأيدي مقرونة مع الإبصار في قوله ( أولي الأيدي والأبصار ( 4 ولم يمدحهم بالجوارح لأن المدح إنما يتعلق بالصفات لا بالجواهر قال وإذا ثبت هذا فصح قول الأشعري إن اليدين ( 5 ) في قوله تعالى ( لما خلقت بيدي ( 6 صفة ورد بها الشرع ولم يقل إنها في معنى القدرة كما قال المتأخرون من أصحابه ولا بمعنى النعمة ولا قطع بشيء من التاويلات تحرزا منه عن مخالفة السلف وقطع بأنها صفة تحرزا عني مذاهب المشبهة

فإن قيل وكيف خوطبوا بما لا يعلمون إذ اليد بمعنى الصفة لا يعرفونه ولذلك لم يسأل أحد منهم عن معناها ولا خاف على نفسه توهم التشبيه ولا احتاج إلى شرح وتنبيه وكذلك الكفار لو كان لا يعقل عندهم إلا في الجارحة لتعلقوا بها في دعوى التناقض واحتجوا بها على الرسول ولقالوا زعمت أن الله ليس

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

كمثله شيء ثم تخبر أن له يدا ولما لم ينقل ذلك عن مؤمن ولا كافر علم أن الأمر عندهم كان جليا لا خفاء به لأنها صفة سميت الجارحة بها مجازا ثم استمر المجاز ( 1 ) فيها حتى نسيت الحقيقة ورب مجاز كثير استعمل حتى نسي أصله وتركت صفته والذي يلوح من معنى هذه الصفة أنها قريبة من معنى القدرة إلا أنها أخص والقدرة أعم كالمحبة مع الإرادة والمشية فاليد أخص من معنى القدرة ولذا كان فيها تشريف لازم

وقال البغوي في تفسير قوله تعالى ( لما خلقت بيدي ) 2 في تحقيق الله التثنية في اليد دليل على أنه ليس بمعنى النعمة والقوة والقدرة وإنما هما صفتان من صفات ذاته قال مجاهد اليد هاهنا بمعنى التأكيد والصلة مجازه ( لما خلقت ) كقوله ( ويبقى وجه ربك ) 3 قال البغوي وهذا تأويل غير قوي لأنها لو كانت صلة لكان لإبليس أن يقول إن كنت خلقتك فقد خلقتني وكذلك في القدرة والنعمة لا يكون لآدم في الخلق مزية على إبليس وأما قوله تعالى ( مما عملت أيدينا ) 4 فإن العرب تسمى الاثنين جمعا كقوله تعالى ( هذان خصمان اختصموا ) 5 وأما العين في الأصل فهي صفة ومصدر لمن قامت به ثم عبر عن حقيقة الشيء بالعين قال وحينئذ فإضافتها للبارئ في قوله ( ولتصنع على عيني ) 1 حقيقة لا مجاز كما توهم أكثر الناس لأنه صفة في معنى الرؤية والإدراك وإنما المجاز في تسمية العضو بها وكل شيء يوهم الكفر والتجسيم فلا يضاف إلى البارئ سبحانه لا حقيقة ولا مجازا

قال السهيلي ومن فوائد هذه المسألة أن يسأل عن المعنى الذي لأجله قال ( ولتصنع على عيني ) 2 بحرف ( على ) وقال ( تجري بأعيننا ) 3 واصنع الفلك بأعيننا ) 4 وما الفرق والفرق أن الآية الأولى وردت في إظهار أمر كان خفيا وإبداء ما كان مكنونا فإن الأطفال إذ ذاك كانوا يغذون ويصنعون شرا فلما أراد أن يصنع موسى ويغذى ويربى على جلي آمن وظهور أمر لا تحت خوف واستسرار دخلت ( على ) في اللفظ تنبيها على المعنى لأنها تعطي معنى الاستعلاء والاستعلاء ظهور

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وإبداء فكأنه سبحانه يقول ولتصنع على أمن لا تحت خوف  
وذكر العين لتضمنها معنى الرعاية والكلاً وأما قوله ( تجري  
بأعيننا ( 3 ) واصنع الفلك بأعيننا ( 4 ) فإنه إنما يريد في رعاية  
منا وحفظ ولا يريد إبداء شيء ولا إظهاره بعد كتم فلم يحتج  
الكلام إلا معنى ( على )  
ولم يتكلم السهيلي على حكمة الأفراد في قصة موسى  
والجمع في الباقي وهو سر لطيف وهو إظهار الاختصاص الذي  
خص به موسى في قوله ( واصطنعتك لنفسي ( 5 )  
فاقتضى الاختصاص الآخر في قوله ( ولتصنع على  
عيني ( 1 بخلاف قوله ( تجري بأعيننا ( 2 ) واصنع الفلك  
بأعيننا ( 3 فليس فيه من الاختصاص ما في صنع موسى على  
عينه سبحانه  
قال السهيلي رحمه الله وأما النفس فعبارة عن حقيقة الوجود  
دون معنى زائد وقد استعمل من لفظها النفاسة والشيء  
النفيس فصلحت للتعبير عنه سبحانه بخلاف ما تقدم من  
الألفاظ المجازية  
وأما الذات فقد استوى أكثر الناس بأنها معنى النفس والحقيقة  
ويقولون ذات البارئ هي نفسه ويعبرون بها عن وجوده  
وحقيقته ويحتجون بقوله ﷻ في قصة إبراهيم ( ثلاث كذبات  
كلهن في ذات الله )  
قال وليست هذه اللفظة إذا استقرتها في اللغة والشريعة كما  
زعموا وإلا ل قيل عبت ذات الله واحذر ذات الله وهو غير  
مسموع ولا يقال إلا بحرف في المستحل معناه في حق البارئ  
تعالى لكن حيث وقع فالمراد به الديانة والشريعة التي هي  
ذات الله فذات وصف للديانة هذا هو المفهوم من كلام العرب  
وقد بان غلط من جعلها عبارة عن نفس ما أضيف إليه ومنه  
إطلاق العجب على الله تعالى في قوله ( بل عجبت ( 4 على  
قراءة حمزة والكسائي بضم التاء على معنى أنهم قد حلوا  
محل من يتعجب منهم  
قال الحسين بن الفضل العجب من الله تعالى إنكار الشيء  
وتعظيمه وهو لغة

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

العرب وفي الحديث ( عجب ربكم من زللكم وقنوطكم )  
وقوله ( إن الله يعجب من الشاب إذا لم يكن له صبوة )  
قال البغوي وسمعت أبا القاسم النيسابوري قال سمعت أبا  
عبد الله البغدادي يقول سئل الجنيد عن هذه الآية فقال إن الله  
لا يعجب من شيء ولكن الله وافق رسوله فقال ( وإن تعجب  
فعجب قولهم ( 1 أي هو كما يقوله فائدة  
كل ما جاء في القرآن العظيم من نحو قوله تعالى ) لعلكم  
تفلحون ( أو ) تتقون ( أو ) تشكرون ( فالمعتزلة يفسرونه  
بالإرادة لأن عندهم أنه تعالى لا يريد إلا الخير ووقوع الشر على  
خلاف إرادته وأهل السنة يفسرونه بالطلب لما في الترجي من  
معنى الطلب والطلب غير الإرادة على ما تقرر في الأصول  
فكانه قال كونوا متقين أو مفلحين إذ يستحيل وقوع شيء في  
الوجود على خلاف إرادته تعالى بل كل الكائنات مخلوقة له  
تعالى ووقوعها بإرادته تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا  
النوع الثامن والثلاثون معرفة إعجازه  
وقد اعتنى بذلك الأئمة وأفردوه بالتصنيف منهم القاضي أبو  
بكر بن الباقلاني ( 1 ) قال ابن العربي ولم يصنف مثله وكتاب  
الخطابي ( 2 ) والرماني والبرهان لعزيزي ( 3 ) وغيرهم  
وهو علم جليل عظيم القدر لأن نبوة النبي ﷺ معجزتها الباقية  
القرآن وهو يوجب الاهتمام بمعرفة الإعجاز قال تعالى ( كتاب  
أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم  
إلى صراط العزيز الحميد ( 4 وقال سبحانه ) وإن أحد من  
المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ( 5 فلولا أن  
سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا تكون  
حجة إلا وهي معجزة وقال تعالى ( وقالوا لولا أنزل عليه آيات  
من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم  
أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ( 6 فأخبر  
أن الكتاب آية من آياته وأنه كاف في الدلالة قائم مقام  
معجزات غيره وآيات سواه من الأنبياء  
ولما جاء به صلى الله عليه وسلم إليهم وكانوا أفصح الفصحاء  
ومصاقع الخطباء تحداهم على أن يأتوا بمثله وأمهلهم طول



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

السنين ( 1 فلم يقدرُوا يقال تحدى فلان فلانا إذا دعاه إلى أمر ليظهر عجزه فيه ونازعه الغلبة في قتال أو كلام غيره ومنه أنا حدياك أي ابرزلي وحدك  
واعلم أن النبي ﷺ تحدى العرب قاطبة بالقرآن حين قالوا افتراه فأنزل الله عز وجل عليه ) أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله ( 2 فلما عجزوا عن الإتيان بنشر سور تشاكل القرآن قال تعالى ) فأتوا بسورة من مثله ( 3 ثم كرر هذا فقال ) وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ( 3 أي من كلام مثله وقيل من بشر مثله ويحقق القول الأول الآيتان السابقتان فلما عجزوا عن أن يأتوا بسورة تشبه القرآن على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء 1 ) قال ( قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) 4 فقد ثبت أنه تحداهم به وأنهم لم يأتوا بمثله لعجزهم عنه لأنهم لو قدرُوا على ذلك لفعلوا ولما عدلوا إلى العناد تارة والاستهزاء أخرى فتارة قالوا ( سحر ) وتارة قالوا ( شعر ) وتارة قالوا ( أساطير الأولين ) كل ذلك من التحير والانقطاع  
قال ابن أبي ( 1 ) طالب مكي ( 1 ) في ( اختصاره نظم القرآن للجرجاني ) قال المؤلف أنزله بلسان عربي مبين بضروب من النظم مختلفة على عادات العرب ولكن الأعصار تتغير وتطول فيتغير النظم عند المتأخرين لقصور أفهامهم والنظر كله جار على لغة العرب ولا يجوز أن ينزله على نظم ليس من لسانهم لأنه لا يكون حجة عليهم بدليل قوله تعالى ( أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله ( 2 وفي قوله ) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ( 3 فأخبر أنهم لم يعلموه لجهلهم به وهو كلام عربي  
قال أبو محمد لا يحتمل أن يكون جهلهم إلا من قبل أنهم أعرضوا عن قبوله ولا يجوز أن يكون نزل بنظم لم يعرفوه إذ لا يكون عليهم حجة وجهلنا بالنظم لتأخرنا عن رتب القوم الذي نزل عليهم جائز ولا يمنع فمن ( 4 ) نزل عليهم كان يفهمه إذا تدبره لأنه بلغته ونحن إنما ( 5 ) نفهم بالتعليم انتهى

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وهذا الذي قاله مشكل فإن كبار الصحابة رضي الله عنهم حفظوا البقرة في مدة متطاولة لأنهم كانوا يحفظون مع التفهم وإعجاز القرآن ذكر من وجهين أحدهما إعجاز متعلق بنفسه والثاني بصرف الناس عن معارضته ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله معجز واختلفوا في إعجازه ف قيل إن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات وإن العرب كلفت في ذلك ما لا تطيق وفيه وقع عجزها والجمهور على أنه إنما وقع بالبدال على القديم ( 1 ) وهو الألفاظ فإذا ثبت ذلك فاعلم أنه لا يصح التحدي بشيء مع جهل المخاطب بالجهة التي وقع بها التحدي ولا يتجه قول القائل لمثله إن صنعت خاتما كنت قادرا على أن تصنع مثله إلا بعد أن يمكنه من الجهة التي تدعي عجز المخاطب عنها فنقول الإعجاز في القرآن العظيم إما أن يعني بالنسبة إلى ذاته أو إلى عوارضه من الحركات والتأليف أو إلى مدلوله أو إلى المجموع أو إلى أمر خارج عن ذلك لا جائز أن يكون الإعجاز حصل من جهة ذوات الكلم المفردة فقط لأن العرب قاطبة كانوا يأتون بها ولا جائز أن يكون الإعجاز وقع بالنسبة إلى العوارض من الحركات والتأليف فقط لأنه يحوج إلى ما تعاطاه مسيلمة من الحماسة ( إنا أعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر إن شانتك هو الكافر ) ولو كان الإعجاز راجعا في الإعراب والتأليف المجرد لم يعجز صغيرهم عن تأليف ألفاظ معربة فضلا عن كبيرهم ولا جائز أن يقع بالنسبة إلى المعاني فقط لأنها ليست من صنيع البشر وليس لهم قدرة على إظهارها من غير ما يدل عليها ولا جائز أن ترجع إلى المجموع لأننا قد بينا بطلانه بالنسبة إلى كل واحد فيتعين أن يكون الإعجاز لأمر خارج غير ذلك بيان الأقوال المختلفة في وجوه الإعجاز وقد اختلف فيه على أقوال

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

أحدهما وهو قول النظام ( 2 ) إن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات وهو قول فاسد يدل قوله تعالى ( قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) 1 فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سئلوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن فكيف يكون معجزا غيره وليس فيه صفة إعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم قدرتهم عن الإتيان بمثله وأيضا يلزم من القول بالصرفة فساد آخر وهو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الإعجاز وفي ذلك خرق لإجماع الأمة فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول العظمى ولا معجزة له باقية سوى القرآن وخلوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة

قال القاضي أبو بكر ( 2 ) ( ومما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وإنما يكون المنع معجزا ( 3 ) فلا يتضمن الكلام فضلا ( 4 ) على غيره في نفسه )  
( وليس هذا بأعجب مما ذهب إليه فريق منهم أن الكل قادرون على الإتيان بمثله وإنما تأخروا ( 5 ) عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه ولا بأعجب من قول فريق منهم إنه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله في هذا الباب وإنما يصح من كل واحد منهما الإعجاز على حد واحد ) ( 1 )  
( وزعم قوم أن ابن المقفع عارض القرآن وإنما وضع حكما ) ( 2 )

الثاني أن وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف وهو بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة وعلت مركباته معنى بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى واختاره ابن الزمكاني ( 3 ) في البرهان

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الثالث ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية ولم يكن ذلك من شأن العرب كقوله تعالى ( قل للمخلفين من الأعراب ( 4 وقوله في أهل بدر ) سيهزم الجمع ويولون الدبر )  
1 وقوله ( لقد صدق الله رسوله الرؤيا ( 2 وكقوله ) وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ( 3 وقوله ) الم غلبت الروم ( 4 وغير ذلك مما أخبر به بأنه سيقع فوق

ورد هذا القول بأنه يستلزم أن الآيات التي لا خبر فيها بذلك لا إعجاز فيها وهو باطل فقد جعل الله كل سورة معجزة بنفسها الرابع ما تضمن من إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها وقال ( تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا )  
5 الآية

وهو مردود بما سبق نعم هذا والذي قبله من أنواع الإعجاز إلا أنه منحصر فيه  
الخامس إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله ( إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ( 6 وقوله ) وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله ( 7 وقوله ) وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون ( 8 الآية وكإخباره عن اليهود أنهم لا يتمنون الموت أبدا

السادس وصحة ابن ( 1 ) عطية وقال إنه الذي عليه الجمهور والحذاق وهو الصحيح في نفسه وأن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه ووجه إعجازه أن الله أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله علما فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى ويتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم بالضرورة ( 2 ) أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك ( 3 ) وبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا النطق ( 4 ) يبطل قول من قال إن العرب كان في قدرتها الإتيان ( 5 ) بمثله فلما

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

جاءهم النبي ﷺ صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه  
والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم ( 6 ) يكن قط في قدرة أحد  
من المخلوقين ولهذا ترى البليغ ينقح الخطبة أو القصيدة حولا  
ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلم جرا وكتاب الله ( 6 ) سبحانه لو  
نزعت منه لفظة ثم أدبر لسان العرب على لفظه ( 7 ) أحسن  
منها لم توجد

ونحن نتبين لنا البراعة في أكثره ويخفي وجهها في مواضع  
لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجوده  
القريحة وميز الكلام ( 7 )

وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة  
ومظنة المعارضة كما قامت

الحجة في معجزة عيسى بالأطباء و في ( 1 ) موسى بالسحرة  
فإن الله تعالى إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبرع  
ما تكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره فكان السحر في  
مدة موسى قد انتهى إلى غايته وكذا الطب في زمان عيسى  
والفصاحة في مدة محمد ﷺ

السابع أن وجه الإعجاز الفصاحة و غرابة الأسلوب والسلامة  
من جميع العيوب وغير ذلك مقترنا بالتحدي واختاره الإمام فخر  
الدين ( 2 ) وهو قريب مما سبق وقد قال تعالى ( قل لئن  
اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون  
بمثله ( 3 ) والمراد بمثل نظمه بدليل قوله تعالى ) فأتوا بسورة  
من مثله ( 4 ) وقول من قال إن الضمير في ) من مثله ( عائد  
على الله ضعيف بقوله ) بعشر سور مثله ( 5 ) والسياق واحد  
الثامن ما فيه من النظم والتأليف والترصيف وأنه خارج عن  
جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب  
خطاباتهم واختاره القاضي أبو بكر ( 6 )

قال ولهذا لم يمكنهم معارضته

قال ( 1 ) ولا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن ( 2 ) من أصناف  
البديع التي أدعوها في الشعر لأنه ليس مما يخرق العادة ( 2 )  
بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدريب والتصنع له كقول الشعر  
ورصف الخطب وصناعة الرسالة والحدق في البلاغة وله

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

طريق يسلك ( 3 ) فأما شأو نظم القرآن فليس له مثال يحتذى عليه ولا إمام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقاً قال ونحن نعتقد أن الإعجاز في بعض القرآن أظهر وفي بعض أدق وأغمض

ثم قال القاضي فإن قيل ( 4 ) ما الذي وقع التحدي به أهو الحروف المنظومة أو الكلام القائم بالذات أو غيره قلنا الذي تحداهم به أن يأتوا على الحروف التي هي نظم القرآن منظومة حكمها متتابعها كتتابعها مطردة كاطرادها ولم يتحدهم إلى أن يأتوا بالكلام القديم الذي لا مثل له ( 5 ) وقال بعض الأئمة ليس الإعجاز المتحدى به إلا في النظم لا في المفهوم لأن المفهوم لم يمكن الإحاطة به ولا الوقوف على حقيقة المراد منه فكيف يتصور أن يتحدى بما لا يمكن الوقوف عليه إذ هو يسع كل شيء فأى شيء قوبل به ادعى أنه غير المراد ويتسلسل التاسع أنه شيء لا يمكن التعبير عنه وهو اختيار السكاكي حيث قال في ( المفتاح ) ( 1 ) واعلم أن شأن الإعجاز عجيب ( 2 ) يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحظة وكما يدرك ( 2 ) طيب النغم العارض لهذا الصوت ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة إلا بإتقان علمي المعاني والبيان والتمرن فيهما ( 2 )

وقال أبو حيان التوحيدي في ( البصائر ) ( 3 ) لم أسمع كلاماً ألصق بالقلب وأعلق بالنفس من فصل تكلم به بNDAR بن الحسين الفارسي وكان بحراً في العلم وقد سئل عن موضع الإعجاز من القرآن فقال هذه مسألة فيها حيف على المفتي ( 4 ) وذلك أنه شبيه بقولك ما موضع الإنسان من الإنسان فليس للإنسان موضع من الإنسان بل متى أشرت إلى جملته فقد حقيقته ودلت على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاولة وهدى لقائله وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

العاشر وهو قول حازم ( 1 ) في ( منهاج البلاغة ) إن الإعجاز فيه من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحاءها في جميعه استمرارا لا توجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحاءها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود ثم تعرض الفترات الإنسانية فتقطع طيب الكلام ورونقه فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه بل توجد في تفاريق وأجزاء منه والفترات في الفصاحة تقع للفصيح إما بسهو يعرض له في الشيء من غير أن يكون جاهلا به أو من جهل به أو من سامة تعتري فكره أو من هوى للنفس يغلب عليها فيما يحوش عليها خاطره من اقتناص المعاني سميها كان أو غثا فهذه آفات لا يخلو منها الإنسان الفاضل والطبع الكامل وهو قريب مما ذكره ابن الزملكاني وابن عطية الحادي عشر قال الخطابي ( 2 ) في كتابه وإليه ( 3 ) ذهب الأكثرون من علماء النظر إن وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة لكن لما صعب عليهم تفصيلها صغوا فيه إلى حكم الذوق والقبول عند النفس

قال والتحقيق أن أجناس الكلام مختلفة ومراتبها في درجة البيان متفاوتة ( 4 ) ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية ( 5 ) فمنها البليغ الرصين الجزل ومنها الفصيح القريب السهل ومنها الجائز الطلق الرسل وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتة

فالقسم الأول أعلاه والثاني أوسطه والثالث أدناه وأقربه فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة وأخذت من كل نوع شعبة فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتى الفخامة والعدوبة وهما على الانفراد فى نعوتهما كالمتضادين لأن العدوبة نتاج السهولة والجزالة والمتانة فى الكلام يعالجان نوعا من الوعورة فكان اجتماع الأمرين فى نظمه مع نبو كل منهما عن الآخر فضيلة خص بها القرآن يسرها الله بلطيف قدرته ليكون آية بينة لنبية

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ودلالة على صحة ما دعا إليه من أمر دينه  
وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمر  
منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وأوضاعها  
التي هي ظروف المعانى والحوامل  
ولا تدرك أفهامهم جميع معانى الأشياء المحمولة على تلك  
الألفاظ ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه النظم التي  
بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض فيتوصلوا باختيار  
الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلا أن يأتوا بكلام مثله  
وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة لفظ حامل ومعنى به  
قائم ورباط لهما ناظم  
وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية الشرف  
والفضيلة حتى لا ترى  
شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ولا ترى  
نظما أحسن تأليفا وأشد تلاءما وتشاكلا من نظمه وأما معانيه  
فكل ذى لب يشهد له بالتقديم فى أبوابه والرقى فى أعلى  
درجاته  
وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق فى أنواع الكلام  
وأما أن توجد مجمة على فى نوع واحد منه فلم توجد إلا فى  
كلام العليم القدير الذى أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ  
عددا  
فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح  
الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعانى من  
توحيد الله تعالى وتنزيهه فى صفاته ودعاء إلى طاعته وبيان  
لطريق عبادته فى تحليل وتحريم وحظر وإباحة ومن وعظ  
وتقويم وأمر بمعروف ونهى عن منكر وإرشاد إلى محاسن  
الأخلاق وزجر عن مساوئها واضعا كل شئ منها موضعه الذى لا  
يرى شئ أولى منه ولا يتوهم فى صورة العقل أمر أليق به منه  
مودعا أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن  
عصى وعاند منهم منبئا عن الكوائن المستقبلية فى الأعصار  
الماضية من الزمان جامعا فى ذلك بين الحجة والمحتج له



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه  
وإنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه  
ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين أشتاتها حتى  
تتنظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرتهم  
فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله ومنقصته فى  
شكله ثم صار المعاندون له ممن كفر به وأنكره يقولون مرة  
إنه شعر لما رأوه منظوما ومرة إنه سحر لما رأوه معجوزا عنه  
غير مقدور عليه وقد كانوا يجدون له وقعا فى القلب وقرعا فى  
النفس يريبهم ويحيرهم فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعا من  
الاعتراف ولذلك قالوا إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وكانوا  
مرة لجهلهم وحيرتهم يقولون ( أساطير الأولين اكتتبها فهي  
تملى عليه بكرة وأصيلا ) مع علمهم أن صاحبهم أمى وليس  
يحضرته من يملى أو يكتب شيئا ونحو ذلك من الأمور التى  
أوجبها العناد والجهل والعجز وقد حكى الله عن بعض مردتهم  
وهو الوليد بن المغيرة المخزومى أنه لما طال فكره فى القآن  
وكثر ضجره منه وضرب له الأخماس من رأيه فبالسداس فلم  
يقدر على أكثر من قوله ( إن هذا إلاقول البشر ) عنادا وجهلا  
به وذهابا عن الحجة وانقطاعا دونها  
ثم اعلم أن عمود البلاغة التى تجتمع لها هذه الصفات هو وضع  
كل نوع من الألفاظ

التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به  
الذى إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذى يفسد  
به الكلام أو إهاب الرنونق الذى تسقط به البلاغة وذلك أن  
فى الكلام ألفاظا مترادفة متقاربة المعانى فى زعم أكثر  
الناس كالعلم والمعرفة والشح والبخل والنعى والصفة وكذا  
بلى ونعم ومن وعن ونحوها من الأسماء والأفعال والحروف  
والأمر فيها عند الحذاق بخلاف ذلك لأن كل لفظة منها خاصة  
تتميز بها عن صاحبيتها فى بقض معانيها وإن اشتركا فى بعضها  
ولهذا قال أبو العالية فى قوله تعالى ( الذين هم عن صلاتهم  
ساهون ) أنه الذى ينصرف ولا يدرى عن شفع أو وتر فرد عليه  
الحسن بأنه لو كان كذلك لقال ( الذين هم فى صلاتهم ) فلم

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

يقرق أبو العالية بين ( و ) عن ( حتى تنبه له الحسن وقال المراد به إخراجها عن وقتها فإن قيل فهلا جعل في كل سورة نوعا من الأنواع قيل إنما أنزل القرآن على هذه الصفة من جمع أشياء مختلفة المعاني في السورة الواحدة وفي الآي المجموعة القليلة العدد ليكون أكثر لفائده وأعم لمنفعته ولو كان لكل باب منه قبيل ولكل معنى سورة مفردة لم تكثر عائدته ولكان الواحد من الكفار المنكرين والمعاندين إذا سمع السورة لا تعوم عليه الحجة به إلا في النوع الواحد الذي تضمنته السورة الواحدة فقط وكان في اجتماع المعاني الكثيرة في السورة الواحدة أوفر حظا وأجدي نفعاً من التخيير لما ذكرناه

قال الخطابي وقلت في إعجاز القرآن وجهها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ في أحادهم وهو صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منشورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في حال أخرى ما يخلص منه إليه قال الله تعالى ( لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ( وقال تعالى ) الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ( الآية

قلت ولهذا أسلم جبير بن مطعم لما سمع قراءة النبي ﷺ للطور حتى انتهى إلى قوله ( إن عذاب ربك لواقع ) قال حشيت أن يدركني العذاب وفي لفظ كاد قلبي يطير فأسلم وفي أثر آخر أن عمر لما سمع سورة طه أسلم وغير ذلك وقد صنف بعضهم كتابا فيمن مات بسماع آية من القرآن الثاني عشر وهو قول أهل التحقيق إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد عن انفراده فإنه جمع كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق فمنها الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم سواء المقرين والجاحدين ثم إن سامعه

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

إن كان مؤمنا به بداخله روعة فى أول سماعه وخشية ثم لا يزال يجد فى قلبه هشاشة إليه ومحبة له وإن كان جاحدا وجد فيه مع تلك الروعة نفورا ووعيا لا نقطاع مادته بحسن سمعه ومنها أنه لم يزل ولا يزال ولا يزال غضا طريا فى أسمع السامعين وعلى السنة القارئين ومنها ما ينتشر فيه عند تلاوته من إنزال الله إياه فى صورة كلام هو مخاطبة من الله لرسوله تارة ومخطبة أخرى لخلقه لا فى صورة كلام يستمليه من نفسه من قد قذف فى قلبه وأوحى إليه ما شاء أن يلقىه إلى عباده على لسانه فهو يأتى بالمعانى التى ألهمها بالفاظه التى يكسوها إياه كما يشاهد من الكتب المتقدمة

ومنها جمعه بين صفتى الجزالة والعدوبة وهما كالمتضادين لا يجتمعان غالبا فى كلام البشر لأن الجزالة من الألفاظ التى لا توجد إلا بما يشوبها من القوة وبعض الوعورة والعدوبة منها ما يضادها من السلاسة والسهولة فمن هنا نحو الصورة الأولى فإنما يقصد الفخامة والروعة فى الأسماع مثل الفصحاء من الأعراب وفحول الشعراء منهم ومن هنا نحو الثانية قصد كون الكلام فى السماع أعذب وأشهى وأذ مثل أشعار المخضرمين ومن داناهم من المولدين المتأخرين وترى ألفاظ القرآن قد جمعت فى نظمه كلتا الصفتين وذلك من أعظم وجوه البلاغة والإعجاز

ومنها جعله آخر الكتب غنيا عن غيره وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد يحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه كما قال تعالى ( إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون )

فى قدر المعجز من القرآن قال القاضى أبو بكر ذهب عامة أصحابنا وهو قول أبى الحسن الأ شعرى فى كتبه إلى أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة أو ما كان بقدرها ب قال فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة وإن كانت كسورة

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الكوثر فذلك معجز  
قال ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في دليل من  
هذا القدر  
وذهبت المعتزلة إلى أن كل سورة برأسها فهي معجزة  
وقد حكى عنهم نحو قولنا إلا أن منهم من لم يشترط كون الآية  
بقدر السورة بل شرط الآيات الكبيرة  
وقد علمنا أنه تحداهم تحديا إلى السور كلها ولم يخص ولم  
يأتوا بشئ منها فعلم أن جميع ذلك معجز  
وأما قوله تعالى ( فليأتوا بحديث مثله ) فلا يخالف هذا لأن  
الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة  
قصيرة وهو يؤكد مذهب أصحابنا وإن كان قد يتأول قوله ( فليأتوا بحديث مثله )  
فليأتوا بحديث مثله ( فلا يخالف هذا لأن الحديث التام لا  
تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة وهو يؤكد  
مذهب أصحابنا وإن كان قد يتأول قوله ( فليأتوا بحديث مثله  
( على القبيل دون التفصيل وكذلك يحمل  
قوله تعالى ( قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل  
هذا القرآن لا يأتون بمثله ) على القبيل لأنه لم يجعل الحجة  
عليهم عجزهم عن الإتيان بجميعة من أوله إلى آخره  
فإن قيل هل يعرف إعجاز السور القصار بما يعرف به إعجاز  
الطوال وهل يعرف إعجاز كل قدر من القرآن بلغ الحد الذي  
قدرتموه على ما تعرفون به إعجاز سورة البقرة ونحوها  
قلنا إن أبا الحسن الأشعري قد أجاب عن ذلك بأن كل سورة  
قد علم كونها معجزة بعجز العرب عنها وسمعت بعض الكبراء  
من أهل هذا الشأن يقول إنه يصح أن يكون علم ذلك توقيفا  
والطريقة الأولى أسد وتظهر فائتهما في أن الأولى تبين أن ما  
علم به كون جميع القرآن معجزا موجود في كل سورة قصرت  
أو طالت فيجب أن يكون الحكم في الكل واحدا والأخرى  
تتضمن تقدير معرفة إعجاز القرآن بالطريق التي سلكتها  
اعلم أه سبحانه تحداهم أولا في الإتيان بمثله فقال ( قل لئن  
اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون  
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) ثم تحداهم بشر سور منه

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقطع عذرهم بقول ( قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ( وإنما قال ) مفتريات ( من أجل أنهم قالوا لا علم لنا بما فيه من الأخبار الخالية والقصص البالغة ف قيل لهم ) مفتريات ( إزاحة لعلهم وقطعا لأعدارهم فعجزوا فردهم من العشر إلى سورة واحدة من مثله مبالغة في التعجيز لهم فقال ) وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ( أى يشهدون لكم أنها في نظمه وبلاغته وجزالته فعجزوا فقال تعالى ) فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ( مبالغة في التعجيز وإفحاما لهم ) فاتقوا النار ( وهذه مبالغة في الوعيد مع أن اللغة لغتهم والكلام كلامهم وناهيك بذلك أن الوليد بن المغيرة لعنه الله كان سيد قريش وأحد فصحاءهم لما سمعه أخرج لسانه وبلد جنانه وأطفئ بيانه وقطعت حجته وقصم ظهره وظهر عجزه وذهل عقله حتى قال فد عرفنا الشعر كله هزجه ورجزه وفريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالت له قريش فساحر قال وما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفته ولا عقده والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر

وإنه ليعلو ولا يعلى سمعت قولا يأخذ القلوب قالوا مجنون قال لا والله ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا بوسوسته ولا رعشته قالو كاهن قال قد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكهان ولا بسجعهم ثم حملته الحمية فنكص على عقبيه وكابر حسه فقال ) إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ( مسألة ) فى أن التحدى إنما وقع للإنس دون الجن (

التحدى إنما وقع للإنس دون الجن لأن الجن ليسوا من أهل اللسان العربى الذى جاء القرآن على أساليبه وإنما ذكروا فى قوله ) قل لئن اجتمعت الإنس والجن ( تعظيما لإعجازه لأن الهيئة الاجتماعية لها من القوة ما ليس للأفراد فإذا فرض اجتماع جميع الإنس والجن وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن العارضة كان الفريق الواحد أعجز ونظيره فى الفقه تقدم والأخ الشقيق على الأخ للأب فى ولاية النكاح مع أن الأمومة

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ليس لها مدخل في النكاح فصل في أنه هل يعلم إعجاز القرآن  
ضرورة  
قال القاضي ذهب أبو الحسن الأشعري إلى أن ظهور ذلك  
على النبي ﷺ  
يعلم ضرورة وكونه معجزا يعلم بالاستدلال وهذا المذهب  
يحكى عن المخالفين  
والذي نقوله إنالأعجمي لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالا  
وكذلك من ليس ببلغ فأما البليغ الذي أحاط بمذاهب العرب  
وغرائب الصنعة فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره  
عن الإتيان بمثله مسألة في الحكمة في تنزيه النبي عليه  
السلام عن الشعر  
قيل للحكمة تنزيه الله تعالى نبيه صالى الله عليه وسلم عن  
الشعر وجوه  
أحدها أنه سبحانه أخبر عن الشعراء بأنهم فى كل واد يهيمون  
وأنتهم يقولون مالا يفعلون وأن للشعر شرائط لا يسمى  
الإنسان بغيرها شاعرا كما قال بعضهم وقد سئل عن الشاعر  
فقال إن هزل أضحك وإن جد كذب فالشاعر بين كذب  
وإضحاك فنزه الله نبيه عن هاتين الخصلتين وعن كل أمر دنئ  
وإننا لا نكاد نجد شاعرا إلا مادحا ضارعا أو هاجيا ذا قذع وهذه  
أوصاف لا تصلح للنبي  
والثاني أن أهل العروض مجمعون كما قلل ابن فارس على أنه  
لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع إلا أن صناعة  
الإيقاع تقسم الزمان بالنغم وصناعة العروض تقسمه  
بالحروف المتنوعة فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الإيقاع  
والإيقاع ضرب من الملاهي لم يصلح ذلك لرسول الله ﷺ وقد  
قال لست من دد ولا دد منى  
وأما ما حكى عنه ﷺ من ألفاظ الوزن فالجواب عنها من وجهين  
أحدهما أنه لم يقصد بها الشعر ومن حقيقة الشعر قصده قال  
ابن فارس الشعر كلام موزون مقفي دال على معنى ويكون  
أكثر من بيت لأنه يجوز اتفاق شطر واحد بوزن يشبه وزن  
الشعر من غير قصد

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

والثانى أنه صلى الله عليه سلم كان إذا أنشد شيئاً من ذلك غيره ز فصل فى تنزيه الله القرآن عن أن يكون شعراً مع ان الموزون فى الكلام رتبته فوق رتبة المنظوم غير الموزون فإن كل موزون منظوم ولا عكس وقال تعالى ( وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ) فأعلم سبحانه أنه نزة القرآن عن نظم الشعر والوزن لأن القرآن مجمع الحق ومنيع الصدق وقصارى أمر الشاعر التحصل بتصوير الباطل فى صورة الحق والإفراط فى الإطراء والمبالغة فالذم والإيذاء دون إظهار الحق وإثبات الصدق منه كان بالعرض ولهذا قال تعالى ( وما هو بقول شاعر ) أى كاذب ولم يعن أنه ليس بشعر فإن وزن الشعر أظهر من أن يشتبه عليهم حتى يحتاج إلى أن ينفى عنه ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمي المنطقيون القياسات المؤدبة فى أكثر الأمر إلى البطلان والكذب شعرية

فإن قيل فقد وجد فى القرآن ما وافق شعراً موزوناً إما بيت تام أو أبيات أو مصراع كقول القائل  
وقلت لما حاولوا سلوتى  
هيهات هيهات لما توعدون

وقوله ( وجفان كالجواب وقدور راسيات ) قالوا هذا من الرمل  
وكقوله ( ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه ) قالوا هو مجزوء من الخفيف  
وقوله ( ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ) قالوا هو من المتقارب أى بإسقاط مخرجاً  
وقوله ( ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً ) ويشعون حركة الميم فيبقى من الرجز وحكى أن أبا نواس ضمنه فقال

وفتية فى مجلس وجوههم  
ريحانهم قد عدموا التثفيلاً

دانية عليهمو ظلالها

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وذلت قطوفها تذيلا آ  
وقوله تعالى ( ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم  
مؤمنين ) قالوا هو من الوافر  
وقوله تعالى ( أرايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم  
( قالوا هو من الخفيف  
وقوله تعالى ) والعاديات ضبحا فالموريات قدحا ( ونحوه قوله  
( والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا ) وهو  
عندهم شعر من بحر البسيط  
وقوله تعالى ) ومن الليل فسبحه وأدبار السجود )  
وقوله تعالى ) لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون )  
وقوله تعالى ) فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا )  
وقوله تعالى ) لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم )  
وقوله تعالى ) تبت يدا أبي لهب )  
وقوله تعالى ) نصر من الله وفتح قريب ) وقوله تعالى ) إن  
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ) وقوله تعالى ) إن قارون كان من  
قوم موسى )  
ويحكى أنه سمع أعرابي قارئاً يقرأ ) يا أيها الناس اتقوا ربكم  
إن زلزلة الساعة شيء عظيم ) قال كسرت إنما قال ) يا أيها  
الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ) ف قيل له هذا  
القرآن وليس بشعر  
فالجواب قال القاضي أبو بكر إن الفصحاء منهم لما أورد  
عليهم القرآن لو اعتقدوه شعرا ولم يروه خارجا عن أساليبهم  
لبادروا إلى معارضته لأن الشعر منقاد عليهم فلما لم يعمدا إلى  
ذلك دل على أنهم لم يعتقدوا فيه ذلك فمن استدرك فيه شعرا  
زعم أنه خفى على أولئك النفر وهم ملوك الكلام مع شدة  
حاجتهم إلى الطعن في القرآن والغض منه والتوصل إلى  
تكذيبه بكل ما قدروا عليه فلن يجوز أن يخفى على أولئك وأن  
يجهلوه ويعرفه من جاء الآن فهو بالجهل حقيق  
وحينئذ فالذي أجاب به العلماء عن هذا بأن البيت الواحد وما  
كان على وزنه لا يكون شعرا وأقل الشعر بيتان فصاعدا وإلى



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ذلك ذهب أكثر أهل صناعة العربية من أهل الإسلام وقالوا أيضا إن ما كان على وزن بيتين إلا أنه يختلف وزنهما وقافيتهما فليس بشعر أصلا ثم منهم من قال إن الرجز ليس بشعر أصلا لا سيما إذا كان مشطورا أو مهبوكا وكذا ما يقاربه في قلة الأجزاء وعلى هذا يسقط السؤال ثم يقول إن الشعر إنما ينطلق متى قصد إليه على الطريق التي تعمد وتسلك ولا يصح أن يتفق مثله إلا من الشعراء دون ما يستوى فيه العامي والجاهل والعالم بالشعر واللسان وتصرفه وما يتفق من كل واحد فليس بشعر فلا يسمى صاحبه شاعرا وإلا لكان الناس كلهم شعراء لأن كل متكلم لا ينفك أن يعرض فجملة كلامه ما يتزن بوزن الشعر وينتظم بانتظامه وقيل أقل ما يكون من الرجز شعرا أربعة أبيات وليس ذلك في القرآن بحال قال القاضي وهذه الطريق التي سلكوها في الجواب معتمدة أو أكثرها ولو كان ذلك شعرا لكانت النفوس تتشوق إلى معارضته لأن طريق الشعر غسر مستصعب على أهل الزمان الواحد وأهله يتقاربون فيه أو يضربون فيه بسهم فصل في اختلاف المقامات ووضع كل شئ في موضع يلائمه مما يبعث على معرفة الإعجاز اختلافات المقامات وذكر في كل موضع ما يلائمه ووضع الألفاظ في كل موضع ما يليق به وإي كانت مترادفة حتى لو أبدل واحد منها بالآخر ذهبت تلك الطلاوة وفاتت تلك الحلاوة فمن ذلك أن لفظ الأرض لم ترد في التنزيل إلا مفردة وإذا ذكرت والسماء مجموعة لن يؤت بها معها إلا مفردة ولما أريد الإتيان بها مجموعة قال ( ومن الأرض مثلهن ) تفاديا من جمعها ولفظ البقعة لم تستعمل فيه إلا مفردة كقوله تعالى ( في البقعة المباركة ) فإن جمعت حسن ذلك ورودها مضافة كقولهم بقاع الأرض

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وكذلك لفظ اللب مرادا به العقل كقوله تعالى ( وذكرى لأولي الألباب ) ( لذكرى لأولي الألباب ) فإنه يعذب دون الأفراد وكذلك قوله ) ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ( وفي موضع آخر ) في بطني محررا ( استعمل الجوف فى الأول والبطن فى الثانى مع اتفاقهما فى المعنى ولو استعمل فى أحدهما فى موضع الآخر لم يكن له من الحسن والقبول عند الذوق ما لا استعمال كل واحد منهما فى موضعه

وأما بالنسبة إلى المقامات فانظر إلى مقام الترغيب وإلى مقام الترهيب فمقام الترغيب كقوله تعالى ( يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ) نجده تأليفا لقلوب العباد وترغيبا لهم فى الإسلام

قيل وكان سبب نزولها أنه أسلم عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا قال وكنا نقول قوم لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذبوا به فنزلت وكان عمر كاتبها فكتب بها عمر بن الخطاب إليهم رضى الله عنه حين فهم قصد الترغيب فأمّنوا وأسلموا وهاجروا

ولا يلزم دلالتها على مغفرة الكفر لكونه من الذنوب فلا يمكن حملها على فضل الترغيب فى الإسلام وتأليف القلوب له لوجوه

منها ان قوله ) يغفر الذنوب جميعا ( عام دخله التخصيص بقوله ) إن الله لا يغفر أن يشرك به ( فيبغى معتبرا فيما عداه ومنها أن لفظ العباد مضافا إليه فى القرآن مخصوص بالمؤمنين قال تعالى ) عينا يشرب بها عباد الله ( فإن قلت فلم يكونوا مؤمنين حال الترغيب قلت كانوا مؤمنين قبله بدليل سبب نزولها وعمولوا هذه المعاملة من الإضافة مبالغة فى الترغيب

وأما مقام الترهيب فهو مضاد له كقوله تعالى ) ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالدا فيها ( ويدل على قصد

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

مجرد الترهيب بطلان النصوصية من ظاهرها على عدم المغفرة لأهل المعاصي لأن من للعموم لأنها في سياق الشرط فيعم فجميع المعاصي فقد حكم عليهم بالخلود وهو ينافي المغفرة وكذلك كل مقام يصاد الآخر ويعتبر التفاضل بين العبارتين من وجوه أحدها المعاني الإفرادية بأن يكون بعضها أقوى دلالة وأفخم مسمى وأسلس لفظا ونحوه الثاني المعاني الإعرابية بأن يكون مسماها أبلغ معنى كالتمييز مع البدل في قوله تعالى ( واشتعل الرأس شيبا ) مع اشتعل الرأس سيبة وهذا أبلغ من ( اشتعل شيب الرأس ) الثالث مواقع التركيب كعوله تعالى ( وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ) فإن الأولى جعل اثنين مفعول يتخذوا وإلهين صفة له تقدمت فانتصبت على الحال والتقدير اتخذوا إلهين اثنين لأن اثنين أعم من إلهين فصل في اشتمال القرآن على أعلى أنواع الإعجاز وهو أن يقع التركيب بحيث لا يمتنع أن يوجد ما هو أشد تناسا ولا اعتدالا في إفادة ذلك المعنى وقد اختلف في أنه هل تتفاوت فيه مراتب الفصاحة واختار القاضي أبو بكر ابن الطيب في كتاب ( الإعجاز ) المنع وأن كل كلمة موصوفة بالذروة العليا وإن كان بعض الناس أحسن إحساسا له من بعض وهذا كما أن بعضهم يفتن للوزن بخلاف بعض واختار أبو بصر بن القشيري في تفسيره التفاوت فقال وقد رد على الزجاج وغيره تضعيفهم قراءة ( والأرحام ) بالجر ومثل هذا من الكلام مردود عند أئمة الدين لأن القراءات السبع متواترة عن النبي ﷺ وإذا ثبت شيء عن النبي ﷺ فمن رد ذلك فكأنما رد على النبوة وهذا مقام محذور لا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو فإن العربية تتلقى من النبي صلى الله عليه وسلم ولا يشك أحد في فصاحته ولعلمهم أرادوا أنه صحيح فصيح وإن كان غيره أفصح منه فإننا لا ندعى أن كل ما في القرآن على أرفع الدرجات في الفصاحة وإلى هذا نحا الشيخ عز الدين في كتاب المجاز وأورد سؤالا

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فقال فإن قلت فلم لم يأت القرآن جميعه بالأفصح والأملح  
وقال فيه إشكال يسر الله حله  
قال القاضي صدر الدين موهوب الجزري رحمه الله وقد وقع  
لي حل هذا الإشكال بتوفيق الله تعالى فأقول البارئ جلت  
قدرته له أساليب مختلفة على مجاري تصريف أقداره فإنه كان  
قادرا على إلقاء المشركين إلى الإقرار بنبوة محمد ﷺ قال  
تعالى ( إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها  
خاضعين ) ولكنه سبحانه أرسل رسوله على أساليب الأسباب  
والمسببات وجارى العوائد الواقعة من أهل الزمان ولذلك  
تكون حروب الأنبياء سجلا بينهم وبين الكفار وابتدئ أمر  
الأنبياء بأسباب خفيفة ولا تزال تنمى وتنشئ كل ذلك يدل على  
أن أساليبهم فى الإرسال على ما هو المألوف والمعتاد من  
أحوال غيرهم  
إذا عرف ذلك كان مجيء القرآن بغير الأفصح والأملح جميعه  
لأنه تحداهم بمعارضته على المعتاد فلو وقع على غير المعتاد  
لكان ذلك نمطا غير النمط الذى أراده الله عز وجل فى  
الإعجاز  
ولما كان الأمر على ما وصفنا جاء القرآن على نهج إنشاءهم  
الخطب والأشعار وغيرها ليحصل لهم التمكن من المعارضة ثم  
يعجزوا عنها فيظهر الفلج بالحجة لأنهم لو لم يتمكنوا لكان لهم  
أن يقولوا قد أتيت بما لا قدرة لنا عليه فكما لا يصح من أعمى  
معارضة المبصر  
فى النظر لا يحسن من البصير أن يقول غلبتك أيها الأعمى  
بنظري فإن للأعمى أن يقول إنما تم لك الغلبة لو كنت قادرا  
وكان نظرك أقوى من نظري فأما إذا فقد أصل النظر فكيف  
تصح المعارضة  
فإن قلت فلو كانت المعجزة شيئا لا يقدر عليه البشر كإحياء  
الموتى وأمثاله فكيف كان ذلك أدعى إلى الإنقياد  
قلت هذا السؤال سبق الجواب عنه فى الكلام وإن أساليب  
الأنبياء تقع على نهج أساليب غيرهم  
فإن قلت فما ذكرته يدل على أن عجز العرب عن معارضته

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وإنما كانت لصرف دعاويهم مع أن المعارضة كانت مقدورة لهم  
قلت قد ذهب بعض العلماء إلى ذلك ولكن لا أراه حقا ويندفع  
السؤال المذكور وإن كان الإعجاز في القرآن بأسلوبه الخاص  
به إلا أن الذين قالوا بأن المعجز فيه هو الصرفة مذهبهم أن  
جميع أساليبه جميعا ليس على نهج أساليبهم ولكن شاركت  
أساليبهم في أشياء منها أنه بلغتهم  
ومنها أن أحاد الكلمات قد كانوا يستعملونه في خطهم  
وأشعارهم ولكن تمتاز بأمور آخر منها غرابة نظمه الخاص  
الذي ليس مشابها لأجزاء الشعر وأوزانه وهزجه ورجزه وغير  
ذلك من ضروبه فأما توالى نظمه من أوله إلى آخره بأن يأتي  
بالأفصح والأملح فهذا مما وقعت فيه المشاركة لكلامهم فبذلك  
امتاز هذا المذهب عن مذهب من يقول إنه كان جميعه مقدورا  
لهم وإنما صرفت دواعيهم عن المعارضة انتهى  
وقد سبق اختيار القاضى أنه ليس على أساليبهم البتة فيبقى  
السؤال بحاله  
تنبيه في أن معرفة مقامات الكلام لا تدرك إلا بالذوق  
ذكر ابن أبى الحديد  
اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيقي والرشيقي والجلى  
والأجلى والعلى والأعلى من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق ولا  
يمكن إقامة الدلالة المنطقية عليه وهو بمنزلة جاريتين إحداهما  
بيضاء مشربة حمرة ودقيقة الشفتين نقيه الشعر كحلاء العين  
أسيلة الخد دقيقة الأنف معتدلة القامة والأخرى دونها فى هذه  
الصفات والمحسن لكنها أحلى فى العيون والقلوب منها وأليق  
وأملح ولا يدري لأي سبب كان ذلك لكنه بالذوق والمشاهدة  
يعرف ولا يمكن تعليله وهكذا الكلام نعم يبقى الفرق بين  
الوصفين أن حسن الوجوه وملاحظتها وتفضيل بعضها يدركه كل  
من له عين صحيحة وأما الكلام فلا يعرفه إلا بالذوق وليس كل  
من اشتغل بالنحو أو باللغة أو بالفقه كان من أهل الذوق وممن  
يصلح لانتقاد الكلام وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم  
البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وصارت لهم بذلك دربة ومملكة تامة فإلى أولئك ينبغي أن يرجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض النوع التاسع والثلاثون معرفة وجوب تواتره لإخلاف أن كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواترا فأصله وأجزائه وأما في محله ووضعه وترتيبه فعند المحققين من علماء أهل السنة كذلك أي يجب أن يكون متواترا فإن العلم اليقيني حاصل أن العادة قاضية بأن مثل هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأنه الهادي للخلق إلى الحق المعجز الباقي على صفحات الدهر الذي هو أصل الدين القويم والصراط المستقيم فمستحيل ألا يكون متواترا في ذلك كله إذ الدواعي تتوافر على نقله على وجه التواتر وكيف لا وقد قال تعالى ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) والحفظ إنما يتحقق بالتواتر وقال تعالى ( يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ) والبلاغ العام إنما هو بالتواتر فما لم يتواتر مما نقل أحادا يقطع بأنه ليس من القرآن وذهب كثير من الأصوليين إلى أن التواتر شرط في ثبوت ما هو من القرآن بحسب أصله وليس بشرط في محله ووضعه وترتيبه بل يكثر فيها نقل الآحاد وهو الذي يقتضيه صنع الشافعي في إثبات البسملة من كل سورة ورد بأن الدليل السابق يقتضى التواتر في الجميع ولأنه لو لم يشترط لجاز سقوط كثير من القرآن المكرر وثبوت كثير مما ليس بقرآن أما الأول فلأننا لو لم نشترط التواتر في المحل جاز ألا يتواتر كثير من المتكررات الواقعة في القرآن مثل ( فبأي آلاء ربكما تكذبان ) ( و ) ويل يومئذ للمكذبين )

وأما الثاني فلأنه إذا لم يتواتر بعض القرآن بحسب المحل جاز إثبات ذلك البعض فالموضع بنقل الآحاد

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار ذهب قوم من الفقهاء والمتكلمين إلى إثبات قرآن حكما لا علما بخبر الواحد دون الاستفاضة وكره ذلك أهل الحق وامتنعوا منه وقال قوم من المتكلمين إنه يسوغ إعمال الرأي والاجتهاد في إثبات قراءة وأوجه وأحرف إذا كانت تلك الأوجه صوابا في اللغة العربية

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وإن لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها بخلاف موجب رأى القياسيين واجتهاد المجتهدين وأبى ذلك أهل الحق وأنكروه وخطأوا من قال بذلك وصار إليه قال القاضى وقد رد الله عنه طعن الطاعنين واختلاف الضالين وليس المعتبر فى العلم بصحة النقل والقطع على فنونه بالأى يخالف فيه مخالف وإنما المعتبر فى ذلك مجيئه عن قوم بهم ثبت التواتر وتقوم الحجة سواء اتفق على نقلهم أو اختلف فيه ولهذا لا يبطل النقل إذا ظهر واستفاض واتفق عليه إذا حدث خلاف فى صحته لم يكن من قبل وبذلك يسقط اعتراض الملحدين فى القرآن وذلك دليل على صحة نقل القرآن

وحفظه وصيانتة من التغيير ونقض مطاعن الرافضة فيه من دعوى الزيادة والنقص كيف وقد عل تعالى ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) وقوله ( إن علينا جمعه وقرآنه ) وأجمعت الأمة أن المراد بذلك حفظه على المكلفين للعمل به وحراسته من وجوه الغلط والتخليط وذلك وجب القطع على صحة نقل مصحف الجماعة وسلامته فصل والمعوذتان من القرآن واستفاضتهما كاستفاضة جميع القرآن وأما ما روي عن ابن مسعود قال القاضى أبو بكر فلم يصح عنه أنهما ليسا بقرآن ولا حفظ عنه أنه حكهما وأسقطهما من مصحفه لعل وتأويلات

قال القاضى ولا يجوز أن يضاف إلى عبد الله أو إلى أبي بن كعب أو زيد أو عثمان أو علي أو واحد من ولده أو عترته جحد آية أو حرف من كتاب الله وتغييره أو قراءته على خلاف الوجه المرسوم فى مصحف الجماعة بأخبار الأحاد وأن ذلك لا يحل ولا يسمع بل لا تصلح إضافته إلى أدنى المؤمنين فى عصرنا فضلا عن إضافته إلى رجل من الصحابة وإن كلام القنوت المروى عن أبي بن كعب أثبتته فى مصحفه لم تقم حجة بأنه قرآن منزل بل هو ضرب من الدعاء وأنه لو كان قرآنا لنقل نقل القرآن وحصل العلم بصحته وأنه يمكن أن يكون منه كلام كان قرآنا منزلا ثم نسخ وأبيح الدعاء به وخلط بكلام ليس

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

بقرآن ولم يصح ذلك عنه وإنما روي عنه أنه أثبت في مصحفه وقد ثبت في مصحفه ما ليس بقرآن من دعاء وتأويل وقال النوري في شرح المهذب أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن وأن من جحد منها شيئاً كفر وما نقل عن ابن مسعود باطل وليس بصحيح وقال ابن خزم في أول كتابه المحلى هذا كذب على ابن مسعود وموضوع وإنما صح عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عنه وفيها المعوذتان والفاتحة وقال القاضي أبو بكر بن الطيب في كتاب التقريب لم ينكر عبد الله بن مسعود كون المعوذتين والفاتحة من القرآن وإنما أنكر إثباتهما في المصحف وإثبات الحمد لأنه كانت السنة عنده ألا يثبت إلا ما أمر النبي ﷺ بإثباته وكتبه ولم يجده كتب ذلك ولا سمع أمره به وهذا تأويل منه وليس جحدا لكونهما قرآنا وفي صحيح ابن حبان عن زر قلنا لأبي بن كعب إن ابن مسعود لا يكتب في مصحفه المعوذتين فقال قال لي رسول الله صلى عليه وسلم قال لي جبريل ( قل أعوذ برب الفلق ) فقلتها وقال لي ( قل أعوذ برب الناس ) فقلتها فنحن نقول ما قال رسول الله صلبالله عليه وسلم النوع الأربعون في بيان معاضدة السنة للقرآن اعلم أن القرآن والحديث أبدا متعاضان على استيفاء الحق وإخراجه من مدارج الحكمة حتى إن كل واحد منهما يخص عموم الآخر ويبين إجماله ثم منه ما هو ظاهر ومعه ما يغمض وقد اعتنى بإفراد ذلك بالتصنيف الإمام أبو الحكم ابن برجان في كتابه المسمى بالإرشاد وقال ما قال النبي ﷺ من شيء فهو في القرآن وفيه أصله قرب أو بعد فهمه من فهمه وعمه عنه من عمه قال الله تعالى ( ما فرطنا في الكتاب من شيء ) ألا تسمع إلى قوله ﷺ في حديث الرجم لأقضين بينكما بكتاب الله وليس في نص كتاب الله الرجم وقد أقسم النبي ﷺ أن يحكم بينهما بكتاب الله ولكن الرجم فيه



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

تعريض مجمل في قوله تعالى ( ويدراً عنها العذاب )  
وأما تعيين الرجم من عموم ذكر العذاب وتفسير هذا المجمل  
فهو مبين بحكم الرسول وبأمره به وموجود في عموم قوله (  
وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) وقوله ( من  
يطع الرسول فقد أطاع الله )  
وهكذا حكم جميع قضائه وحكمه على طرقه التي أتت عليه  
وإنما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده وبذل وسعه ويبلغ  
منه الراغب فيه حيث بلغه ربه تبارك وتعالى لأنه واهب النعم  
ومقدر القسم  
وهذا البيان من العلم جليل وحظه من اليقين جليل وقد نبهنا  
على هذا المطلب في مواضع كثيرة من خطابه  
منها حين ذكر ما أعد الله تعالى لأولياته في الجنة فقال فيها ما  
لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما  
اطلعت عليه ثم قال اقرءوا إن شئتم ) فلا تعلم نفس ما أخفي  
لهم من قرة أعين )  
ومنها قالوا يا رسول الله ألا نتكل وندع العمل فقال اعملوا  
فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ ) فأما من أعطى واتقى وصدق  
بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب  
بالحسنى فسنيسره للعسرى )  
ووصف الجنة فقال فيها شجرة يسير الراكب في ظلها مائة  
عام ولا يقطعها ثم قال اقرءوا إن شئتم ) وظل ممدود )  
فأعلمهم مواضع حديثه من القرآن ونبههم على مصداق خطابه  
من الكتاب ليستخرج علماء أمته معاني حديثه طلباً لليقين  
ولتستبين لهم السبيل حرصاً منه عليه السلام على أن يزيل  
عنهم الارتباب وأن يرتقوا في الأسباب ثم بدأ رضى الله عنه  
بحديث ( إنما الأعمال بالنيات ) وقال موضعه نصابي قوله  
تعالى ( من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد )  
إلى قوله ( فأولئك كان سعيهم مشكورا ) ونظيرها في هود  
والشورى  
وموضع التصريح به قوله ( ولكن يؤأخذكم بما كسبت قلوبكم )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

( و بما عقدتم الأيمان )  
وأما التعريض بكثير مثل قوله ( الذين يتخذون الكافرين أولياء  
من دون المؤمنين أيتنون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا )  
( من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ) قد علم الله عز وجل  
أنهم كانوا يريدون الاعتزاز لأن الإنسان مجبول على طلب  
العزة فمخطئ أو مصيب فمعنى الآية والله أعلم بلغ هؤلاء  
المتخذين الكافرين أولياء من دون الله من ابتغاء العزة بهم  
أنهم قد أخطأوا مواضعها وطلبوها في غير مطلبها فإن كانوا  
يصدقون أنفسهم في طلبها فليوالوا الله جل جلاله وليوالوا من  
والاه ) ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين )  
فكان ظاهر آية النساء تعريضا لظاهر آية المنافقين وظاهر آية  
المنافقين تعريضا بنص الحديث المروي  
ومن ذلك حديث جبريل في الإيمان والإسلام بين فيه أن  
الشهادة بالحق والأعمال الظاهرة هي الإسلام وأن عقد القلب  
على التصديق بالحق هو الإيمان وهو  
نص الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة في مسنده الإسلام  
ظاهر والإيمان في القلب موضعه من القرآن ) وله أسلم من  
في السماوات والأرض طوعا وكرها ( وقوله ) أولئك كتب في  
قلوبهم الإيمان ( ونظائرها ) وأيدهم بروح منه ( قال بنيت  
هاتين الصفتين على الصفات العليا صفات الله تعالى ظهورها  
من الأسماء الحسنى اسم السلام واسم المؤمن  
ومن ذلك حديث ضمام بن ثعلبة أفلح إن صدق في قوله ) ما  
على المحسنين من سبيل )  
وقوله ﷻ من قال لا إله إلا الله حرمه الله على النار في قوله )  
الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن ) وهو  
مفهوم من قوله ) إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله  
يستكبرون ) فأخبر أنهم دخلوا النار من أجل استكبارهم  
وإبائهم من قول لا إله إلا الله مفهوم هذا أنهم إذا قالوها  
مخلصين بها حرموا على النار  
وقوله ﷻ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه في  
قوله تعالى ) حديث ضيف إبراهيم المكرمين ( وقوله ) والجار

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل ( وهذه الأربع كلمات  
جمعن حسن الصحبة للخلق لأن من كف سره وأذاه وقال خيرا  
أو صمت عن الشر وأفضل على جاره وأكرم ضيفه فقد نجا من  
النار ودخل الجنة إذا كان مؤمنا وسبقت له الحسنى فإن  
العاقبة مستورة والأمور بخواتيمها ولهذا قيل لا يغرنكم صفاء  
الأوقات فإن تحتها غوامض الآفات  
وقوله رأس الكفر نحو المشرق في قوله تعالى ) وكذلك نرى  
إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين فلما  
جن عليه الليل رأى ( الآية فأخبر أن الناظر في ملكوت الله لا  
بد له من ضروب المتحان وأن الهداية يمنحها الله للناظر بعد  
التبرى منها والمعصوم من عصمه الله قال تعالى ) إني ذاهب  
إلى ربي سيهدين ( وقال ) فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون  
الله وهبنا له إسحاق ويعقوب ( وطلوع الكواكب نحو المشرق  
ومن هناك إقبالها وذلك أشرف لها وأكبر لشأنها عند المفتونين  
وغروبها إدبارها وطلوعها بين قرنى الشيطان من أجل ذلك  
ليزينها لهم قال تعالى ) ووجدتها وقومها يسجدون للشمس من  
دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم ( ولما كان في مطلع  
النيرات من العبر بطلوعها من هناك وظهورها عظمت المحنة  
بهن ولما في الغروب من عدم تلك العلة التي تتبين هناك قرن  
بتزيين العدو لها وإليه أشار ﷺ بقوله وتغرب بين قرنى  
الشيطان ولأجل ما بين معنى الإقبال والإدبار كان باب التوبة  
مفتوحا من جهته إلى يوم تطلع الشمس منه ألا تسمع إلى  
قوله تعالى ) وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها  
سترا ( أي وقعت عقولهم عليها وحجبت بها عن حالتها مع قوله  
( لا تسجدوا للشمس ولا للقمر )  
وفي قوله عند طلوعها ) هذا ربي ( وعند غروبها ) لا أحب  
الآفلين ( ) لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ( ما  
يبين تصديق النبي ﷺ في قوله رأس الفتنة والكفر نحو  
المشرق وإن باب التوبة مفتوح من قبل المغرب  
ومن ذلك بدء الوحي في قوله سبحانه ) أتى أمر الله فلا  
تستعجلوه ( إلى قوله ) ينزل الملائكة بالروح من أمره على

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

من يشاء من عباده )  
وقول خديجة والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وقوله  
تعالى ( ادع لنا ربك بما عهد عندك ) وقوله ( فلولا أنه كان من  
المسبحين ) وفى هذا بين ﷺ أصحاب الغار الثلاثة إذ قال  
بعضهم لبعض ليدع كل واحد منكم بأفضل أعماله لعل الله  
تعالى أن يفرج عنا  
وقول ورقة ياليتنى حي إذ يخرجك قومك إلخ وقوله تعالى ( لنخرجنك يا شعيب ) وقوله تعالى ( وقال الذين كفروا لرسولهم  
لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا )  
وكذلك قوله لم يأت أحد بما جئت به إلا عودى من قوله تعالى (  
كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو  
مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون ) ومن ذلك حديث  
المعراج مصداقه فى سورة الإسراء وفى صدر سورة النجم  
وقوله ﷺ رأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به من مفهوم قوله  
تعالى ( ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا )  
وبتصديق كلمة الله اتبعه كونا وملة وهكذا حاله حيث جاءت  
صدقا وعدلا فتطلب صدق كلماته بترداد تلاوتك لكتابه ونظرك  
فى مصنوعاته فهذا هو قصد سبيل المتقين وأرفع مراتب  
الإيمان قال تعالى ( فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي  
يؤمن بالله وكلماته ) وقال لذكريا ( أن الله يبشرك بيحيى  
مصدقا بكلمة من الله وسيدا ) ولما كان عيسى عليه السلام  
من أسماء كلماته لم يأت يوم القيامة بذنب لطهارته وزكاته  
وقوله ﷺ إن الله لا ينام فى قوله ( سنة ولا نوم )  
وقوله ولا ينبغي له أن ينام من قوله ( القيوم ) وفسره ﷺ  
بقوله يخفض القسط ويرفعه ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل  
النهار وعمل النهار قبل عمل الليل ومصداقه أيضا قوله تعالى ( قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن  
تشاء )  
ومن ذلك قوله ﷺ الصلوات الخمس كفارات لما بينهن وقال  
الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما وزيادة ثلاثة أيام ورمضان  
إلى رمضان كفارة لما بينهما فى قوله تعالى ( من جاء

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بالحسنة فله عشر أمثالها ( فهذا رمضان بعشرة أشهر العام  
ويبقى شهران داخلان في كرم الله تعالى وحسن معاملته قلت  
قد جاء في حديث آخر وأتبعه بست من شوال فكأنما صام  
الدهر مع قوله تعالى ) من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها  
( انتهى )

وقال في الجمعة ( فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير  
لكم إن كنتم تعلمون ) وكذلك قال في الصوم ( وأن تصوموا  
خير لكم إن كنتم تعلمون ) أشار إلى سر في الجمعة وفضل  
عظيم أراهما الزيارة والرؤية في الجنة فإنها تكون في يوم  
الجمعة وكذلك أشار في الصيام بقوله ( إن كنتم تعلمون ) إلى  
سر في الصيام وهو حسن عاقبته وجزيل عائدته فبه ٥٠ بقوله  
لخلاف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ریح المسك  
وقوله وقد رأى أعقابهم تلوح لم يصبها الماء ويل للأعقاب من  
النار في مفهوم ) فاغسلوا ( في معنى قوله ) لتبين للناس ما  
نزل إليهم ) وغسل هو قدميه وعمهما غسلا  
وقال ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو  
يصيبهم عذاب أليم ) مع قوله ( ومن يعص الله ورسوله ويتعد  
حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين )  
وقوله إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه وخرج من كل  
خطيئة نظر إليها بعينه الحديث من قوله تعالى ( ولكن يريد  
ليطهركم ) أي من ذنوبكم ) وليتم نعمته عليكم لعلكم  
تشكرون ) أي ترقون في درجة الشكر فيقبل أعمالكم القبول  
الأعلى

ولهذا قال ٥٠ وكان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة فله  
الشكر والشكر درجات وإنما يتبين بأن يبقى من العمل بعد  
الكفارة فضل وهو النافلة وهو المسمى بالباقيات الصالحات  
لمن قلت ذنوبه وكثرت صالحاته فذلك الشكر ومن كثرت  
ذنوبه وقلت صالحاته فأكلتها الكفارات فذلك المرجو له دخول  
الجنة ومن زادت ذنوبه فلم تقم صالحاته بكفارة ذنوبه فذلك  
المخوف عليه ) إلا أن يشاء ربي شيئاً )  
قوله ٥٠ ( أنتم الغر المحجلون يوم القيامة ) في قوله تعالى (

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم ( وكذلك قوله ﷻ ( تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الضوء ) وهذا كله داخل في قوله تعالى ) وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ( وجاءت لام كي ها هنا إشعارا ووعدا وبشارة لهم بنعم أخرى واردة عليهم من الشرائع لم تأت بعد ولذلك قال نوم الإكمال في حجة الوداع ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي )

ومن ذلك حديث الأذان وكيفيته بقوله أشهد أن لا إله إلا الله من قوله شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم وتكرارها في قوله لا إله إلا هو وقوله أشهد أن محمدا رسول الله في قوله تعالى محمد رسول الله

وما محمد إلا رسول مع قوله لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وتكرار الشهادة للرسول في معنى قوله وكفى بالله شهيدا مع قوله تعالى ) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ( والتنبيه أول الكثرة ولأنها عبارة شرعت للإعلام فتكرارها أكد فيما شرعت له

وأما إسراره بهما يعنى بالشهادتين فمن مفهوم قوله ( وإذكرك ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول ) وأما إجهاره مهما ففي قوله تعالى ) يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ( والنداء الإعلام ولا يكون إلا بنهاية الجهر

وقوله حي على الصلاة في قوله ( وإذا ناديتم إلى الصلاة ( ) إذا نودي للصلاة )

وقوله حي على الفلاح في قوله ( اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ) وقوله الصلاة خير من النوم في قوله ( وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ( وقوله ) ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ( وقوله الله أكبر الله أكبر من قوله ( ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقوله لا إله إلا الله كررها وختم بها في قوله ( واذكروه كما  
هداكم ) وأفضل الذكر لا إله إلا الله فختم بما بدأ به لقوله ( هو  
الأول والآخر )  
وقوله ﷺ صلوا علي فإنه من صلى علي واحدة صلى الله عليه  
بها عشرا في قوله ( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها )  
وقوله ﷺ ثم سلوا الله لي الوسيلة في قوله ( عسى أن يبعثك  
ربك مقاما محمودا ) ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه  
الوسيلة )  
وقوله حلت له شفاعتي يوم القيامة في قوله ( من يشفع  
شفاعة حسنة يكن له نصيب منها )  
وقوله ﷺ دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه  
ملك وكل به كلما دعا لأخيه بشئ قال الملك آمين  
ولك بمثله في قوله تعالى ( اهدنا الصراط المستقيم ) إلى آخر  
السورة هذا دعاء من يأتي به لنفسه ولجماعة المسلمين بظهر  
الغيب تقول الملائكة في السماء آمين وقد قال تعالى ولعبي  
ما سألت  
ومن ذلك قوله ﷺ إن إبراهيم حرم مكة وأنا حرمت المدينة  
وقوله تعالى ( لا أقسم بهذا البلد ) يريد مكة ثم قال ( وأنت  
حل بهذا البلد )  
يمكن أن يريد به المدينة ويكون في الآية تعريض بحرمة  
البلدين حيث أقسم بهما وتكراره البلد مرتين دليل على ذلك  
وجعل الإسمين لمعنيين أولى من أن يكونا لمعنى واحد وأن  
يستعمل الخطاب فالبلدين أولى من استعماله في أحدهما  
بدليل وجود الحرمة فيهما  
ومن ذلك حديث الدجال  
قلت وقع سؤال بين جماعة مت الفضلاء في أنه ما الحكمة أنه  
لم يذكر الدجال في القرآن وتلمحوا في ذلك حكما ثم رأيت  
هذا الإمام قال إن في القرآن تعريضا بقصته في قصة  
السامري وقوله سبحانه ( وإن لك موعدا لن تخلفه ) وقوله  
في سورة الإسراء في قوله ( وقضينا إلى بني إسرائيل في  
الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جاء

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وعد أولاهما ( فذكر الوعد الأول ثم ذكر الكرة التي لبني إسرائيل عليه ثم ذكر الآخرة فقال ) فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم ( الآية ثم قال ) وإن عدتم عدنا ( وفيه إشارة إلى خروج عيسى وكذلك هو في الآيات الأولى من سورة الكهف في قوله ) وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ( والدجال مما على الأرض ولهذا قال ﷺ من قرأ الآيات من أول سورة الكهف عصمه الله من فتنة الدجال يريد والله أعلم من قرأها بعلم ومعرفة وهو أيضا في المفهوم من قوله ) محمد رسول الله ( ) وخاتم النبيين ( ومن الأمر بمجاهدة المشركين والمنافقين قوله ﷺ تخرج الأرض أفلاذ كبدها ويحسر الفرات عن جبل من ذهب في قوله تعالى ) وأخرجت الأرض أثقالها ( فإن الأرض تلقي ما فيها من الذهب والفضة حتى يكون آخر ما تلقي الأموات أحياء ومصداقه أيضا في عموم قوله ) يخرج الخبء في السماوات والأرض ( فتوجه القرآن إلى الإخبار عن إخراجها الأموات أحياء وتوجه الحديث إلى الإخبار عن إخراجها كنوزها ومعادنها وقوله ﷺ حتى تعود أرض العرب مروجاً في قوله تعالى ) حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ( الآية وذلك يكون عند إتمام كلمة الحق ) وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ( وقد تولوا وقوله ) وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ( يومئذ تظهر العقبة ونلقى الأمر بجرانه وتضع الحرب أوزارها ويكن ذلك علماً على الساعة وآية على قرب الانقراض وقوله ﷺ في مثل الدنيا إن مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها في قوله تعالى ) كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ( وقوله ) إنما الحياة الدنيا لعب ( ومن ذلك قوله ﷺ إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين في مفهوم قوله تعالى ) كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون



# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

( إلى أن الصوم ينتهى نفعه إلى اكتساب التقوى ولذلك قال ﷺ  
الصيام جنة ولا يكون ذلك إلا بضعف حزب الشيطان فتغلق عنه  
أبواب المعاصي وهى أبواب جهنم وتفتح له أبواب الطاعة  
والقربات وهى أبواب الجنات  
وقوله ﷺ تسحروا فإن فى السحور بركة من آثار قوله تعالى )  
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض ( ومن بركته  
حضوره الذي هو وصف نزوله جل وعلا إلى سماء الدنيا كل  
ليلة فكأنه ﷺ يبتغى البركة في موضع خطاب ربه وفي موضع  
حضوره أو ذكره أو اسم من أسمائه ومن هنا وقع التعبد باسم  
المبارك واسم القدوس  
وقوله ﷺ إذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا فقد  
أفطر الصائم في قوله تعالى ) ثم أتموا الصيام إلى الليل  
( وقوله ) حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من  
الفجر ) والبركة فى اتباع مجارى خطابه وإن كان الخطاب  
حكمه حكم إباحة كما أن البركة فى اتباع السنة والافتداء ولهذا  
كان أكثر الصحابة لا يصلون المغرب غلا على فطر وكانوا  
يؤخرون السحور إلى  
بزوغ الفجر ابتغاء البركة فى ذلك والخير الموعود به وقوله ﷺ  
إنى أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني فى معنى قوله حكاية عن  
خليله ) والذي هو يطعمني ويسقيني ( والمعنى بما يفتح الله  
لخاصته من خلقه الذين لا يطعمون إنما غذاؤهم التسبيح  
والتهليل والتحميد  
وقوله ﷺ فى حديث الصعب بن جثامة إنا لم نرده عليك إلا أنا  
حرم فى مفهوم قوله تعالى ) لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم  
( والأكل راض والراضى شريك  
وقوله ﷺ فى حديث حنظلة لو أنكم تدومون على ما كنتم عندي  
لصافحتكم الملائكة ولكن ساعة وساعة فى قوله ) وإذا مس  
الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه  
ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه ( وقوله ) ثم إذا مسكم  
الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم  
بربهم يشركون ) فذكر تعالى اللجأ إليه عندما يلحق الإنسان

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الضر وهو ذكر صوري فلو كان الذكر بينهم على الدوام لم تفارقهم الملائكة السياحون الملازمون حلق الذكر كما قال تعالى عنهم ( يسبحون الليل والنهار لا يفترون ) ولو قربوا من الملائكة هذا القرب لبدت لهم عيانا ولأكرمهم الله منه بحسن الصحبة وجميل الألفة وقوله ﷺ يبعث كل عبد على ما مات عليه في قوله تعالى ( سواء محياهم ومماتهم ) وقوله ﷺ إذا أراد الله بقوم عذابا أصاب من كان منهم ثم يبعثون على أعماهم في قوله تعالى ( واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ) وقوله ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجرهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة في قوله تعالى ( من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها ) ومع قوله ( ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ) وقوله ( وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ) مع ما جاء من نباء ابني آدم وقوله ﷺ في جواب من سأله أي الصدقة أعظم قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح ولا تمهل ) فلولا إذا بلغت الحلقوم ( والحديث في قوله تعالى ) قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ) وقوله اليد العليا خير من اليد السفلى في قوله تعالى ( والله الغني وأنتم الفقراء ) وقد جاء أن اليد السفلى الآخذة والعليا هو المعطية وشاهده قوله تعالى ( من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ) وقوله ﷺ حكاية عن الله تعالى من يقرض غير عديم ولا

ظلوم ووجه ذلك أن العطية من أيدينا مفتقرة إلى من يضع فيها حقا وجب عليها ويطهرها بذلك من ذنوبها وأنجاسها ولولا

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

اليد الآخذة ما قدر صاحب المال على صدقة  
وقوله ﷺ من يرد الله به خيرا يفقهه في قوله تعالى ( وإلهكم  
إله واحد ( إلى قوله ) لآيات لقوم يعقلون ( وقوله انظر كيف  
نصرف الآيات لعلهم يفقهون وقوله ) تحسبهم جميعا وقلوبهم  
شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ( ووصف من لم يفهم عن  
المخلوقات بقوله ) لا تفقهون تسبيحهم ( ثم أعلم سبحانه  
سعة مغفرته لمن في الأرض الذين لا يسبحونه ولا يفقهون  
تسبيح المسبحين من خلقه ثم أعلم بالعلة التي لأجلها حرموا  
الفقه عن ربهم وأن ذلك هو ختم عقوبة الإعراض بقوله ) وإذا  
قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا  
مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ( الآية  
وبالجملة فالقرآن كله لم ينزله تعالى إلا ليفهمه ويعلم ويفهم  
ولذلك خاطب به أولي الألباب الذين يعقلون والذين يعلمون  
والذين يفقهون والذين يتفكرون ليدبروا آياته وليتذكر أولو  
الألباب  
وكذلك ما خلق الله الدنيا إلى مثالا للآخرة فمن فقه عن ربه  
عز وجل مراده منها فقد أراح نفسه وأجم فكره من هذه  
الجملة  
وفى هذا النوع من الفقه أفنى أولو الألباب أعمارهم وفى  
تعريفه أتعبوا قلوبهم وواصلوا أفكارهم  
رزقنا الله من فضله العظيم نورا نمشي به فى الظلمات  
وفرقانا نفرق به بين المتشابهات  
النوع الحادى والأربعون معرفة تفسيره وبأويله ( معانى  
العبارات التى يعبر بها عن الأشياء )  
وهو يتوقف على معرفة تفسيره وتأويله ومعناه  
قال ابن فارس معانى العبارات التى يعتبر بها عن الأشياء ترجع  
إلى ثلاثة المعنى والتفسير والتأويل وهي وإن اختلفت  
فالمقاصد بها متقاربة  
فأما المعنى فهو القصد والمراد يقال عنيت بهذا الكلام كذا أي  
قصدت وعمدت وهو مشتق من الإظهار يقال عنت القربة إذا  
لم تحفظ الماء بل أظهرته ومنه عنون الكتاب

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقيل مشتق من قولهم عنت الأرض بنيات حسن إذا انبتت نباتا حسنا قلت وحيث قال المفسرون قال أصحاب العاني فمرادهم مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج ومن قبله وغيرهم وفي بعض كلام الواحدي أكبر أهل المعاني الفراء والزجاج وابن الأنباري قالوا كذا كذا ومعاني القرآن للزجاج لم يصنف مثله وحيث أطلق المتأخرون أهل المعاني فمرادهم بهم مصنفو العلم المشهور

وأما التفسير في اللغة فهو راجع إلى معنى الإظهار والكشف وأصله في اللغة من التفسرة وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصصها ومعناها والسبب الذي أنزلت فيه وكأنه تسمية بالمصدر لأن مصدر فعل جاء أيضا على تفعله نحو جرب تجربة وكرم تكرمه وقال ابن الأنباري قول العرب فسرت الدابة وفسرتها إذا ركضتها محصورة لينطلق حصرها وهو يؤول إلى الكشف أيضا فالتفسير كشف المغلق من المراد بلفظه وإطلاق للمحتبس عن الفهم به ويقال فسرت الشيء أفسره تفسيرا وفسرته أفسره فسرا والمزيد من الفعلين أكثر في الاستعمال وبمصدر الثاني منها سمى أبو الفتح بن جنى كتبه الشارحة (الفسر) وقال آخرون هو مقلوب من سفر ومعناه أيضا الكشف يقال سفرت المرأة سفورا إذا ألقى خمارها عن وجهها وهي سافرة وأسفر الصبح أضواء وسافر فلان وإنما بنوه على التفعيل لأنه للتكثير كقوله تعالى ( يذبحون أبناءكم ) وغلقت الأبواب ( فكانه يتبع سورة بعد سورة وآية بعد أخرى

وقال ابن عباس في قوله تعالى ( وأحسن تفسيرا ) أي تفصيلا وقال الراغب الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما ينبئ عنه البول تفسرة وسمي بها قارورة الماء وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار فقليل سفرت المرأة عن وجهها وأسفر الصبح وفي الإصطلاح هو علم نزول الآية وسورتها وأقصيصها والإشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكبها ومدنيها ومحكمها

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامتها ومطلقها  
ومقيدها ومجملها ومفسرها  
وزاد فيها قوم فقالوا علم حلالها وحرامها ووعدها ووعيدها  
وأمرها ونهيها وقبرها وأمثالها وهذا الذي منع فيه القول بالرأى  
وأما التأويل فأصله في اللغة من الأول ومعنى قولهم ما تأويل  
هذا الكلام أي إلام تؤول العاقبة في المراد به كما قال تعالى (   
يوم يأتي تأويله ) أي تكشف عاقبته ويقال آل الأمر إلى كذا أي  
صار إليه وقال تعالى ( ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا )  
وأصله من المال وهو العاقبة والمصير وقد أولته فال أي  
صرفته فانصرف فكان التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من  
المعاني  
وإنما بنوه على التفعيل لما تقدم ذكره في التفسيره

وقيل أصله من الإيالة وهي السياسة فكان المؤول للكلام  
يسوى الكلام ويضع المعنى فيه موضعه الفرق بين التفسير  
والتأويل  
ثم قيل التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال  
والصحيح تباينهما  
واختلفوا فقيل التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل ورد  
أحد الاحتمالين إلى ما يطابق الظاهر  
قال الراغب التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في  
الألفاظ وأكثر استعمال التأويل في المعاني كتأويل الرؤيا  
وأكثره يستعمل في الكتب الإلهية والتفسير يستعمل في  
غيرها والتفسير أكثر ما يستعمل في معاني مفردات الألفاظ  
واعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن  
وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره  
وبحسب المعنى الظاهر وغيره والتفسير أكثره في الجمل  
والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ كالبحيرة والسائبة  
والوصيلة أو في وجز مبين بشرح كقوله ( وأقيموا الصلاة  
وآتوا الزكاة ) وإما في كلام مضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا  
بمعرفتها كقوله ( إنما النسيء زيادة في الكفر ) وقوله (

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ( وأما التأويل فإنه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا نحو الكفر يستعمل تارة فى الجحود المطلق وتارة فى جحود البارئ خاصة والإيمان المستعمل فى التصديق المطلق تارة وفى تصديق الحق تارة وإما فى لفظ مشترك بين معان مختلفة

وقيل التأويل كشف ما انغلق من المعنى ولهذا قال البجلي التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية وهما راجعان إلى التلاوة والنظم المعجز الدال على الكلام القديم القائم بذات الرب تعالى

قال أبو نصر القشيري ويعتبر فى التفسير الاتباع والسمع وإنما الاستنباط فيما يتعلق بالتأويل وما لا يحتمل إلا معنى واحدا حمل عليه وما احتمل معنيين أو أكثر فإن وضع لأشياء متماثلة كالسواد حمل على الجنس عند الإطلاق وإن وضع لمعان مختلفة فإن ظهر أحد المعنيين حمل على الظاهر إلا أن يقوم الدليل وإن استويا سواء كان الاستعمال فيهما حقيقة أو مجازا أو فى أحدهما حقيقة وفى الآخر مجاز كلفظه المس فإن تنافى الجمع فمحمل يتوقف على البيان من غيره وإن تنافيا فقد قال قوم يحمل على المعنيين والوجه عندنا التوقف وقال أبو القاسم بن جبيب النيسابورى والبغوى والكواشى وغيرهم التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط

قالوا وهذا غير محذور على العلماء بالتفسير وقد رخص فيه أهل العلم وذلك مثل قوله تعالى ( ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ) قيل هو الرجل يحمل فى الحرب على مائة رجل وقيل هو الذي يقنط من رحمة الله وقيل الذي يمسك عن النفقة وقيل هو الذي ينفق الخبيث من ماله وقيل الذى يتصدق بماله كله ثم يتكفف الناس ولكل منه مخرج ومعنى البارئ خاصة والإيمان المستعمل فى التصديق المطلق تارة وفى تصديق الحق تارة وإما فى لفظ مشترك بين معان

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

مختلفة

وقيل التأويل كشف ما انغلق من المعنى ولهذا قال البجلي التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية وهما راجعان إلى التلاوة والنظم المعجز الدال على الكلام القديم القائم بذات الرب تعالى

قال أبو نصر القشيري ويعتبر في التفسير الاتباع والسمع وإنما الاستنباط فيما يتعلق بالتأويل وما لا يحتمل إلا معنى واحدا حمل عليه وما احتمل معنيين أو أكثر فإن وضع لأشياء متماثلة كالسواد حمل على الجنس عند الإطلاق وإن وضع لمعان مختلفة فإن ظهر أحد المعنيين حمل على الظاهر إلا أن يقوم الدليل وإن استويا سواء كان الاستعمال فيهما حقيقة أو مجازا أو في أحدهما حقيقة وفي الآخر مجاز كلفظه المس فإن تنافى الجمع فمجمّل يتوقف على البيان من غيره وإن تنافيا فقد قال قوم يحمل على المعنيين والوجه عندنا التوقف وقال أبو القاسم بن جيب النيسابوري والبغوي والكواشي وغيرهم التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط

قالوا وهذا غير محذور على العلماء بالتفسير وقد رخص فيه أهل العلم وذلك مثل قوله تعالى ( ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ) قيل هو الرجل يحمل في الحرب على مائة رجل وقيل هو الذي يقنط من رحمة الله وقيل الذي يمسك عن النفقة وقيل هو الذي ينفق الخبيث من ماله وقيل الذي يتصدق بماله كله ثم يتكفف الناس ولكل منه مخرج ومعنى ومثل قوله تعالى للمندوبين إلى الغزو عند قيام النفير ( انفروا خفا و ثقالا )

قيل شيوخا وشبابا وقيل اغنياء وفقراء وقيل عزابا ومتأهلين وقيل نشاطا وغير نشاط وقيل مرضى وأصحاء وكلها سائغ جائز والآية محمولة عليها لان الشباب والعزاب والنشاط والأصحاء خفاف وصداهم ثقال ومثل قوله تعالى ( ويمنعون الماعون ) قيل الزكاة المفروضة

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقيل العارية او الماء او النار او الكلاً او الرشد او المغرفة وكلها صحيح لأن مانع الكل آثم وكقوله تعالى ( ومن الناس من يعبد الله على حرف ) فسرّه ابو عبيد أي لايدوم وقال ثعلب أي على شك وكلاهما قريب لأن المراد انه غير ثابت علي دينة ولا تستقيم البصيرة فيه وقيل في القرآن ثلاث آيات في كل منها مائة قول قوله ( فاذكروني أذكركم ) ( وإن عدتم عدنا ) ( و هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ) فهذا وأمثاله ليس محظورا على العلماء استخراجه بل معرفة واجبة ولهذا قال تعالى ( وابتغاء تأويله ) ولولا ان له تأويلا سائغا في اللغة لم يبينه سبحانه والوقف على قوله ( والراسخون ) قال القاضي ابو المعالي انه قول الجمهور وهو مذهب ابن مسعود وابي بن كعب وابن عباس وما نقله بعض الناس عنهم بخلاف ذلك فغلط فأما التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور لأنه تأويل الجاهلين مثل تأويل الروافض لقوله تعالى ( مرج البحرين يلتقيان ) انهما على وفاطمة ) يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ) يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما كذلك قالوا في قوله تعالى ( وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها وبهلك الحرث والنسل ) انه معاوية وغير ذلك قال الإمام ابو القاسم محمد بن حبيب النيسابوري رحمه الله وقد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهدوا اليه لا يحسنون القرآن تلاوة ولا يعرفون معنى السورة او الآية ما عندهم الا التشنيع عند العوام والتكثير عند الطعام لنيل ما عندهم من الحطام اعفوا انفسهم من الكد والطلب وقولهم من الفكر والتعب لاجتماع الجهال عليهم وازدحام ذوي الأغفال لديهم لا يكفون الناس من السؤال ولا يأنفون عن مجالسة الجهال مفتضحون عند السبر والذواق زائغون عن العلماء عند التلاق يصادرون اناس مصادرة السلطان ويختطفون ما عندهم اختطاف السرحان



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

يدرسون بالليل صفحا ويحكونه بالنهار شرحا اذا سئلوا غضبوا  
وإذا نفرُوا هربوا القحة رأس مالهم والخرق والطيش خير  
خصالهم يتحلون بما ليس فيهم ويتنافسون فيما يرذلهم  
الصيانة عنهم معزل وهم من الخنى والجهل في جوف منزل  
وقد قال عنه المتشيع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقد قيل  
من تحلى بغير ما هو فيه  
فضحته شواهد الامتحان

وجرى في السباق جرية سكيت نفته الجياد عند الرهان  
قال حكى عن بعضهم انه سئل عن الحاقة فقال الحاقة جماعة  
من الناس اذا صاروا في المجلس قالوا كنا في الحاقة وقال  
آخر في قوله تعالى ( يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي  
( قال امر الأرض بإخراج الماء والسماء بصب الماء وكأنه على  
القلب وعن بعضهم في قوله تعالى ( وإذا الموءودة سئلت  
( قال ان الله ليسألكم عن الموءودات فيما بينكم في الحياة  
الدنيا

وقال آخر في قوله ( فليتنافس المتنافسون ) قال انهم تعبوا  
في الدنيا فإذا دخلوا الجنة تنعموا

قال ابو القاسم سمعت ابي يقول سمعت علي بن محمد  
الوراق يقول سمعت يحيى ابن معاذ الرازي يقول افواه  
الرجال حوانيتها وأسنانها صنائعها فإذا فتح الرجل باب حانوته  
تبين العطار من البيطار والتمار من الزمار والله المستعان  
علسوء الزمان وقلة الأعوان فصل في حاجة المفسر الى  
الفهم والتبحر في العلوم

كتاب الله بحره عميق وفهمه دقيق لا يصل الى فهمة الا من  
تبحر في العلوم وعامل الله بتقواه في السر والعلانية وأجله  
عند مواقف الشبهات واللطائف والحقائق لا يفهمها الا من القى  
السمع وهو شهيد فالعبارات للعموم وهي للسمع والإشارات  
للخصوص وهي للعقل وللطائف للأولياء وهي المشاهد  
والحقائق للأنبياء وهي الإستسلام  
وللكل وصف ظاهر وباطن وحد ومطلع فالظاهر التلاوة

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والباطن الفهم والحد احكام الحلال والحرام والمطلع أي الإشراف من الوعد والوعيد فمن فهم هذه الملاحظة بان له بسط الموازنة وظهر له حال المعاينة وفي صحيح ابن حبان عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ انزل القرآن على سبعة احرف لكل آية منه ظهر وبطن ثم فوائده على قدر ما يؤهل له سمعه فمن سمعه من التالي ففائدته فيه علم احكامه ومن سمعه كأنما يسمعه من النبي ﷺ يقرؤه على امته بموعظته وتبيان معجزته وانشراح صدره بلطائف خطابه ومن سمعه كأنما سمعه من جبريل عليه السلام يقرؤه على النبي ﷺ يشاهد في ذلك مطالعات الغيوب والنطق الى ما فيه من الوعود ومن سمع الخطاب فيه من الحق فني عنده وامحت صفاته وصار موصوفا بصفات التحقيق عن مشاهدة علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وقد قال ابو الدرداء رضي الله عنه لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجهاً وقال ابن مسعود من اراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن قال ابن سبع في شفاء الصدور هذا الذي قاله ابو الدرداء وابن مسعود لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وقال آخر القرآن يحوي سبعة وسبعين الف علم ومائتي علم اذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعة اذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وبالجملة فالعلوم كلها داخله في افعال الله تعالى وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله فهذه الأمور تدل على ان فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل والسمع لا بد منه في ظاهر التفسير ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم ولاستنباط والغرائب التي لاتفهم الا باستماع فنون كثيرة ولا بد من الإشارة الى جمل منها ليستدل بها على امثالها ويعلم انه لايجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر اولا ولا مطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

كمن ادعى البلوغ الى صدر البيت قبل تجاوز الباب فظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم وما لا بد فيها من استماع كثير لأن القرآن نزل بلغة العرب فما كان الرجوع فيه الى لغتهم فلا بد من معرفتها او معرفة اكثرها اذ الغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق الفهم ليفتح بابه ويستدل المرید بتلك المعاني التي ذكرناها من فهم باطن علم القرآن ظاهره على ان فهم كلام الله تعالى لا غاية له كما لانهاية للمتكلم به فأما الإستقصاء فلا مطمع فيه للبشر ومن لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر لم يدرك من لذة القرآن شيئاً ومن احاط بظاهر التفسير وهو معنى الألفاظ في اللغة لم يكف ذلك في فهم حقائق المعاني ومثاله قوله تعالى ( وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ) فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامضة فإنه اثبات للرمي ونفي له وهما متضادان

في الظاهر مالم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من جهة ومن الوجه الذي لم يرم ما رماه الله عز وجل وكذلك قال ( قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ) فإذا كانوا هم القاتلين كيف يكون الله تعالى هو المعذب وإن كان تعالى هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى امرهم بالقتال فحقيقة هذا تستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات فلا بد ان يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة وتفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله تعالى حتى تتكشف وتتضح فمن هذا الوجه تفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير فصل في امهات مأخذ التفسير للناظر في القرآن لطالب التفسير مأخذ كثيرة أمهاتها اربعة  
الاول النقل عن رسول الله ﷺ  
وهذا هو الطراز الأول لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع فإنه كثير وإن سواد الأوراق سواد في القلب قال الميموني سمعت احمد بن حنبل يقول ثلاث كتب ليس لها اصول المغازي والملاحم والتفسير قال المحققون من اصحابه

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ومراداه ان الغالب انها ليس لها اسانيد صحاح متصلة وإلا فقد  
صح من ذلك كثير  
فمن ذلك تفسير الظلم بالشرك في قوله تعالى ( الذين آمنوا  
ولم يلبسوا إيمانهم بظلم )  
وتفسير الحساب اليسير بالعرض رواهما البخاري  
وتفسير القوة في ( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ) بالرمي  
رواه مسلم  
وبذلك يرد تفسير مجاهد بالخيل  
وكتفسير العبادة بالدعاء في قوله ( إن الذين يستكبرون عن  
عبادتي )  
الثاني الآخذ بقول الصحابي فإن تفسيره عندهم بمنزلة  
المرفوع الى النبي ﷺ كما قاله الحاكم في تفسيره  
وقال ابو الخطاب من الحنابلة يحتمل الا يرجع اليه اذا قلنا ان  
قوله ليس بحجة والصواب الأول لأنه من باب الرواية لا الرأي  
وقد اخرج ابن جرير عن مسروق وقال عبد الله بن مسعود  
والذي لا اله الا هو ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا اعلم فيمن  
نزلت وأين نزلت ولو اعلم مكان احد اعلم بكتاب الله مني  
تناله المطايا لأتيته وقال ايضا كان الرجل منا اذا تعلم عشر  
آيات لم يتجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن  
وصدور المفسرين من الصحابة علي ثم ابن عباس وهو مجرد  
لهذا الشأن والمحفوظ عنه اكثر من المحفوظ عن علي الا ابن  
عباس كان اخذ عن علي ويتلوه عبد الله بن عمرو بن العاص  
وكل ماورد عن غيرهم من الصحابة فحسن مقدم

مسألة في الرجوع الى اقوال التابعين ثم ذكر طبقات  
المفسرين

وفي الرجوع الى قول التابعي روايتان عن احمد واختار ابن  
عقيل المنع وحكوه عن شعبة لكن عمل المفسرين على خلافة  
وقد حكوا في كتبهم اقوالهم كالضحاك ابن مزاحم وسعيد بن  
جبير ومجاهد وقتادة وأبي العالية الرياحي والحسن البصري  
والربيع بن انس ومقاتل بن سليمان وعطاء بن ابي سلمة

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الخراساني ومرة الهمداني وعلى بن ابي طلحة الوالبي  
ومحمد بن كعب القرظي وأبي بكر الأصم عبد الرحمن بن  
كيسان وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي وعكرمة مولى ابن  
عباس وعطية الموفي وعطاء بن ابي رباح وعبد الله بن زيد بن  
اسلم

فهذه تفاسير القدماء المشهورين وغالب اقوالهم تلقوها من  
الصحابة ولعل اختلاف الرواية عن احمد انما هو فيما كان من  
اقوالهم وأرائهم

ومن المبرزين في التابعين الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير ثم  
يتلوهم عكرمة والضحاك وإن لم يلق ابن عباس وإنما اخذ عن  
ابن جبير

وأما عامر السدي فكان عامر الشعبي يطعن عليه وعلى ابي  
صالح لأنه كان يراهما مقصرين في النظر  
وقال الحافظ ابو احمد بن عدي في كتابه الكامل للكليبي  
احاديث صالحة وخاصة عن ابي صالح وهو معروف بالتفسير  
وليس لأحد تفسير اطول منه

ولا اشيع فيه وبعده مقاتل بن سليمان الا ان الكليبي يفضل  
على مقاتل لما في مقاتل من المذاهب الرديئة ثم بعد هذه  
الطبقة الفت تفاسير تجمع اقوال الصحابة والتابعين كتفسير  
سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج ويزيد  
بن هارون والمفضل وعبد الرزاق بن همام الصنعاني  
وإسحاق بن راهويه وروح بن عبادة ويحيى ابن قريش ومالك  
بن سليمان الهروي وعبد بن حميد الكشي وعبد الله بن  
الجراح وهشيم بن بشير وصالح بن محمد اليزيدي وعلي بن  
حجر بن اياس السعدي ويحيى ابن محمد بن عبد الله الهروي  
وعلي بن ابي طلحة وابن مردويه وسنيد والنسائي وغيرهم  
ووقع في مسند احمد والبزار ومعجم الطبراني وغيرهم كثير  
من ذلك

ثم ان محمد بن جرير الطبري جمع على الناس اشتات  
التفاسير وقرب البعيد وكذلك عبد الرحمن بن ابي حاتم  
الرازي وأما ابو بكر النقاش وأبو جعفر النحاس فكثيرا ما

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

استدرك الناس عليهما وعلى سننهما مكي والمهدوي حسن  
التأليف وكذلك من تبعهم كابن عطية وكلهم متقن ماجور  
فجزاهم الله خيرا تنبيه فيما يجب ان يلاحظ عند نقل اقوال  
المفسرين

يكثر في معنى الآية اقواله واختلافهم ويحيكه المصنفون  
للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ ويظن من لا فهم عنده ان  
في ذلك اختلافا فيحكيه اقوالا وليس كذلك بل يكون كل واحد  
منهم ذكر معنى ظهر من الآية وإنما اقتصر عليه لأنه اظهر  
عند ذلك القائل او لكونه اليق بحال السائل وقد يكون  
بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره والآخر بمقصوده  
وثمرته والكل يؤول الى معنى واحد غالبا والمراد الجميع  
فليتفطن لذلك ولا يفهم من اختلاف العبارات اختلاف  
المرادات كما قيل

عباراتنا شتى وحسنك واحد  
وكل الى ذاك الجمال يشير

هذا كله حيث امكن الجمع فأما اذا لم يمكن الجمع فالمتأخر  
من القولين عن الشخص الواحد مقدم عنه ان استويا في  
الصحة وإلا فالصحيح المقدم وكثيرا ما يذكر المفسرون شيئا  
في الآية على جهة التمثيل لما دخل في الآية فيظن بعض  
الناس انه قصر الآية على ذلك ولقد بلغني عن شخص انه انكر  
على الشيخ ابي الحسن الشاذلي قوله في قوله تعالى ( نأت  
بخير منها أو مثلها ) ماذهب الله مولى الا اتى بخير منه او مثله  
الثالث الأخذ بمطلق اللغة

فإن القرآن نزل ) بلسان عربي مبين ( وقد ذكره جماعة ونص  
عليه احمد بن حنبل في مواضع لكن نقل الفضل بن زياد عنه  
وقد سئل عن القرآن تمثل له رجل بيت من الشعر فقال ما  
يعجبني فقيل ظاهره المنع ولهذا قال بعضهم في جواز تفسير  
القرآن بمعقضى اللغة روايتان عن احمد وقيل الكراهة تحمل  
على من يصرف الآية عن ظاهرها الى معان خارجة محتملة

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

يدل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالبا الا في الشعر ونحوه ويكون المتبادر خلفها وروي البيهقي في شعب الإيمان عن مالك بن انس قال لا اوتي برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا الرابع التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس في قوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وروي البخاري رحمه الله في كتاب الجهاد في صحيحه عن علي هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء فقال ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة او فهم يؤتاه الرجل وعلى هذا قال بعض اهل الذوق للقرآن نزول وتنزل فالنزول قد مضى والتنزل باق الى قيام الساعة ومن ها هنا اختلف الصحابة في معنى الآية فأخذ كل واحد برأية على مقتضى نظره في المقتضى ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الراي والاجتهاد من غير اصل لقوله تعالى ( ولا تقف ما ليس لك به علم ) وقوله ( وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ) وقوله ( لتبين للناس ما نزل إليهم ) فأضاف البيان اليهم وعليه حملوا قوله ﷺ من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار رواه البيهقي من طريق من حديث ابن عباس وقوله ﷺ من تلكم في القرآن برأيه فأصاب فقد اخطا اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وقال غريب من حديث ابن جندب

وقال البيهقي في شعب الإيمان هذا إن صح فإنما أراد والله أعلم الراي الذي يغلب من غير دليل قام عليه فمثل هذا الذي لا يجوز الحكم به في النوازل وكذلك لا يجوز تفسير القرآن به وأما الراي الذي يسنده برهان فالحكم به في النوازل جائز وهذا معنى قول الصديق أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله برأبي وقال في المدخل في هذا الحديث نظر وإن صح فإنما أراد

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

والله أعلم فقد أخطأ الطريق فسيبيله أن يرجع في تفسير ألفاظه إلى أهل اللغة وفي معرفة ناسخه ومنسوخه وسبب نزوله وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيله وأدوا إلينا من سنن رسول الله ﷺ ما يكون تبيانا لكتاب الله قال الله تعالى ) وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون (

فما ورد بيانه عن صاحب الشرع ففيه كفاية عن ذكره من بعده وما لم يرد عنه بيان ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده ليستدلوا بما ورد بيانه على ما لم يرد

قال وقد يكون المراد به من قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول العلم وفروعه فتكون موافقته للصواب وإن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة

وقال الإمام أبو الحسن الماوردي في نكته قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره وامتنع من أن يستنتج معانى القرآن باجتهاده ولو صحبتها الشواهد ولم يعارض شواهدنا نص صريح وهذا عدول عما تعبدنا من معرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام منه كما قال تعالى ( لعلمه الذين يستنبطونه منهم )

ولو صح ما ذهب إليه لم نعلم شئ بالاستنباط ولما فهم الأكثر من كتاب الله شيئاً وإن صح الحديث فتأويله أن من تكلم في القرآن بمجرد رأيه ولم يعرج على سوى لفظه وأصاب الحق فقد أخطأ الطريق وإصابته اتفاق إذ الغرض أنه مجرد رأى لا شاهد له وفي الحديث إن النبي ﷺ قال القرآن ذلول ذو وجوه محتملة فاحملوه على أحسن وجوهه

وقوله ذلول يحتمل وجهيه أحدهما أنه مطيع لحامله ينطق بالسنتهم الثانى أنه موضح لمعانيه حتى لا تقصر عنه أفهام المجتهدين

وقوله ذووجوه يحتمل معنيين أحدهما أن من ألفاظه ما يحتمل وجوها من التأويل والثانى أنه قد جمع وجوها من الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب والتحليل والتحريم وقوله فاحملوه على أحسن وجوهه يحتمل أيضا وجهين أحدهما



# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الحمل على أحسن معانيه والثاني أحسن ما فيه من العزائم  
دون الرخص والعفو دون الانتقام وفيه دلالة ظاهرة على جواز  
الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله  
وقال أبو الليث

النهى إنما انصرف إلى المتشابه منه لا إلى جميعه كما قال  
تعالى ( فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ) لأن  
القرآن إنما نزل حجة على الخلق فلو لم يجز التفسير لم تكن  
الحجة بالغة فإذا كان كذلك جاز لمن عرف لغات العرب وشأن  
النزول أن يفسره وأما من كان من المكلفين ولم يعرف وجوه  
اللغة فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما يسمع فيكون ذلك على  
وجه الحكاية لا على سبيل التفسير فلا بأس به ولو أنه يعلم  
التفسير فأراد أن يستخرج من الآية حكمة أو دليلاً لحكم فلا  
بأس به

ولو قال المراد من الآية كذا من غير أن يسمع منه شيئاً فلا يحل  
وهو الذي نهى عنه انتهى وقال الراغب في مقدمة تفسيره  
اختلف الناس في تفسير القرآن هل يجوز لكل ذي علم الخوض  
فيه فمنهم من بالغ ومنع الكلام ولو تفنن الناظر في العلوم  
واتسع باعه في المعارف إلا بتوقيف عن النبي ﷺ أو عمن  
شاهد التنزيل من الصحابة أو من أخذ منهم من التابعين  
واحتجوا بقوله ﷺ من فسر القرآن برأيه فقد أخطأ وفي رواية  
من قال في القرآن برأيه فقد كفر

وقيل إن كان ذا معرفة وأدب فواسع له تفسيره والعقلاء  
والأدباء فوضى في معرفة الأغراض واحتجوا بقوله تعالى (   
ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ) أقسام التفسير  
وقد روى عبد الرزاق في تفسيره حدثنا الثوري عن ابن عباس  
أنه قسم التفسير إلى أربعة أقسام قسم تعرفه العرب في  
كلامها وقسم لا يعذر أحد بجهالته يقول من الحلال والحرام  
وقسم يعلمه العلماء خاصة وقسم لا يعلمه إلا الله ومن ادعى  
علمه فهو كاذب وهذا تقسيم صحيح  
فأما الذي تعرفه العرب فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم وذلك  
شأن اللغة والإعراب

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فأما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها ولا يلزم ذلك القارئ ثم إن كان ما تتضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم كفى فيه خبر الواحد والاثنين والاستشهاد بالبيت والبيتين وإن كان مما يوجب العلم لم يكف ذلك بل لا بد أن يستفيض ذلك اللفظ وتكثر شواهد من الشعر وأما الإعراب فما كان اختلافه محيلا للمعنى وجب على المفسر والقارئ تعلمه ليتوصل المفسر إلى معرفة الحكم وليسلم القارئ من اللحن وإن لم يكن محيلا للمعنى وجب تعلمه على القارئ ليسلم من اللحن ولا يجب على المفسر ليتوصل إلى المقصود دونه على أن جهله نقص فى حق الجميع

إذا تقرر ذلك فما كان من التفسير راجعا إلى هذا القسم فسبيل المفسر التوقف فيه على ما ورد فى لسان العرب وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز ولا يكفى فى حقه تعلم اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين الثانى ما لا يعذر واحد بجهله وهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد وكل لفظ أفاد معنى واحدا جليا لا سواه يعلم أنه مراد الله تعالى فهذا القسم لا يختلف حكمه ولا يلبس تأويله إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى ( فاعلم أنه لا إله إلا الله ) وأنه لا شريك له فى إلهيته

وإن لم يعلم أن لا موضوع فى اللغة للنفى وإلا للإثبات وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر ويعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى قوله تعالى ( وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ) ونحوها من الأوامر طلب إدخال ماهية المأمور به فى الوجود وإن لم يعلم أن صيغة أفعل مقتضاها الترجيح وجوبا أو ندبا فما كان من هذا القسم لا يقدر أحد يدعي الجهل بمعاني ألفاظه لأنها معلومة لكل أحد بالضرورة

الثالث ما لا يعلمه إلا الله تعالى فهو ما يجرى مجرى الغيوب نحو الآى المتضمنة قيام الساعة ونزول الغيث وما فى الأرحام

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وتفسير الروح والحروف المقطعة وكل متشابه في القرآن عند أهل الحق فلا مساع للاجتهاد في تفسيره ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف من أحد ثلاثة أوجه إما نص من التنزيل أو بيان من النبي ﷺ أو إجماع الأمة على تأويله فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات علمنا أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه والرابع ما يرجع إلى اجتهاد العلماء وهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل وهو صرف اللفظ إلى ما يتوّل إليه فالمفسر ناقل والمؤول مستنبط وذلك استنباط الأحكام وبيان المجمل وتخصيص العموم وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدا فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل وليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه على ما تقدم بيانه وكل لفظ احتمل معنيين فهو قسمان أحدهما أن يكون أحدهما أظهر من الآخر فيجب الحمل على الظاهر إلا أن يعوم دليل على أن المراد هو الخفي دون الجلي فيحمل عليه الثاني أن يكونا جليين والاستعمال فيهما حقيقة وهذا على ضربين أحدهما أن تختلف أصل الحقيقة فيهما فيدور اللفظ بين معنيين هو في أحدهما حقيقة لغوية وفي الآخر حقيقة شرعية فالشرعية أولى إلا أن تدل قرينته على إرادة اللغوية نحو قوله تعالى ( وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ) وكذلك إذا دار بين اللغوية والعرفية فالعرفية أولى لطريقتها على اللغة ولو دار بين الشرعية والعرفية فالشرعية أولى لأن الشرع ألزم الضرب الثاني لا تختلف أصل الحقيقة بل كلا المعنيين استعمل فيهما في اللغة أو في الشرع أو العرف على حد سواء وهذا أيضا على ضربين أحدهما أن يتنافيا اجتماعا ولا يمكن إرادتهما باللفظ الواحد كالقرء حقيقة في الحيض والطهر فعلى المجتهد أن يجتهد في المراد منهما بالأمارات الدالة عليه فإذا وصل إليه كان هو مراد الله في حقه وإن اجتهد مجتهد آخر فأدى اجتهاده إلى المعنى

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الآخر كان ذلك مراد الله تعالى في حقه لأنه نتيجة اجتهاده وما كلف به فإن لم يترجح أحد الأمرين لتكافؤ الأمارات فقد اختلف أهل العلم فمنهم من قال بخير في الحمل على أيهما شاء ومنهم من قال يأخذ بأعظمهما حكما ولا يبعد اطراد وجه ثالث وهو أن يأخذ بالأخف كاختلاف جواب المفتين الضرب الثاني ألا يتنافيا اجتماعا فيجب الحمل عليهما عند المحققين ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة وأحفظ في حق المكلف إلا أن يدل دليل على إرادة أحدهما وهذا أيضا ضربان

أحدهما أن تكون دلالة مقتضية لبطلان المعنى الآخر فيتعين المدلول عليه للإرادة

الثاني ألا يقتضى بطلانه وهذا اختلف العلماء فيه فمنهم من قال يثبت حكم المدلول عليه ويكون مرادا ولا يحكم بسقوط المعنى الآخر بل يجوز أن يكون مرادا أيضا وأن لم يدل عليه دليل من خارج لأن موجب اللفظ عليهما فاستويا في حكمه وإن ترجح أحدهما بدليل من خارج ومنهم من قال ما ترجح بدليل من خارج اثبت حكما من الآخر لقوته بماظاهرة الدليل الآخر

فهذا أصل نافع معتبر في وجوه التفسير في اللفظ المحتمل والله أعلم

إذا تقرر ذلك فينزل قوله ﴿ ( ) ﴾ ( من تكلم في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده عن النار ) ) على قسمين من هذه الأربعة أحدهما تفسير اللفظ لاحتياج المفسر له إلى التبحر في معرفة لسان العرب

الثاني حمل اللفظ المحتمل على أحد معنياه لاحتياج ذلك إلى معرفة انواع من العلوم علم العربية واللغة والتبحر فيهما ومن علم الأصول ما يدرك به حدود الأشياء وصيغ الأمر والنهي والخبر والمجمل والمبين والعموم والخصوص والظاهر والمضمر والمحكم والمتشابه والمؤول والحقيقة والمجاز والصريح والكتابة والمطلق والمقيد ومن علوم الفروع ما يدرك به استنباطا والاستدلال على هذا أقل ما يحتاج إليه ومع

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ذلك فهو على خطر فعليه أن يقول يحتمل كذا ولا يجزم إلا في حكم اضطر إلى الفتوى به فإدى اجتهاده إليه فيحرم خلافه مع تجويز خلافه عند الله

فإن قيل فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال ما نزل من القرآن من آية إلا ولها ظهر وبطن ولكن حرف حد ولكل حد مطلع فما معنى ذلك قلت أما قوله ظهر وبطن ففي تأويله أربعة أقوال أحدها وهو قول الحسن أنك إذا بحثت عن باطنها وقستة على ظاهرها وقفت على معناها

الثاني قول أبي عبيدة أن القصص ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين وباطنها عظة للآخرين

الثالث قول ابن مسعود رضي الله عنه أنه ما من آية إلا عمل بها قوم ولها قوم سيعملون بها

الرابع قاله بعض المتأخرين أن ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها وقول أبي عبيدة أقربها وأما قوله ولكل حرف حد ففيه تأويلان أحدهما لكل حرف منتهي فيما أراد الله من معناه الثاني معناه أن لكل حكم مقداراً من الثواب والعقاب وأما قوله ولكل حد مطلع ففيه قولان أحدهما لكل غامض من المعاني والأحكام مطلع يتوصل إلى معرفته ويوقف على المراد به والثاني لكل ما يستحقه من الثواب والعقاب مطلع يطلع عليه في الآخرة ويراه عند المجازاة

وقال بعضهم منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار وذلك أجل حادثة في أوقات آتية كوقت قيام الساعة والنفخ في الصور ونزول عيسى بن مريم وما أشبه ذلك

لقوله ( لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض ) ومنه ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن وذلك إبانة غرائبه ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشتركة منها والموصوفات بصفات الخاصة دون ما سواها فإن ذلك لا يجله أحد منهم وذلك كسامع منهم لو سمع تالياً يتلو ) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ( لم يجهل

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ان معنى الفساد هو ما ينبغي تركه مما هو مضره وأن الصلاح مما ينبغي فعله مما هو منفعة وإن جهل المعاني التي جعلها الله افسادا والمعاني التي جعلها الله اصلاحا فأما تعليم التفسير ونقله عن قوله حجة ففيه ثواب وأجر عظيم كتعليم الأحكام من الحلال والحرام تنبيه في كلام الصوفية في تفسير القرآن فأما كلام الصوفية في تفسير القرآن فقليل ليس تفسيراً وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم في ( يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ) ان المراد النفس فأمرنا بقتال من يلينا لأنها اقرب شيء الينا واقرب شيء الى الإنسان نفسه

قال ابن الصلاح في فتاويه وقد وجدت عن الإمام ابي الحسن الواحدي انه

صنف ابو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير فإن كان اعتقد ان ذلك تفسير فقد كفر

قال وأنا اقول الظن بمن يوثق به منهم اذا قال شيئاً من امثال ذلك انه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة في القرن العظيم فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية وإنما ذلك منهم ذكر لنظير ما ورد به القرآن فإن النظير يذكر بالنظير فمن ذلك مثال النفس في الآية المذكورة فكأنه قال امرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك لما فيه من الإبهام والالتباس انتهى فصل حكى الشيخ ابو حيان عن بعض من عاصره ان طالب علم التفسير مضطر الى النقل في فهم معاني تركيبه بالإسناد الى مجاهد وطاوس وعكرمة وأضرابهم وأن فهم الآيات يتوقف على ذلك ثم بالغ الشيخ في رده لأثر على السابق

والحق ان علم التفسير منه ما يتوقف على النقل كسبب النزول والنسخ وتعيين المبهم وتبيين المجمل ومنه ما لا يتوقف ويكفي في تحصيله التفقه على الوجه المعبر

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وكان السبب في اصطلاح بعضهم على التفرقة بين التفسير والتأويل التمييز بين المنقول والمستنبط ليحمل على الاعتماد في المنقول وعلى النظر في المستنبط تجويزا له وازديادا وهذا من الفروع في الدين تنخيل لما سبق واعلم ان القرآن قسما احدهما ورد تفسيره بالنقل عن من يعتبر تفسيره وقسم لم يرد والاول ثلاثة انواع اما ان يرد التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم او عن الصحابة او عن رءوس التابعين فالاول يبحث في عن صحة السند والثاني ينظر في تفسير الصحابي فإن فسره من حيث اللغة فهم اهل اللسان فلا شك في اعتمادهم وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه وحينئذ ان تعارضت اقوال جماعة من الصحابة فإن امكن الجمع فذاك وإن تعذر قدم ابن عباس لأن النبي ﷺ بشره بذلك حيث قال اللهم علمه التأويل وقد رجح الشافعي قول زيد في الفرائض لقوله ﷺ افرضكم زيد فإن تعذر الجمع جاز للمقلد ان ياخذ بأيهما شاء وأما الثالث وهم رءوس التابعين اذا لم يرفعوه الى النبي ﷺ ولا الى احد من الصحابة رضي الله عنهم فحيث جاز التقليد فيما سبق فكذا هنا وإلا وجب الاجتهاد

الثاني ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين وهو قليل وطريق التوصل الى فهمه النظر الى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق وهذا يعتني به الراغب كثيرا في كتاب المفردات فيذكر قيذا زائدا على اهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ لأنه اقتضه من السياق فصل فيما يجب على المفسر البداءة به

الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فتحصيل معاني المفردات من الفاظ القرآن من اوائل المعادن لمن يريد ان يدرك معانيه وهو كتحصيل اللبن من اوائل المعادن في بناء ما يريد ان يبنيه

قالوا وليس ذلك في علم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع وغيره وهو كما قالوا ان المركب لا يعلم الا

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

بعد العلم بمفرداته لأن الجزء سابق على الكل في الوجود من  
الذهبي والخارجي فنقول النظر في التفسير هو بحسب افراد  
الألفاظ وتراكيبها  
وأما بحسب الأفراد فمن وجوه ثلاثة  
من جهة المعاني التي وضعت الألفاظ المفردة بإزائها وهو  
يتعلق بعلم اللغة  
ومن جهة الهيئات والصيغ الواردة على المفردات الدالة على  
المعاني المختلفة وهو من علم التصريف  
ومن جهة رد الفروع المأخوذة من الاصول اليها وهو من علم  
الإشتقاق  
وأما بحسب التركيب فمن وجوه اربعة  
الأول باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب ومقابله من حيث  
انها مؤدية اصل المعنى وهو ما دل عليه المركب بحسب  
الوضع وذلك متعلق بعلم النحو  
الثاني باعتبار كيفية التركيب من جهة افادته معنى المعنى  
اعني لازم اصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال  
في تراكيب البلغاء وهو الذي يتكلف بإبراز محاسنة علم  
المعاني  
الثالث باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة  
وحقائقها ومراتبها وباعتبار الحقيقة والمجاز والاستعارة  
والكناية والتشبيه وهو ما يتعلق بعلم البيان  
والرابع باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية والاستحسان  
ومقابلة وهو يتعلق بعلم البديع مسألة في ان الإعجاز يكون في  
اللفظ والمعنى والملائمة  
وقد سبق لنا في باب الإعجاز ان اعجاز القرآن لاشتماله على  
تفرد الألفاظ التي يتركب منها الكلام مع ما تضمنه من المعاني  
مع ملائمتها التي هي نظوم تأليفه  
فأما الأول وهو معرفة الألفاظ فهو امر نقلي يؤخذ عن ارباب  
التفسير ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ قوله  
تعالى ( وفاكهة وأبا ) فلا يعرفه فيراجع نفسه ويقول ما الأب  
ويقول ان هذا منك تكلف وكان ابن عباس



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وهو ترجمان القرآن يقول لا اعرف حنانا ولا ( غسيلين ) ولا ( والرقيم )  
وأما المعاني التي تحتملها الألفاظ فالأمر في معاناتها اشد لأنها  
نتائج العقول  
وأما رسوم النظم فالحاجة الى الثقافة والحدق فيها اكثر لأنها  
لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه يتصل اجزاء الكلام ويتسم  
بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان  
فليس المفرد بذرب اللسان وطلاقة كافي لهذا الشأن ولا كل  
من اوتي خطاب بديهة ناهضة بحمله مالم يجمع اليها سائر  
الشروط مسأله في ان احسن طرق التفسير ان يفسر القرآن  
بالقرآن  
قيل احسن طريق التفسير ان يفسر القرآن بالقرآن فما اجمل  
في مكان فقد فصل في موضع آخر وما اختصر في مكان فإنه  
قد بسط في آخر فإن اعياءك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة  
للقرآن وموضحة له قال تعالى ( وما أنزلنا عليك الكتاب إلا  
لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون )  
ولهذا قال ﷺ الا اني اوتيت القرآن ومثله معه يعني السنة فإن  
لم يوجد في السنة يرجع الى اقوال الصحابة فإنهم ادري بذلك  
لما شاهدوه من القرائن ولما اعطاهم الله من الفهم العجيب  
فإن لم يوجد ذلك يرجع الى النظر والاستبطاء بالشرط السابق  
مسألة فيما يحب على المفسر من التحوط في التفسير  
ويجب ان يتحرى في التفسير مطابقة المفسر وأن يتحرز في  
ذلك من نقص المفسر عما يحتاج اليه من ايضاح المعنى  
المفسر او ان يكون في ذلك المعنى زيادة لا تليق بالعرض او  
ان يكون في المفسر زيغ عن المعنى المفسر وعدول عن  
طريقه حتى يكون غير مناسب له ولو من بعض انحائه بل  
يجتهد في ان يكون وفقه من جميع الأنحاء وعليه بمراعاة  
الوضع الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف وأن بواقى بين  
المفردات وتلميح الوقائع فعند ذلك تتفجر له ينابيع الفوائد  
ومن شواهد الإعراب قوله تعالى ( فتلقى آدم من ربه كلمات )  
ولولا الإعراب لما عرف الفاعل من الفعل به

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ومن شواهد النظم قوله تعالى ( واللائي لم يحضن ) فإنها منتظمة مع ما قبلها منقطعة عما بعدها وقد يظهر الارتباط وقد يشكك امره فمن الظاهر قوله تعالى ( هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده ) ووجه ظهوره انه لا يستقيم ان يكون السؤال والجواب من واحد فتعين ان يكون قوله ( قل الله ) جواب سؤال كأنهم لما سألوا سمعوا ما قبله من رسول الله ﷺ ( وهو ) من يبدأ الخلق ثم يعيده ( اجابهم بقوله ) قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده ( فترك ذكر السؤال

ونظيره ) قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق ( مسألة في النهي عن ذكر لفظ الحكاية عن الله تعالى ووجوب تجنب اطلاق الزائد على بعض الحروف الواردة في القرآن

وكثيرا ما يقع في كتب التفسير حكى الله تعالى وينبغي تحنبه قال الإمام ابو نصر القشيري في كتابه المرشد قال معظم ائمتنا لا يقال كلام الله يحكى ولا يقال حكى الله لأن الحكاية الإتيان بمثل الشيء وليس لكلامه مثل وتساهل قوم فأطلقوا لفظ الحكاية بمعنى الإخبار وكثيرا ما يقع في كلامهم اطلاق الزائد على بعض الحروف كما في نحو ( فيما رحمة من الله ) والكاف في نحو ( ليس كمثله شيء ) ونحوه والذي عليه المحققون تجنب هذا اللفظ في القرآن اذ الزائد ما لا معنى له وكلام الله منزه عن ذلك

وممن نص على منع ذلك في المتقدمين الإمام داود الظاهري فذكر ابو عبد الله احمد بن يحيى بن سعيد الداودي في الكتاب المرشد له في اصول الفقه على مذهب داود الظاهري وروى بعض اصحابنا عن ابي سليمان انه كان يقول ليس في القرآن صلة بوجه وذكر ابو محمد بن داود وغيره من اصحابنا مثل ذلك والذي عليه اكثر النحويين خلاف هذا ثم حكى عن ابي داود مثله يزعم الصلة فيها كقوله تعالى ( مثلا ما بعوضة ) وقال ان ما بها هنا للتعليل مثل احب حبيبك هونا ما فصل في تقسم التأويل الى منقاد ومستكره

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

التأويل ينقسم الى منقاد ومستكره فالأول ما لا تعرض فيه بشاعة او استقباح وقد يقع فيه الخلاف بين الأئمة اما الإشتراك (في اللفظ نحو) لا تدركه الأبصار (هل هو من بصر العين او القلب

وأما لأمر راجع الى النظم كقوله تعالى) إلا الذين تابوا (هل هذا الاستثناء مقصور على المعطوف وجده او عائد الى الجميع وأما لغموض المعنى ووجازة النظم كقوله تعالى) وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم)

وإما لغير ذلك

وأما المستكره فما يستبشع اذا عرض على الحجة وذلك على اربعة اوجه الأول ان يكون لفظا عاما فيختص ببعض ما يدخل تحته كقوله) وصالح المؤمنين ( فحمله بعضهم على علي رضي الله عنه فقط

والثاني ان يلفق بين اثنين كقول من زعم تكليف الحيوانات في قوله) وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ( مع قوله تعالى) وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ( انهم مكلفون كما نحن

والثالث ما استعير فيه كقوله تعالى) يوم يكشف عن ساق ( في حمله على حقيقته

الرابع ما اشعر باشتقاق بعيد كما قال بعض الباطنية في البقرة انه انسان يبقر عن اسرار العلوم وفي الهدد انه انسان موصوف بجودة البحث والتنقيب

والأول اكثر ما يروج على المتفقه الذي لم يتبحروا في معرفة الأصول والثاني على المتكلم القاصر في معرفة شرائط النظم والثالث على صاحب الحديث الذي لم يتهذب في شرائط قبول الأخبار والرابع على الأديب الذي لم يتهذب بشرائط الاستعارات والاشتقاقات

فأئده فيما نقل عن ابن عباس في تفسير بعض الآيات روى عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى) أو خلقا مما يكبر في صدوركم ( فقال الموت قال السهيلي وهو تفسير يحتاج لتفسير

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ورأيت لبعض المتأخرين أن مراد ابن عباس أن الموت سيفنى كما يفنى كل شيء كما جاء أنه يذبح على الصراط فكان المعنى لو كنتم حجارة أو حديدا لبادر إليكم الموت ولو كنتم الموت الذى يكبر فى صدوركم فلا بد لكم من الموت والله أعلم بتأويل ذلك

قال وبقي فى نفسى من تأويل هذه الآية شئ حتى يكمل الله نعمته فى فهمها فصل أصل الوقوف على معانى القرآن التدبر

(  
أصل الوقوف على معانى القرآن التدبر والتفكر واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معانى الوحي حقيقة ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفى قلبه بدعة أو إصرار على ذنب أو فى قلبه كبر أو هوى أو حب الدنيا أو يكون غير متحقق الإيمان أو ضعيف التحقيق أو معتمدا على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر أو يكون راجعا إلى معقوله وهذه كلها حجب وموانع وبعضها أكد من بعض إذا كان العبد مصغيا إلى كلام ربه ملقي السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه ناظرا إلى قدرته تاركا للمعهود من علمه ومعقوله متبرئا من حوله وقوته معظما للمتكلم مفتقرا إلى التفهم بحال مستقيم وقلب سليم وقوة علم وتمكن سمع لفهم الخطاب وشهادة غيب الجواب بدعاء وتضرع وابتئاس وتمسكن وانتظار للفتح عليه من عند الفتح العليم وليستن على ذلك بأن تكون تلاوته على معانى الكلام وشهادة وصف المتكلم من الوعد بالتشويق والوعيد بالتخيف والإنذار بالتشديد فهذا القارئ أحسن الناس صوتا بالقرآن وفي مثل هذا قال تعالى ) الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به )

وهذا هو الراسخ فى العلم جعلنا الله من هذا الصنف ) والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ( فصل فى القرآن علم الأولين والآخرين

وفى القرآن علم الأولين والآخرين وما من شئ إلا ويمكن استخراج منه لمن فهمه الله تعالى حتى إن بعضهم استنبط عمر النبي صالى الله عليه وسلم ثلاثا وستين من قوله تعالى

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

فى سورة المنافقين ( ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها  
( فإنها رأس ثلاث  
وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن فى فقد  
وقوله تعالى مخبرا عن عيسى ) قال إني عبد الله أتاني الكتاب  
( إلى قوله ) أبعث حيا ( ثلاث وثلاثون كلمة وعمره ثلاث  
وثلاثون سنة  
وقد استنبط الناس زلزلة عام اثنين وسبعمئة من قوله تعالى  
( إذا زلزلت الأرض ( فإن الألف باثنين والذال بسبعمئة  
وكذلك استنبط بعض أئمة العرب فتح بيت المقدس وتخليصه  
من أيدي العدو فى أول سورة الروم بحساب الجمل وغير ذلك  
فصل ( قد يستنبط الحكم من السكوت عن الشيء ) وقد  
يستنبط الحكم من السكوت عن الشيء كقوله تعالى ( ولا  
يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ( الآية ولم يذكر الأعمام والأخوال  
وهم من المحارم وحكمهم حكم  
من سمى فى الآية وقد سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يضعه  
العم عند ابنه وهو ليس بمحرم لها وكذا الخال فيفضي إلى  
الفتنة والمعنى فيه أن كل من استثنى مشترك بابنه فى  
المحرمة إلا العم والخال وهذا من الدلائل البليغة على وجوب  
الاحتياط فى سترهن  
ولقائل أن يقول هذه المفسدة محتملة فى أبناء بعولتهن  
لاحتتمال أن يذرها أبو البعل عند ابنه الآخر وهو ليس بمحرم لها  
وأبو البعل ينقض قولهم إن من استثنى اشترك هو وابنه فى  
المحرمة  
ومنه قوله تعالى ( ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم  
( الآية ولم يذكر الأولاد فليل لدخولهم فى قوله ) بيوتكم  
( فصل فى تقسيم القرآن إلى ما هو بين بنفسه وإلى ما ليس  
ببين فى نفسه فيحتاج إلى بيان  
ينقسم القرآن العظيم إلى  
ما هو بين بنفسه بلفظ لا يحتاج إلى بيان منه ولا من غيره وهو  
كثير ومنه قوله تعالى ( التائبون العابدون ( الآية  
وقوله ) إن المسلمين والمسلمات ( الآية

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقوله ( قد أفلح المؤمنون ( وقوله ) واضرب لهم مثلا أصحاب القرية ( وقوله ) يا أيها الذين أوتوا الكتاب أمنوا بما نزلنا مصدقا ( وإلى ما ليس ببين بنفسه فيحتاج إلى بيان وبيانه إما فيه فى آية أخرى أو فى السنة لأنها موضوعة للبيان قال تعالى ) لتبين للناس ما نزل إليهم ( والثانى ككثير من أحكام الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والمعاملات والأنكحة والجنايات وغير ذلك كقوله تعالى ) وأتوا حقه يوم حصاده ( ولم يذكر كيفية الزكاة ولا نصابها ولا أوقاصها ولا شروطها ولا أحوالها ولا من تجب عليه ممن لا تجب عليه وكذا لم يبين عدد الصلاة ولا أوقاتها وكقوله ) فمن شهد منكم الشهر فليصمه ( ) ولله على الناس حج البيت ( ولم يبين أركانه ولا شروطه ولا ما يحل فى الإحرام وما لا يحل ولا ما يوجب الدم ولا ما لا يوجبه وغير ذلك والأول قد أرشدنا النبي ﷺ إليه بما ثبت فى الصحيحين عن ابن مسعود لمانزل ) الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ( شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه قال ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه ) يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ( فحمل النبي ﷺ الظلم ها هنا على الشرك لمقابلته بالإيمان واستأنس عليه بقول لقمان وقد يكون بيانه مضمرا فيه كقوله تعالى ) حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها ( فهذا يحتاج إلى بيان لأن ) حتى ( لا بد لها من تمام وتأويله حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ومثله ) ولو أن قرأنا سيرت به الجبال ( أى لكان هذا القرآن على رأى النحويين قال ابن فارس ويسمى هذا عند العرب الكف وقد يومئ إلى المحذوف إما متأخر كقوله تعالى ) أفمن شرح الله صدره للإسلام ( فإنه لم يجئ له جواب فى اللفظ لكن أوما إليه قوله ) فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ( وتقديره ) أفمن شرح الله صدره للإسلام ( كمن قسا قلبه وإما متقدم كقوله تعالى ) أم من هو قانت آناء الليل ( فإنه أوما إلى ما

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

قبله ) وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ( كأنه قال أهدا الذى هو هكذا خير أم من هو قانت فأضمر المبتدأ ونظيره ) مثل الجنة التي وعد المتقون ( ومن هذه صفته ) كمن هو خالد في النار ( وقد يكون بيانه واضحا وهو أقسام أحدها أن يكون عقبه كقوله تعالى ) الله الصمد ( قال محمد بن كعب القرظي تفسيره ) لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد )

وكقوله تعالى ) إن الإنسان خلق هلوعا ( قال أبو العالية تفسيره ) إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا ( وقال ثعلب سألتني محمد بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله تعالى

وكقوله ) فيه آيات بينات ( فسره بقوله ) مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا )

وقوله ) إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ( ومعلوم أنه لم يرد به المسيح وعزيرا فنزلت الآية مطلقة اكتفاء بالدلالة الظاهرة على أنه لا يعذبهما الله وكان ذلك بمنزلة الاستثناء باللفظ فلما قال المشركون هذا المسيح وعزير قد عبدا من دون الله أنزل الله ) إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون )

وقوله ) يريكم البرق خوفا وطمعا )

ففسر رؤية البرق بأنه ليس فى رؤيته إلا الخوف من الصواعق والطمع فى الأمطار وفيها لطيفة وهى تقديم الخوف على الطمع إذ كانت الصواعق تقع من أول برقة ولا يحصل المطر إلا بعد تواتر البرقات فإن تواترها لا يكاد يكذب فقدم الخوف على الطمع ناسخا للخوف كمجيء الفرج بعد الشدة

وكقوله ) والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ( الآية وفيها لطيفة حيث بدأ بالماشي على بطنه فإنها سيقتم لبيان القدرة وهو أعجب من الذى بعده وكذا ما يمشي على رجلين أعجب ممن يمشي على أربع

وكقوله تعالى ) أو ما ملكتم أيمانكم ( فهذا عام فى المسلم والكافر ثم بين أن المراد المؤمنات بقوله ) من فتياتكم

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

المؤمنات ( فخرج تزوج الأمة الكافرة وقوله تعالى ) ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ( فإن الأول اسم منه والثاني أفعال تفضيل بدليل قوله بعده ) وأضل سبيلا ( ولهذا قرأ أبو عمرو الأول بالإمالة لأنه اسم والثاني بالتصحيح ليفرق بين ما هو اسم وما هو أفعال منه بالإمالة وتركها فإن قلت فقد قال النحويون أفعال التفضيل لا يأتي من الخلق فلا يقال زيد أعمى من عمرو لأنه لا يتفاوت قلت إنما جاز في الآية لأنه من عمى القلب أي من كان في هذه الدنيا أعمى القلب عما يرى من القدرة الإلهية ولا يؤمن به فهو عما يغيب عنه من أمر الآخرة أعمى أن يؤمن به أي أشد عمى ولا شك أن عمى البصيرة متفاوت ومنه قوله تعالى ) يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ( قال البيهقي في شعب الإيمان الأشبه أن المراد بالصبر ها هنا الصبر على الشدائد لأنه أتبع مدح الصابرين بقوله ) ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ( إلى قوله ) وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة ( الثاني أن يكون بيانه منفصلا عنه في السورة معه أو في غيره كقوله تعالى ) مالك يوم الدين ( وبيانه في سورة الإنفطار بقوله ) وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله ( وقوله في سورتي النمل واقصص ) من جاء بالحسنة فله خير منها ( ولم يبين في ليل ولا نهار وبينه في سورة الدخان بقوله ) في ليلة مباركة ( ثم بينها في ليلة القدر بقول ) إنا أنزلناه في ليلة القدر ( فالمباركة في الزمان هي ليلة القدر في هذه السورة لأن الإنزال واحد وبذلك يرد على من زعم أن المباركة ليلة النصف من شعبان وعجب كيف غفل عن ذلك وقد استنبط بعضهم هنا بيانا آخر وهو أنها ليلة سبعة عشر من قوله تعالى ) وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان (



# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وذلك ليلة سبع عشرة من رمضان وفى ذلك كلام  
وقوله تعالى ( أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين  
( فسرته فى آية الفتح ) أشداء على الكفار رحماء بينهم )  
وقوله تعالى ( يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم  
فيها حرير وهدوا إلى الطيب من القول ) وقد فسره فى سورة  
فاطر ) وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور  
شكور )  
وقوله ( وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ) بين ذلك  
بقوله فى النحل ) وإذا بشر أحدهم بالأنثى )  
وذكر الله الطلاق مجملا وفسره فى سورة الطلاق  
وقال تعالى ( إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ) فاستثنى  
الأزواج وملك اليمين ثم حظر تعالى الجمع بين الأختين وبين  
الأم والإبنة والرابة بالآية الأخرى  
ومنه قوله تعالى ( إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ) فإن  
ظاهره مشكل لأن الله سبحانه قد هدى كفارا كثيرا وماتوا  
مسلمين وإنما المراد لا يهدي من كان فى علمه أنه قد حقت  
عليه كلمة العذاب وبيانه بقوله تعالى فى السورة ) أفمن حق  
عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار )  
وقوله فى سورة أخرى ( إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا  
يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم )  
ومنه قوله تعالى ( أجيب دعوة الداع إذا دعان ) وكثير من  
الناس يدعون فلا يستجاب لهم وبيانه بقوله تعالى ( بل إياه  
تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ) فبين أن الإجابة  
متعلقة بالمشيئة على أن النبى ﷺ قد فسر الإجابة بقوله ما من  
مسلم دعا الله بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه  
الله إحدى ثلاث خصال إما أن يعجل دعوته وإما أن يدخرها له  
فى الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها  
ومنه قوله تعالى ( ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ) وكثير  
من الناس يريد ذلك فلا يحصل له وبيانه فى قوله ( من كان  
يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ) فهو كالذى قبله  
متعلق بالمشيئة

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ومنه قوله تعالى ( الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ( وقال فى آية أخرى ) إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ) فإنه قد يستشكل اجتماعهما لأن الوجع خلاف الطمأنينة وهذا غفلة عن المراد لأن الاطمئنان إنما يكون عن ثلج القلب وشرح الصدر بمعرفة التوحيد والعلم وما يتبع ذلك من الدرجة الرفيعة والثواب الجزيل والوجل إنما يكون عند خوف الزيف والذهاب عن الهدى وما يستحق به الوعيد بتوجيه القلوب كذلك وقد اجتمعا فى قوله تعالى ( تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلتين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ( لأن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدتهم ووثقوا به فانتفى عنهم الشك والارتياب الذي يعرض إن كان كلامهم فيمن أظهر الإسلام تعودا فجعل لهم حكمة دون العلم الموجب لثلج الصدور وانتفاء الشك ونظائره كثيرة )

ومنه قوله تعالى فى قصة لوط ( فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون ( فلم يستثن امرأته فى هذا الموضع وهي مستثناة فى المعنى بقوله فى الآية الأخرى ) فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك ( فأظهر الاستثناء فى هذه الآية وكقوله ) الحر بالحر والعبد بالعبد ( الآية فإنها نزلت تفسيرا وبيانا لمجمل قوله ) وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ( لأن هذه لما نزلت لم يفهم مرادها وقوله ) حرمت عليكم ( هي تفسير لقوله ) ولا تنكحوا ما نكح أبأؤكم من النساء ( الآية وقوله ) للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب ( الآية فإن هذه الآية مجملة لا يعلم منها من يرث من الرجال والنساء بالفرض والتعصيب ومن يرث ومن لا يرث ثم بينه فى آية أخرى بقوله ) يوصيكم الله فى أولادكم ( الآيات وكقوله ) أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم ( فهذا الاستثناء مجمل بينه فى آية أخرى بقوله ) حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وكقوله ( ليلونكم الله بشيء من الصيد ( الآية فهذا الابتلاء  
مجمل لا يعلم أحد في الحل أم في الحرم بينه قوله ) لا تقتلوا  
الصيد وأنتم حرم ( الآية  
وكقوله ) وهم من بعد غلبهم سيغلبون ( وهذا المجمل بينه في  
آية أخرى بقوله ) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق  
( الآية )  
وكقوله تعالى ) وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم ( قال العلماء بيان  
هذا العهد قوله تعالى ) لئن أقمتم الصلاة وأتيتم الزكاة وآمنتم  
برسلي وعزرتموهم ( الآية فهذا عهده عز وجل وعهدهم تمام  
الآية في قوله ) لأكفرن عنكم سيئاتكم ( فإذا وفوا العهد الأول  
أعطوا ما وعدوا  
وقوله تعالى ) ويقول الذين كفروا لست مرسلا ( يرد عليهم  
بقوله ) يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين ( )  
وقوله تعالى ) ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ( ف قيل لهم )  
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم  
يعمهمون ( وقيل بل نزل بعده ) إنا كاشفو العذاب ( والتقدير إن  
كشفنا العذاب تعودوا  
وقوله ) لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم  
( فرد عليهم بقوله ) وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم  
الخيرة )  
وقوله ) وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن  
( بيانه ) الرحمن علم القرآن ( )  
وقوله ) قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ( ف قيل لهم ) لئن  
اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون  
بمثله )  
وقوله ) وانطلق الملائمهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم  
( ف قيل لهم في الجواب ) فإن يصبروا فالنار مثوى لهم ( الآية  
ومنه ) أم يقولون نحن جميع منتصر ( ف قيل لهم ) ما لكم لا  
تناصرون )  
ومنه ) لو أطاعونا ما قتلوا ( فرد عليهم بقوله ) لو كنتم في  
بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقوله ( أم يقولون تقوله ( رد عليهم بقوله ( ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين )  
وقوله ( ما لهذا الرسول يأكل الطعام ( ف قيل لهم ) وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق )  
وقوله ( وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ( ف قيل فى سورة أخرى ( وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث )  
وقوله ( ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون ( تفسير هذا الاختصاص ما قال فى سورة أخرى ( قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ( الآية )  
وقوله تعالى ( لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ( وفسرها فى موضع آخر بقوله ( تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون )  
ومنه حكاية عن فرعون لعنه الله ( وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد ( فرد عليه فى قوله ( وما أمر فرعون برشيد )  
وقوله ( يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له ( وذكر هذا الحلف فى قوله ( قالوا والله ربنا ما كنا مشركين )  
وقوله فى قصة نوح عليه السلام ( أنى مغلوب فانتصر ( بين فى مواضع آخر ( ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا )  
وقوله ( وقالوا قلوبنا غلف ( أى أوعية للعلم ف قيل لهم ( وما أوتيتم من العلم إلا قليلا )  
وجعل بعضهم من هذا قوله تعالى ( قال رب أرني أنظر إليك ( قال فإن آية البقرة وهى قوله ( حتى نرى الله جهرة ( تدل على أن قوله ( رب أرني ( لم يكن عن نفسه وإنما أراد به مطالبة قومه ولم يثبت فى التوراة أنه سأل الرؤية إلا وقت حضور قومه معه وسؤالهم ذلك  
ومن ذلك قوله تعالى ( صراط الذين أنعمت عليهم ( بينة فى آية النساء بقوله ( من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

فإن قيل فهلا فسرها آية مريم ( أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ) الآية قيل لا نسلم أولا أن هذه الآية في النبيين فقط لقوله ( وممن حملنا مع نوح ) وقوله ( وممن هدينا واجتبتنا ) وهذا تصريح بالأنبياء وغيرهم كيف وقد ذكرت مريم وهي صديقة على أحد القولين ولو سلم أنها في الأنبياء خاصة فهم بعض من أنعم الله عليهم وجعلهم في آية النساء صنفا من المنعم عليهم فكانت آية النساء من حيث هي عامة أولى بتفسير قوله ( صراط الذين أنعمت عليهم ) ولأن آية مريم ليس فيها إلا الإخبار بأن الله أنعم عليهم وذلك هو معنى قوله ( اهدنا الصراط المستقيم ) والرغبة إلى الله تعالى في الثبات عليها هي نفس الطاعة لله ولرسوله فإن العبد إذا هدى إلى الصراط المستقيم فقد هدى إلى الطاعة المقتضية أن يكون مع المنعم عليهم وظهر بهذا أن آية النساء أمس بتفسير سورة الحمد من الآية التي في سورة مريم فصل قد يكون اللفظ مقتضيا لأمر ويحمل على غيره وقد يكون اللفظ مقتضيا لأمر ويحمل على غيره لأنه أولى بذلك الاسم منه وله أمثلة منها تفسيرهم السبع المثاني بالفاتحة مع أن الله تعالى أخبر أن القرآن كله مثاني ومنها قوله عن أهل الكساء هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وسياق القرآن يدل على إرادة الأزواج وفيهن نزلت ولا يمكن خروجهن عن الآية لكن لما أريد دخول غيرهن قيل بلفظ التذكير ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ) فعلم أن هذه الإرادة شاملة لجميع أهل البيت الذكور والإناث بخلاف قوله ( يا نساء النبي ) ودل أن عليا وفاطمة أحق بهذا الوصف من الأزواج ومنها قوله ﷺ عن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجدي هذا وهو يقتضي أن ما ذكره أحق بهذا الاسم من غيره والحصر المذكور حصر الكمال كما يقال هذا هو العالم العدل وإلا فلا شك أن مسجد قباء هو مؤسس على التقوى وسياق

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

القرآن يدل على أنه مراد بالآية فصل قد يكون اللفظ محتملا لمعنيين في موضع ويعين في موضع آخر وقد يكون اللفظ محتملا لمعنيين وفي موضع آخر ما يعينه لأحدهما كقوله تعالى في سورة البقرة ( ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ) فيحتمل أن يكون السمع معطوفا على ( ختم ) ويحتمل الوقف على ( قلوبهم ) لأن الختم إنما يكون على القلب وهذا أولى لقوله في الجائفة ( وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ) وقوله تعالى في سورة الحجر ( إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ) فالإستثناء منقطع لقوله ( في الإسراء ) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيفا ( ولو كان متصلا لاستثناهم فلما لم يستثنهم دل على أنهم لم يدخلوا

وقوله ) وجعلنا من الماء كل شيء حي ( فقد قيل إن حياة كل شيء إنما هو بالماء قال ابن درستويه وثذا غير جائز في العربية لأنه لو كان المعنى كذلك لم يكن ( حي ) مجرورا ولكان منصوبا وإنما ) حي ( صفة لشيء ومعنى الآية خلق الخلق من الماء وبدل له قوله في موضع آخر ) والله خلق كل دابة من ماء )

ومما يحتمل قوله تعالى ( فاقدفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ) فإن فليلقه يحتمل الأمر والخبر كأنه قال فاقدفيه في اليم يلقيه اليم ونحتمل أن يكون أمرا بإلقائه ومنه قوله تعالى ( ذرني ومن خلقت وحيدا ) فإنه يحتمل أن يكون خلخته وحيدا فريدا من ماله وولده وفي الآية بحث آخر وهو أن أبا البقاء أجاز فيها وفي قوله ( وذرني والمكذبين ) أن تكون الواو عاطفة وهو فاسد لأنه يلزم منه أن يكون الله قد أمر نبيه ﷺ أن يتركه وكأنه قال اتركني واطرقت من خلقت وحيدا وكذلك اتركني واطرقت المكذبين فيتعين أن يكون المراد خل بيني وبينهم وهي واو مع كقوله لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها

وقد يكون للفظ ظاهر وباطن كقوله تعالى ( أن طهرا بيتي

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

للطائفتين ( ظاهره الكعبة وباطنه القلب قال العلماء ونحن نقطع أن المراد بخطاب إبراهيم الكعبة لكن العالم يتجاوز إلى القلب بطريق الاعتبار عند قوم والأولى عند آخرين ومن باطنه إلحاق سائر المساجد به ومن ظاهره عند قوم العبور فيه فصل في ذكر الأمور التي تعين على المعنى عند الإشكال ومما يعين على المعنى عند الإشكال أمور أحدها رد الكلمة لضدها كقوله تعالى ( ولا تطع منهم آثما أو كفورا ) أي ولا كفورا والطريقة أن يرد النهى منه إلى الأمر فنقول معنى أطع هذا أو هذا أطع أحدهما وعلى هذا معناه في النهى ولا تطع واحدا منهما الثاني ردها إلى نظيرها كما في قوله تعالى ( يوصيكم الله في أولادكم ) فهذا عام وقوله ( فوق اثنتين ) قول حد أحد طرفيه وأرخى الطرف الآخر إلى غير نهاية لأن أول ما فوق الثنتين الثلاث وآخره لا نهاية له وقوله ( وإن كانت واحدة )

محدوده الطرفين فالثنتان خارجتان من هذا الفصل وأمسك الله عن ذكر الثنتين وذكر الواحد والثلاث وما فوقها وأما قوله ( في الأخوات ) إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ( الآية فذكر الواحد والاثنتين وأمسك عن ذكر الثلاث وما فوقهن فضمن كل واحد من الفصلين ما كف عن ذكره في الآخر فوجب حمل كل واحد منهما فيما أمسك عنه فيه على ما ذكره في غيره

الثالث ما يتصل بها من خبر أو شرط أو إيضاح في معنى آخر كقوله تعالى ( من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ) يحتمل أن يكون معناها من كان يريد أن يعز أو تكون العزة له لكن قوله تعالى ( فلله العزة جميعا ) يحتمل أن يكون معناها من كان أن يعلم لمن العزة فإنها لله وكذلك قوله ( إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ) فإنه لا دلالة فيها على الحال التي هي شرط في عقوبته المعينة وأنواع المحاربة والفساد كثيرة وإنما استفيدت الحال من الأدلة الدالة على أن القتل على من قتل ولم يأخذ المال

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

والصلب على من جمعها والقطع على من أخذ المال ولم يقتل  
والنفي على من لم يفعل شيئاً من ذلك سوى السعي في  
الأرض بالفساد  
الرابع دلالة السياق فإنها ترشد الى تبين المجمل والقطع  
بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع  
الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن  
اهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته وانظر إلى قوله  
تعالى ( ذق إنك أنت العزيز الكريم )  
كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير  
الخامس ملاحظة النقل عن المعنى الأصلي وذلك أنه قد  
يستعار الشيء لمشابهة ثم يستعار من المشابه لمشابه  
المشابه ويتباعد عن المسمى الحقيقي بدرجات فيذهب عن  
الذهن الجهة المسوغة لنقه من الأول إلى الآخر وطريق معرفة  
ذلك بالتدرج كقوله تعالى ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء  
من دون المؤمنين ) وذلك أن اصل دون للمكان الذي هو أنزل  
من مكان غيره ومنه الشيء الدون للحقير ثم استعير للتفاوت  
في الأحوال والرتب فقليل زيد دون عمرو في العلم والشرف  
ثم اتسع فيه فاستعير في كل ما يتجاوز حداً إلى حد وتخطى  
حكماً إلى حكم آخر كما في الآية المذكورة والتقدير لا تتجاوزوا  
ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين  
وكذلك قوله تعالى ( وادعوا شهداءكم من دون الله ( أي  
تجاوزوا الله في دعائكم إلى دعاء آلهتكم الذين تزعمون أنهم  
يشهدون لكم يوم القيامة أي لاتستشهدوا بالله فإنها حجة  
يركن إليها العاجز عن البيئات من الناس بل اتوا بيينة تكون  
حجة عند الحكام وهذا يؤذن بأنه لم يبق تشبث سوى قولهم  
الله يشهد لنا عليكم هذا إذا جعلت من دون الله متعلقاً بادعوا  
فإن جعلته متعلقاً ب ( شهداءكم ) احتمال معنيين أحدهما أن  
يكون المعنى ادعوا الذين تجاوزتم في زعمكم شهادة الله أي  
شهادتهم لكم يوم القيامة والثاني على أن يراد بشهداءكم  
آلهتكم أي ادعوا الذين تجاوزتم في اتخاذكم ألوهية الله إلى  
ألوهيتهم



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ويحتمل أن يكون التقدير من دون الله أي من غير المؤمنين يشهدون لكم أنكم آمنتم بمثله وفي هذا إرخاء عنان الاعتماد على أن فصحاءهم تأنف نفوسهم من مساجلة الحق الجلي بالباطل اللجلجي وتعليقه بادعوا على هذا جائز ومنه قوله تعالى ( أو كالذي مر على قرية ( فإنه عطفه على قوله ) ألم تر ( لأنها بمعنى هل رأيت السادس معرفة النزول وهو من أعظم المعين على فهم المعنى وسبق منه في أول الكتاب جملة وكانت الصحابة والسلف يعتمدونه وكان عروة بن الزبير قد فهم من قوله تعالى ( فلا جناح عليه أن يطوف بهما ( أن السعي ليس بركن فردت عليه عاشئة ذلك وقالت لو كان كما قلت لقال فلا جناح عليه ألا يطوف بهما وثبت أنه إنما أتى بهذه الصيغة لأنه كان وقع فزع في قلوب طائفة من الناس كانوا يطوفون قبل ذلك بين الصفا والمروة للأصنام فلما جاء الإسلام كرهوا الفعل الذي كانوا يشركون به فرفع الله ذلك الجناح من قلوبهم وأمرهم بالطواف رواه البخاري في صحيحه فثبت أنها نزلت ردا على من كان يمتنع من السعي ومن ذلك قصة مروان بن الحكم سؤاله ابن عباس لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعبذن اجمعون فقال ابن عباس هذه الآيات نزلت في أهل الكتاب ثم تلا ( وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ( وتلا ( لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ( قال ابن عباس سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ما سألهم عنه وقد سبق فيه كلام في النوع الأول في معرفة سبب النزول فاستحضره ومن هذا ما قاله الشافعي في قوله تعالى ( قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما ( انه لا متمسك فيها لمالك على العموم لأنهم سألوا رسول الله ﷺ عن أشياء فأجابهم عن المحرمات من تلك الأشياء وحكاها غير سعيد بن جبير

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

السابع السلامة من التدافع كقوله تعالى ( وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ) فإنه يحتمل ان الطوائف لا تنفر من أماكنها وبواديها جملة بل بعضهم لتحصيل التفقه بوفودهم على رسول الله ﷺ وإذا رجعوا إلى قومهم أعلموهم بما حصل لهم والفائدة في كونهم لاينفرون جميعا عن بلادهم حصول المصلحة في حفظ من يتخلف من بعضهم ممن لا يمكن نفيه ويحتمل أن يكون المراد بالفئة النافرة هي من تسير مع رسول الله ﷺ في مغازيه وسراياه والمعنى حينئذ انه ما كان لهم ان ينفروا اجمعين مع رسول الله ﷺ في مغازيه لتحصيل المصالح المتعلقة ببقاء من يبقى في المدينة والفئة النافرة مع رسول الله ﷺ تتفقه في الدين بسبب ما يؤمرون به ويسمعون منه فإذا رجعوا إلى من بقي بالمدينة أعلموهم بما حصل لهم في صحبة الرسول ﷺ من العلم والاحتمالان قولان للمفسرين قال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد والأقرب عندي هو الاحتمال الأول لأننا لو حملناه على الاحتمال الثاني لخالفه ظاهر قوله تعالى ( ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ) وقوله تعالى ( فانفروا ثبات أو انفروا جميعا ) فإن ذلك يقتضي اما طلب الجميع بالنفير أو أباحته وذلك في ظاهره يخالف النهي عن نفر الجميع وإذا تعارض محملان يلزم من احدهما معارضته ولا يلزم من الآخر فالثاني أولى ولا نعني بلزوم التعارض لزوما لا يجاب عنه ولا يتخرج على وجه مقبول بل ما هو اعم من ذلك فإن ما أشرنا إليه من الآيتين يجاب عنه بحمل ( أو ) في قوله ( أو انفروا جميعا ) على التفصيل دون التخيير كما رضيه بعض المتأخرين من النحاة فيكون نفيهم ثبات مما لايدعون الحاجة الى نفيهم فيه جميعا ونفيهم جميعا فيما تدعو الحاجة اليه ويحمل قوله ( ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ) على ما اذا كان الرسول هو النافر للجهد ولم تحصل الكفاية

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الا بنفير الجميع ممن يصلح للجهاد فهذا اولى من قول من  
يقول بالنسخ  
او ان تكون هذه الاية ناسخة لما اقتضى النفير جميعا  
ومن المفسرين من يقول عن منع النفير جميعا حيث يكون  
رسول الله ﷺ بالمدينة فليس لهم ان ينفروا جميعا ويتركوه  
وحده  
والحمل ايضا على هذا التفسير الذي ذكرناه اولى من هذا لان  
اللفظ يقتضى ان نفيرهم للتفقه في الدين والإنذار ونفيرهم مع  
بقاء رسول الله ﷺ بعدهم لايناسبه التعليل بالتفقه في الدين اذ  
التفقه منه ﷺ وتعلم الشرائع من جهته فكيف يكون خروجهم  
عليه معللا للتفقه في الدين  
ومنه قوله تعالى ( فاتقوا الله ما استطعتم ) فإنه يحتمل ان  
يكون من باب التسهيل والتخفيف ويحتمل ان يكون من باب  
التشديد بمعنى انه ما وجدت الاستطاعة فاتقوا أي لا تبقى من  
الاستطاعة شيء  
وبمعنى التخفيف يرجع الى ان المعنى فاتقوا الله ما تيسر  
عليكم او ما امكنكم من غير عسر قال الشيخ تقي الدين  
الفشيري ويصلح معنى التخصيص قوله ﷺ اذا نهيتكم عن شيء  
فاجتنبوه وإذا امرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم فصل في  
الظاهر والمؤول  
وقد يكون اللفظ محتملا لمعنيين وهو في احدهما اظهر  
فيسمى الراجح ظاهرا والمرجوح مؤولا مثال المؤول قوله  
تعالى ( وهو معكم أين ما كنتم ) فانه يستحيل حمل المعية  
على القرب بالذات فتعين صرفه عن ذلك وحمله اما على  
الحفظ والرعاية او على القدرة والعلم والرؤية كما قال تعالى  
( ونحن أقرب إليه من حبل الوريد )  
وكقوله تعالى ( واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ) فإنه  
يستحيل حمله على الظاهر لاستحالة ان يكون آدمي له أجنحة  
فيحمل على الخضوع وحسن الخلق  
وكقوله ( وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ) يستحيل ان  
يشد في القيامة في عنق كل طائع وعاص وغيرهما طير من

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الطيور فوجب حمله على التزام الكتاب في الحساب لكل واحد منهم بعينه  
ومثال الظاهر قوله تعالى ( فمن اضطر غير باغ ولا عاد ) فإن الباغي يطلق على الجاهل وعلى الظالم وهو فيه اظهر وأغلب كقوله تعالى ( ثم بغى عليه لينصرنه الله ) وقوله ( ولا تقربوهن حتى يطهرن ) فيقال للانقطاع طهر وللوضوء والغسل غير أن الثاني اظهر وكقوله تعالى ( وأتموا الحج والعمرة لله ) فيقال للابتداء التمام والفراغ غير ان الفراغ اظهر وقوله تعالى ( فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف ) فيحتمل ان يكون

الخيار في الأجل أو بعده والظاهر الأول لكنه يحمل على انه مفارقة الأجل  
وقوله ( فلا جناح عليه أن يطوف بهما ) والظاهر يقتضي حمله على الاستحباب لأن قوله ( فلا جناح ) بمنزلة قوله لا بأس وذلك لا يقتضي الوجوب ولكن هذا الظاهر متروك بل هو واجب لأن طواف الإفاضة واجب ولأنه ذكره بعد التطوع فقال ( ومن تطوع خيرا ) فدل على ان النهي السابق نهى عن ترك واجب لانهي عن ترك مندوب او مستحب  
وقد يكون الكلام ظاهرا في شيء فيعدل به عن الظاهر بدليل آخر كقوله تعالى ( الحج أشهر معلومات ) والشهر اسم لثلاثة لأنه اقل الجمع  
وكقوله تعالى ( فإن كان له إخوة فلأمه السدس ) فالظاهر اشتراط ثلاثة من الإخوة لكن قام الدليل من خارج على أن المراد اثنان لأنهما يحجبانهما عن الثلث إلى السدس فصل في اشتراك اللفظ بين حقيقتين او حقيقة ومجاز  
قد يكون اللفظ مشتركا بين حقيقتين او حقيقة ومجاز ويصح حمله عليهما جميعا كقوله تعالى ( ولا يضار كاتب ولا شهيد ) قيل المراد يضارر وقيل يضارر أي الكاتب والشهيد لا يضارر فيكتم الشهادة والخط وهذا اظهر

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ويحتمل ان من دعا الكاتب والشهيد لا يضارره فيطلبه في وقت فيه ضرر وكذلك قوله ) لا تضار والدة بولدها ( فعلى هذا يجوز ان يقال اراد الله بهذا اللفظ كلا المعنيين على القولين اما إذا قلنا بجواز استعمال المشترك في معنیه فظاهر وأما إذا قلنا بالمنع فبان يكون اللفظ قد خوطب به مرتين مرة ارید هذا ومرة هذا وقد جاء عن ابي الدرداء رضي الله عنه لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة رواه احمد أي اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة ولا يقتصر به على ذلك المعنى بل يعلم انه يصلح لهذا ولهذا

وقال ابن القشيري في مقدمة تفسيره ما لا يحتمل إلا معنى واحدا حمل عليه وما احتمل معنيين فصاعدا بأن وضع الأشياء متماثلة كالسواد حمل على الجنس عند الإطلاق وإن وضع لمعان مختلفة فإن ظهر احد المعنيين حمل على الظاهر إلا أن يقوم الدليل وإن استويا سواء كان الاستعمال فيهما حقيقة او مجازا او في احدهما حقيقة وفي الآخرة مجازا كلفظ العين والقرء واللمس فإن تنافى الجمع بينهما فهو مجمل فيطلب البيان من غيره وإن لم يتنافى فقد مال قوم الى الحمل على المعنيين والوجه التوقف فيه لأنه ما وضع للجميع بل وضع لأحد مسميات على البدل وادعاء اشعاره بالجميع بعيد نعم يجوز ان يريد المتكلم به جميع المحامل ولا يستحيل ذلك عقلا وفي مثل هذا يقال يحتمل ان يكون المراد كذا ويحتمل ان يكون كذا فصل قد ينفي الشيء وثبت باعتبارين وقد ينفي الشيء ويثبت باعتبارين كما سبق في قوله ) وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى (

ثم اثبتته لسرغامض وهو ان الرمي الثاني غير الأول فإن الأول عني به الرمي بالرعب والثاني عني به بالتراب حين رمى النبي ﷺ في وجوه أعدائه بالتراب والحصى وقال شأهت الوجوه فانهمزوا فانزل الله يخبره أن انهزامهم لم يكن لأجل التراب وإنما هو بما أوقع في قلوبهم من الرعب فصل في الإجمال ظاهرا وأسبابه وأما ما فيه من الإجمال في الظاهر فكثير وله

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

أسباب  
أحدها أن يعرض من الفاظ مختلفه مشتركة وقعت في  
التركيب كقوله تعالى ( فأصبحت كالصريم ) قيل معناه كالنهار  
مبيضة لا شيء فيها وقيل كالليل مظلمة لا شيء فيها  
وكقوله ( والليل إذا عسعس ) قيل أقبل وأدبر  
وكالامة في قوله تعالى ( وجد عليه أمة ) بمعنى الجماعة وفي  
قوله ( إن إبراهيم كان أمة ) بمعنى الرجل الجامع للخير  
المقتدى به وبمعنى الدين في قوله  
تعالى ( إنا وجدنا آباءنا على أمة ) وبمعنى الزمان في قوله  
تعالى ( وادكر بعد أمة )  
وكالذرية فإنها في الاستعمال العرفي الأدنى ومنه ( ومن ذريته  
داود وسليمان ) وقد يطلق على الأعلى بدليل قوله تعالى ( إن  
الله اصطفى آدم ) الآية ثم قال ( ذرية ) وبها يجاب عن  
الإشكال المشهور في قوله تعالى ( حملنا ذريتهم في الفلك  
المشحون ) على بحث فيه  
وقال مكي في قوله تعالى ( فأنا أول العابدين ) أي أول من  
يعبد الله  
ومن قال الأنفين فقوله مردود لأنه يلزم ان يكون العبدان لأنه  
إنما يقال عبد من كذا أي أنف  
الثاني من حذف في الكلام كقوله ( وترغبون أن تنكحوهن  
( قيل معناه ترغبون في نكاحهن لما لهن وقيل معناه عن  
نكاحهن لزماتتهن وقلة مالهن والكلام يحتمل الوجهين لأن  
العرب تقول رغبت عن الشيء إذا زهدت فيه ورغبت في  
الشيء إذا حرصت عليه فلما ركب الكلام تركيبا حذف معه  
حرف الجر احتمل التأويلين جميعا وجعل منه بعضهم قوله  
تعالى في سورة النساء ) فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون  
حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله )  
أي يقولون ( ما أصابك ) قال ولولا هذا التقدير لكان مناقضا  
لقوله ( قل كل من عند الله )  
وقوله ( وأتينا ثمود الناقة مبصرة ) أي آية مبصرة فظلموا  
انفسهم بقتلها وليس المراد ان الناقة كانت مبصرة لاعميةاء

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الثالث مت تعيين الضمير كقوله تعالى ( أو يعفو الذي بيده  
عقدة النكاح ) فالضمير في ( يده ) يحتمل عودة على الولي  
وعلى الزوج ورجح الثاني لموافقته للقواعد فان الولي لا يجوز  
ان يعفو عن مال يتيمه بوجه من الوجوه وحمل الكلام المحتمل  
على القواعد الشرعية أولى  
فإن قيل لو كان خطابا للأزواج لقال إلا ان تعفو بالخطاب لأن  
صدر الآية خطاب لهم بقوله ( وإن طلقتموهن ( إلى قوله )  
فنصف ما فرضتم )  
قلنا هو التفات من الخطاب الى الغيبة وهو من انواع البديع  
ومنه قوله تعالى ( إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح  
يرفعه ) فيحتمل أن يكون الضمير الفاعلي الذي في ( يرفعه  
( عائدا على العمل والمعنى ان الكلم الطيب وهو التوحيد يرفع  
العمل الصالح لأنه لا تصلح الأعمال إلا مع الإيمان ويحتمل ان  
يكون الضمير عائدا على الكلم ويكون معناه ان العمل الصالح  
هو الذي يرفع الكلم الطيب وكلاهما صحيح لأن الإيمان فعل  
وعمل ونية لا يصح بعضها إلا ببعض  
وقوله تعالى ( فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا ) فالهاء الأولى  
كناية عن الحوافر وهي موريات أي اثرن بالحوافر نقعا والثانية  
كناية عن الإغارة أي المغيرات صباحا ) فوسطن به جمعا ( جمع  
المشركين فأغاروا بجمهم  
وقد صنف ابن الأنباري كتابا في تعيين الضمائر الواقعة في  
القرآن في مجلدين  
الرابع من مواقع الوقف والابتداء كقوله تعالى ( وما يعلم تأويله  
إلا الله والراسخون في العلم ) فقوله ( الراسخون ) يحتمل ان  
يكون معطوفا على اسم الله تعالى ويحتمل ان يكون ابتداء  
كلام وهذا الثاني هو الظاهر ويكون حذف اما المقابلة كقوله ( فأما الذين  
فأما الذين في قلوبهم زيغ ) ويؤيده آية البقرة ( فأما الذين  
آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون  
ماذا أراد الله بهذا مثلا )  
الخامس من جهة غرابة اللفظ كقوله تعالى ( فلا تعضلوهن )  
( ومن الناس من يعبد الله على حرف )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

( وسيدا وحصورا ) وغير ذلك مما صنف فيه العلماء من كتب  
غريب القرآن  
السادس من جهة كثرة استعماله الآن كقوله تعالى ( أو ألقى  
السمع وهو شهيد )  
( و يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ) بمعنى يسمعون ولا يقول  
أحد الآن القيت سمعي  
وكذا قوله ( ثاني عطفه ) أي متكبيرا  
وقوله ( ألا إنهم يثنون صدورهم ) أي يسرون مافي ضمائرهم  
وكذا ( فأصبح يقلب كفيه ) أي نادما  
وكذا ( فردوا أيديهم في أفواههم ) أي لم يتلقوا النعم بشكر  
السابع من جهة التقديم والتأخير كقوله تعالى ( ولولا كلمة  
سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى ) تقديره ولو كلمة  
سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما ولولا هذا التقدير  
لكان منصوبا كالإلزام  
وقوله تعالى ( يسألونك كأنك حفي عنها ) أي يسألونك عنها  
كأنك  
وقوله ( لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما أخرجك  
ربك ) فهذا غير متصل وإنما هو عائد على قوله ( قل الأنفال  
لله والرسول ( ) كما أخرجك ربك من بيتك ) فصارت انفال  
الغنائم لك إذا انت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين  
الكلام الأمر بالتقوى وغيره  
وقوله ( حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه ( معناه )  
قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا  
لقومهم )  
الثامن من جهة المنقول المنقلب كقوله تعالى ( وطور سينين  
( أي طور سيناء وقوله ) سلام على إل ياسين ( أي الناس وقيل  
إدريس وفي حرف ابن مسعود إدرايس  
التاسع المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله تعالى ( وما يتبع  
الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن  
( معناه يدعون من دون الله شركاء إلا الظن  
وقوله تعالى ( قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

استضعفوا لمن آمن منهم ( معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا فصل فيما ورد فيه مبينا للإجمال اعلم ان الكتاب هو القرآن المتلو وهو إما نص وهو ما لا يحتمل إلا معنى كقوله تعالى ) فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ( وإما ظاهر وهو ما دل على معنى مع تجويز غيره

والرافع لذلك الاحتمال قرائن لفظية ومعنوية واللفظية تنقسم الى متصلة ومنفصلة اما المتصلة فنوعان نوع يصرف اللفظ إلى غير الاحتمال الذي لولا القرينة لحمل عليه ويسمى تخصيصا وتأويلا ونوع يظهر به المراد من اللفظ ويسمى بيانا فالأول كقوله تعالى ) وحرم الربا ( فإنه دل على ان المراد من قوله سبحانه ) وأحل الله البيع ( البعض دون الكل الذي هو ظاهر بأصل الوضع وبين انه ظاهر في الاحتمال الذي دلت عليه القرينة في سياق الكلام وللشافعي رحمه الله قول بإجمال البيع لأن الربا مجمل وهو في حكم السمئتي من البيع واستثناء المجهول من المعلوم يعود بالإجمال على أصل الكلام والصحيح الأول فإن الربا عام في الزيادات كلها وكون البعض غير مراد نوع تخصيص فلا تتغير به دلالة الأوضاع ومثال النوع الثاني قوله تعالى ) من الفجر ( فإنه فسر مجمل قوله تعالى ) حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ( إذ لولا ) من الفجر ( لبقى الكلام الأول على ترده وإجماله وقد ورد ان بعض الصحابة كان يربط في رجله الخيط الأبيض والأسود ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له لونهما فأنزل الله تعالى بعد ذلك ) من الفجر ( فعلموا أنه اراد الليل والنهار وأما اللفظية المنفصلة فنوعان ايضا تأويل وبيان فمثال الأول قوله تعالى ) فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ( فإنه دل على أن المراد بقوله تعالى ) الطلاق مرتان ( الطلاق الرجعي إذا لولا هذا القرينة لكان الكل منحصر في الطلقتين وهذه القرينة وإن كانت مذكورة في سياق ذكر الطلقتين إلا انها جاءت في آية اخرى فلهذا جعلت من قسم المنفصلة

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ومثال الثاني قوله تعالى ( وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة )  
فإنه دل على جواز الرؤية ويفسر به قوله تعالى ( لا تدركه  
الأبصار ) حيث كان مترددا بين نفي الرؤية أصلا وبين نفي  
الإحاطة والحصر دون أصل الرؤية  
وأیضا قوله تعالى ( كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) فإنه  
لما حجب الفجار عن رؤيته خزيا لهم دل على إثباتها للأبرار  
وارتفع به الإجمال في قوله ( لا تدركه الأبصار )  
وأما القرائن المعنوية فلا تنحصر ومن مثله قوله تعالى (  
والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ) فإن صيغته صيغة  
الخبر ولكن لا يمكن حمله على حقيقته فإنهن قد لا يتربصن فيقع  
خبر الله بخلاف مخبره وهو محال فوجب اعتبار هذه القرينة  
حمل الصيغة على معنى الأمر صيانة لكلام الله تعالى عن  
احتمال المحال  
ونظائره كثيرة فيما ورد من صيغة الخبر والمراد بها الامر  
النوع الثاني والأربعون في وجوه المخاطبات والخطاب في  
القرآن

يأتي على نحو من اربعين وجها الأول خطاب العام المراد به  
العموم  
كقوله تعالى ( أن الله بكل شيء عليم )  
وقوله ( إن الله لا يظلم الناس شيئا )  
وقوله ( ولا يظلم ربك أحدا )  
وقوله ( الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم )  
( هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ) ( الله الذي جعل  
لكم الأرض قرارا ) وهو كثير في القرآن  
( يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ) الثاني خطاب الخاص  
والمراد به الخصوص  
من ذلك قوله تعالى ( أكفرتم بعد إيمانكم )  
( هذا ما كنزتم لأنفسكم )  
( ذق إنك أنت العزيز الكريم )  
( يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك )

## البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا ( وغير ذلك الثالث خطاب الخاص والمراد به العموم كقوله تعالى ) يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ( فافتتح الخطاب بالنبي ﷺ والمراد سائر من يملك الطلاق ومنه قوله تعالى ) يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك اللاتي أتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ) وقال ابو بكر الصيرفي كان ابتداء الخطاب له فلما قال في الموهوبة ( خالصة لك ( علم أن ما قبلها له ولغيره و ﷺ وقوله تعالى ) وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ( وجرى ابو يوسف على الظاهر فقال إن صلاة الخوف من خصائص النبي ﷺ

وأجاب الجمهور بأنه لم يذكر ( فيهم ( على أنه شرط بل على انه صفة حال والأصل في الخطاب أن يكون لمعين وقد يخرج على غير معين ليفيد العموم كقوله تعالى ) وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات ( وفائدته الإيدان بأنه خليق بأن يؤمر به كل احد ليحصل مقصوده الجميل وكقوله ) ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت ( أخرج في صورة الخطاب لما اريد العموم للقصد الى تقطيع حالهم وأنها تناهت في الظهور حتى امتنع خفاؤها فلا تخص بها رؤية راء بل كل من يتأتى منه الرؤية داخل في هذا الخطاب كقوله تعالى ) وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا ( لم يرد به مخاطب معين بل عبر بالخطاب ليحصل لكل واحد فيه مدخل مبالغة فيما قصد الله من وصف ما في ذلك المكان من النعيم والملك ولبناء الكلام في الموضوعين على العموم لم يجعل ل ترى ولا ل رأيت مفعولا ظاهرا ولا مقدرًا ليشيع ويعم وأما قوله تعالى ) ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ( فقيل إنه من هذا الباب ومنعه قوم وقال الخطاب للنبي

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ﷺ ولو للتمني لرسول الله ﷺ كالترجي في ) لعلمهم يهتدون  
( لأنه تجرع من  
عداوتهم الغصص فجعله الله كأنه تمنى ان يراهم على تلك  
الحالة الفظيعة من نكس الرءوس صما عميا ليشتمت بهم  
ويجوز أن تكون لو امتناعية وجوابها محذوف أي لرأيت أسوأ  
حال يرى الرابع خطاب العام والمراد الخصوص  
وقد اختلف العلماء في وقوع ذلك في القرآن فأنكره بعضهم  
لأن الدلالة الموجبة للخصوص بمنزلة الإستثناء المتصل  
بالجملة كقوله تعالى ) فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما  
( والصحيح أنه واقع  
كقوله ) الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم  
( وعمومه يقتضي دخول جميع الناس في اللفظين جميعا  
والمراد بعضهم لأن القائلين غير المقول لهم والمراد بالأول  
نعيم بن سعيد الثقفي والثاني أبو سفيان وأصحابه قال  
الفارسي ومما يقوى ان المراد بالناس في قوله ) إن الناس قد  
جمعوا لكم ( واحد قوله ) إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه  
( فوقعت الإشارة بقوله ) ذلكم ( إلى واحد بعينه ولو كان  
المعنى به جمعا لكان إنما الشياطين الشياطين فهذه دلالة  
ظاهرة في اللفظ وقيل بل وضع فيه الذين موضع الذي  
وقوله ) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ( يعني عبد الله بن  
سلام  
وقوله ) إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ( قال الضحاك  
وهو الأقرع بن حابس  
وقوله تعالى ) يا أيها الناس اتقوا ربكم ( لم يدخل فيه الأطفال  
والمجانين  
ثم التخصيص يجيء تارة في آخر الآية كقوله تعالى ) وآتوا  
النساء صدقاتهن نحلة ( فهذا عام في البالغة والصغيرة عاقله  
او مجنونة ثم خص في آخرها بقوله ) فإن طبن لكم عن شيء  
منه نفسا ( الآية فخصها بالعاقله البالغة لأن من عداها عبارتها  
ملغاة في العفو  
ونظيره قوله ) والمطلقات يتربصن بأنفسهن ( فإنه عام في

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

البائنة والرجعية ثم خصها بالرجعية بقوله ( وبعولتهن أحق بردهن في ذلك ) لأن البائنة لاتراجع وتارة في أولها كقوله تعالى ( ولا يحل لكم أن تأخذوا مما أتيتموهن شيئا ) فإن هذا خاص في الذي أعطاهما الزوج ثم قال ( بعد ) فإن خفتن ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ( فهذا عام فيما أعطاهما الزوج أو غيره إذا كان ملكا لها وقد يأخذ التخصيص من آية أخرى كقوله تعالى ( ومن يولهم يومئذ دبره )  
الآية فهذا عام في المقاتل كثيرا أو قليلا ثم قال ( إن يكن منكم عشرون صابرون ) الآية  
ونظيره قوله ( حرمت عليكم الميتة ) وهذا عام في جميع الميتات ثم خصه بقوله ( فكلوا مما أمسكن عليكم ) فأباح الصيد الذي يموت في فم الجرح المعلم  
وخصص أيضا عمومه في آية أخرى قال ( أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم ) تقديره وإن كانت ميتة فخص بهذه الآية عموم تلك  
ومثله قوله تعالى ( أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم )  
ونظيره قوله ( والدم ) وقال في آية أخرى ( إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا ) يعني إلا الكبد والطحال فهو حلال  
ثم هذه الآية خاصة في سورة الأنعام وهي مكية والآية العامة في سورة المائدة وهي مدنية وقد تقدم الخاص على العام في هذا الموضوع كما تقدم في النزول آية الوضوء على أنه التيمم وهذا ماش على مذهب الشافعي في أن العبرة بالخاص سواء تقدم أم تأخر  
ومثله قوله تعالى ( وآتيتهم إحداهن قنطارا ) والآية وهذا عام سواء رضيت المرأة أم لا ثم خصها بقوله ( فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه ) وخصها بقوله ( فلا جناح عليهما فيما افتدت به )  
ومثله قوله تعالى ( والمطلقات يتربصن بأنفسهن ) الآية فهذا عام في المدخول بها وغيرها ثم خصها فقال ( يا أيها الذين

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ( الآية فخص الآية بالصغيرة والحامل فالآيسة والصغيرة بالأشهر والحامل بالوضع ونظيره قوله ) والذين يتوفون منكم ( الآية وهذا عام في الحامل والحائل ثم خص بقوله ) وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن )  
ونظيره قوله تعالى ( فانكحوا ما طاب لكم من النساء ) الآية وهذا عام في ذوات المحارم والأجنبيات ثم خص بقوله ) حرمت عليكم أمهاتكم ( الآية وقوله ) الزانية والزاني ( عام في الحرائر والإماء ثم خصه بقوله ) فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب )  
وقوله ( لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ) فإن الخلة عامة ثم خصها بقوله الآخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين وكذلك قوله ( ولا شفاعة ) بشفاعة النبي ﷺ

فائدة في العموم والخصوص  
قد يكون الكلامان متصلين وقد يكون احدهما خاصا والآخر عاما وذلك نحو قولهم لمن اعطى زيدا درهما اعط عمرا فإن لم تفعل فما اعطيت يريد ان لم تعط عمرا فأنت لم تعط زيدا ايضا وذاك غير محسوب لك  
ذكره ابن فارس وخرج عليه قوله تعالى ( بلغ ما أنزل إليك من ربك ) قال فهذا خاص به يريد هذا الأمر المحدد بلغه ) وإن لم تفعل ( ولم تبلغ هذا ) فما بلغت رسالته ( يريد جميع ما ارسلت به

قلت وهو وجه حسن وفي الآية وجوه آخر  
احدها أن المعنى انك ان تركت منها شيئا كنت كمن لا يبلغ شيئا منها فيكون ترك البعض محبطا للباقي قال الراغب وكذلك ان حكم الأنبياء عليهم السلام في تكليفاتهم اشد وليس حكمهم كحكم سائر الناس الذين يتجاوز عنهم اذا خلطوا عملا صالحا وآخر شيئا وروى هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما

## البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والثاني قال الإمام فخر الدين إنه من باب قوله أنا أبو النجم وشعري شعري معناه أن شعري قد بلغ في المتانة والفصاحة الى حد شئ قيل في نظم انه شعري فقد انتهى مدحه الى الغاية فيفيد تكرير المبالغة التامة في المدح من هذا الوجه وكذا جواب الشرط ها هنا يعني به انه لا يمكن أي يوصف ترك بعض المبلغ تهديدا اعظم من انه ترك التبليغ فكان ذلك تنبيها على غاية التهديد والوعيد وضعف الوجه الذي قبله بأن من اتى بالبعض وترك البعض لو قيل إنه ترك الكل كان كذبا ولو قيل إن الخلل في ترك البعض كالخلل في ترك الكل فإنه ايضا محال

وفي هذا التضعيف الذي ذكره الإمام نظر لأنه اذا كان متى اتى به غير معتد به فوجده كالعدم كقول الشاعر

سئلت فلم تمنع ولم تعط نائلا

فسيان لاذم عليك ولا حمد

أي ولم تعط ما يعد نائلا وإلا يتكاذب البيت الثالث انه لتعظيم حرمة كتمان البعض جعله ككتمان الكل كما في قوله تعالى ( فكانما قتل الناس جميعا ) الرابع انه وضع السبب موضع المسبب ومعناه ان لم تفعل ذلك فلك ما يوجهه كتمان الوحي كله من العذاب ذكر هذا والذي قبله صاحب الكشاف

تنبيه قال الإمام ابو بكر الرازي وفي هذه الآية دلالة على ان كل ما كان من الأحكام للناس اليه حاجة عامة ان النبي ﷺ قد بلغه الكافة وإنما وروده ينبغي ان يكون من طريق التواتر نحو الوضوء من مس الفرج ومن مس المرأة ومما مست النار ونحوها لعموم البلوى بها فإذا لم نجد ما كان فيها بهذه المنزلة واردا من طريق التواتر علمنا ان الخبر غير ثابت في الأصل انتهى

وهذه الدلالة ممنوعة لأن التبليغ مطلق غير مقيد بصورة التواتر فيما تعم به البلوى فلا تثبت زيادة ذلك إلا بدليل ومن

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

المعلوم أن الله سبحانه لم يكلف رسوله ﷺ إشاعة شيء الى جمع يتحصل بهم القطع غير القرآن لأنه المعجز الأكبر وطريق معرفته القطع فأما باقي الاحكام فقد كان النبي ﷺ يرسل بها إلى الآحاد والقبائل وهي مشتملة على ما تعم به البلوى قطعاً الخامس خطاب الجنس ( نحو ) يا أيها الناس ( فإن المراد جنس الناس لاكل فرد والا فمعلوم ان غير المكلف لم يدخل تحت هذا الخطاب وهذا يغلب في خطاب أهل مكة كما سبق ورجح الأصوليون دخول النبي ﷺ في الخطاب ب أيها الناس وفي القرآن سورتان أولهما ( يا أيها الناس ) احدهما في النصف الأول وهي السورة الرابعة منه

وهي سورة النساء والثانية في النصف الثاني منه وهي سورة الحج والأولى تشتمل على شرح المبدأ والثانية تشتمل على شرح المعاد فتأمل هذا الترتيب ما أوقعه في البلاغة قال الراغب والناس قد يذكر ويراد به الفضلاء دون من يتناوله اسم الناس تجوزاً وذلك إذا اعتبر معنى الإنسانية وهو وجود العقل والذكر وسائر القوى المختصة به فإن كل شيء عدم فعله المختص به لا يكاد يستحق اسمه كاليد فإنها إذا عدت فعلها الخاص بها بإطلاق اليد عليها كإطلاق على يد السرير ومثله بقوله تعالى ( آمنوا كما آمن الناس ) أي كما يفعل من يوجد فيه معنى الإنسانية ولم يقصد بالإنسان عينا واحدا بل قصد المعنى وكذلك قوله ( أم يحسدون الناس ) أي من وجد فيهم معنى الإنسانية أي إنسان كان قال وربما قصد به النوع من حيث هو كقوله تعالى ( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ) السادس خطاب النوع ( نحو ) يا بني إسرائيل ( والمراد بنو يعقوب وإنما صرح به للطفة سبقت في النوع السادس وهو علم المبهمات السابع خطاب العين ( نحو ) يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة )



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

( يا نوح اهبط بسلام )  
( يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا )  
( يا موسى )  
( يا عيسى )  
ولم يقع في القرآن النداء ب يا محمد بل ب ياها النبي وياها  
الرسول تعظيما له وتجيلا وتخصيما بذلك عن سواه الثامن  
خطاب المدح  
نحو ( يا أيها الذين آمنوا ) وهذا وقع خطابا لأهل المدينة الذين  
آمنوا وهاجروا تمييزا لهم عن أهل مكة وقد سبق أن كل آية  
فيها ( يا أيها الناس )

لأهل مكة وحكمه ذلك أنه يأتي بعد ( يا أيها الناس ) الأمر  
بأصل الإيمان ويأتي بعد ( يا أيها الذين آمنوا ) الأمر بتفاصيل  
الشريعة وإن جاء بعدها الأمر بالإيمان كان من قبيل الأمر  
بالاستصحاب  
وقوله تعالى ( وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون ) قيل يرد  
الخطاب بذلك باعتبار الظاهر عند المخاطب وهم المنافقون  
فإنهم كانوا يتظاهرون بالإيمان كما قال سبحانه ( قالوا آما  
بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ) وقد جوز الزمخشري في تفسير  
سرة المجادلة في قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم  
الرسول ) أن يكون خطابا للمنافقين الذين آمنوا بالسنتهم وأن  
يكون للمؤمنين  
ومن هذا النوع الخطاب ب ياها النبي ياها الرسول ولهذا تجد  
الخطاب بالنبي في محل لا يليق به الرسول وكذا عكسه كقوله  
في مقام الأمر بالتشريع العام ( يا أيها الرسول بلغ ما أنزل  
إليك من ربك ) وفي مقام الخاص ( يا أيها النبي لم تحرم ما  
أحل الله لك ) ومثله ( إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك  
من دون المؤمنين )  
وتأمل قوله ( لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ) في مقام  
الإقتداء بالكتاب والسنة ثم قال ( لا ترفعوا أصواتكم فوق

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

صوت النبي ( فكأنه جمع له المقامين معنى النبوة والرسالة  
تعديدا للنعم في الحاليين  
وقريب منه في المضاف إلى الخاص ) يا نساء النبي لستن  
كأحد من النساء ( ولم يقل يانساء الرسول لما قصد  
اختصاصهن عن بقية الامة  
وقد يعبر بالنبي في مقام التشريع العام لكن مع قرينة أرادة  
التعميم كقوله ) يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ( ولم يقل  
طلقت التاسع خطاب الذم  
نحو ) يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ( )  
قل يا أيها الكافرون ( )  
ولتضمنه الإهانة لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين  
وكثر الخطاب ب يا أيها الذين آمنوا على المواجهة وفي جانب  
الكفار على الغيبة إعراضا عنهم كقوله تعالى ( قل للذين  
كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت  
سنة الأولين ( ثم قال ) وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ( فواجه  
بالخطاب المؤمنين وأعرض بالخطاب عن الكافرين ولهذا كان  
﴿ إذا عتب على قوم قال ما بال رجال يفعلون كذا فكنى عنه  
تكرما وعبر عنهم بلفظ الغيبة إعراضا

العاشر خطاب الكرامة  
نحو ) ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ( وقوله ) ادخلوها  
بسلام آمنين ( الحادي عشر خطاب الإهانة  
نحو قوله لإبليس ) فإنك رجيم وإن عليك اللعنة ( )  
وقوله ) قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون ( )  
وقوله ) وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ( )  
قالوا ليس هذا إباحة لإبليس وإنما معناه أن ما يكون منك  
لا يضر عباده كقوله ) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان  
( الثاني عشر خطاب التهكم  
وهو الاستهزاء بالمخاطب مأخوذ من تهكم البئر إذا تهدمت  
كقوله تعالى ) ذق إنك أنت العزيز الكريم ( وهو خطاب لآبي  
جهل لأنه قال ما بين

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

جبلها يعني مكة أعز ولا اكرم مني  
وقال ( فبشرهم بعذاب أليم ( جعل العذاب مبشرا به  
وقوله ) هذا نزلهم يوم الدين )  
وقوله ) وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم  
وتصلية جحيم ( والنزل لغة هو الذي يقدم للنازل تكرمه له قبل  
حضور الضيافة  
وقوله تعالى ) سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو  
مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن  
خلفه يحفظونه من أمر الله )  
على تفسير المعقبات بالحرس حول السلطان يحفظونه على  
زعمه من أمر الله وهو تهكم فإنه لا يحفظه من أمر الله إذا  
جاءه  
وقوله تعالى ) قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم  
هلم إلينا ( وهو تعالى يعلم حقيقتهم و ) يعلم ما يسرون وما  
يعلنون ( لاتخفى عليه خافية  
وقوله تعالى ) وظل من يحموم لا بارد ولا كريم ( وذلك لأن  
الظل

من شأنه الاسترواح واللطافة فنفي هنا وذلك انهم لا يستأهلون  
الظل الكريم  
الثالث عشر خطاب الجمع بلفظ الواحد  
كقوله ) يا أيها الإنسان إنك كادح )  
يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم  
والمراد الجميع بدليل قوله ) إن الإنسان لفي خسر إلا الذين  
أمنوا )  
وكان الحجاج يقول في خطبته يا أيها الإنسان وكلكم ذلك  
الإنسان  
وكثيرا ما يجيء ذلك في الخبر كقوله تعالى ) إن هؤلاء ضيفي )  
ولم يقل ضيوفي لأنه مصدر  
وقوله ) هم العدو فاحذرهم ( ولم يقل الأعداء

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقوله ( وحسن أولئك رفيقا ) أي رفقاء  
وقوله ( لا نفرق بين أحد من رسله ) ( فما منكم من أحد عنه  
حاجزين )  
وفي الوصف كقوله تعالى ( وإن كنتم جنبا فاطهروا )

وقوله ( والملائكة بعد ذلك ظهير )  
وقوله ( فلما استياسوا منه خلصوا نجيا ) وجمعه أنجية من  
المناجاة  
وقوله ( أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء  
( فأوقع الطفل حنسا )  
قال ابن جنبي وهذا باب يغلب عليه الاسم لا الصفة نحو الشاة  
والبعير والإنسان والملك قال تعالى ( والملك على أرجائها )  
( وجاء ربك والملك صفا صفا ) ( إن الإنسان لفي خسر ) ومن  
مجيئه في الصفة قوله تعالى ( ويوم يعض الظالم على يديه  
( وقوله ) وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار )  
وقال وكل واحد من هذه الصفات لا تقع هذا الموقع إلا بعد أن  
تجري مجرى الاسم الصريح الرابع عشر خطاب الواحد بلفظ  
الجمع  
كقوله تعالى ( يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا )  
إلى قوله ( فذرهم في غمرتهم حتى حين ) فهذا خطاب للنبي  
ﷺ وحده إذ لا بني معه قبله ولا بعده

وقوله ( وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم  
لهو خير للصابرين ) خاطب به النبي ﷺ بدليل قوله ( واصبر  
وما صبرك إلا بالله ) الآية  
وقوله ( ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي  
القربى ) الآية خاطب بذلك أبا بكر الصديق لما حرم مسطحا  
رفده حين تكلم في حديث الإفك  
وقوله ( فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا ) والمخاطب النبي ﷺ  
أيضا لقوله ( قل فاتوا )  
وقوله تعالى ( ففررت منكم لما خفتكم )

## البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وجعل منه بعضهم قوله تعالى ( قال رب ارجعون ( أي ارجعني  
وإنما خاطب الواحد المعظم بذلك لأنه يقول نحن فعلنا فعلى  
هذا الابتداء خوطبوا بما في الجواب  
وقيل ( رب ( استغاثة و ) ارجعون ( خطاب الملائكة فيكون  
التفاتا او جمعا لتكرار القول كما قال قفا نبك  
وقال السهيلي هو قول من حضرته الشياطين وزبانية العذاب  
فاختلط ولا يدري ما يقول من الشطط وقد اعتاد امرا يقوله  
في الحياة من رد الأمر الى المخلوقين

ومنه قوله تعالى ( نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا  
( الآية وهذا مما لا تشريك فيه  
وقال المبرد في الكامل لا ينبغي ان يستعمل ضمير الجمع في  
واحد من المخلوقين على حكم الاستلزام لأن ذلك كبر وهو  
مختص به سبحانه  
ومن هذا ما حكاه الحريري في شرح الملحة عن بعضهم انه  
منع من اطلاق لفظه نحن على غير الله تعالى من المخلوقين  
لما فيها من التعظيم وهو غريب وحكى بعضهم خلافا في نون  
الجمع الواردة في كلامه سبحانه وتعالى فقيل جاءت للعظمة  
يوصف بها سبحانه وليس لمخلوق ان ينازعه فيها فعلى هذا  
القول يكره للملوك استعمالها في قولهم نحن نفعل كذا وقيل  
في علتها إنها كانت تصاريف اقضيته تجري على ايدي خلقه  
تنزلت افعالهم منزلة فعلة فلذلك ورد الكلام مورد الجمع فعلى  
هذا القول يجوز مباشرة النون لكل من لا يباشر بنفسه  
فأما قول العالم نحن نبين ونحن نشرح فمفسوح له فيه لأنه  
يخبر بنون الجمع عن نفسه وأهل مقالته

وقوله تعالى ( يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم  
( والمراد الإنس لأن الرسل لا تكون إلا من بني آدم وحكى  
بعضهم فيه الإجماع لكن عن الضحاك ان من الجن رسولا  
اسمه يوسف لقوله تعالى ( وإن من أمة إلا خلا فيها نذير  
( واحتج الجمهور بقوله ( ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

( ليحصل الاستثناس وذلك مفقود في الجن وبقوله تعالى ) إن الله اصطفى آدم ونوحا ( الآية وأجمعوا أن المراد بالاصطفاء النبوة

وأجيب عن تمسك الضحاك بالآية بأن البعضية صادقة بكون الرسل من بني آدم ولا يلزم إثبات رسل من الجن بطريق إثبات نفر من الجن يستمعون القرآن من رسل الإنس ويبلغونه إلى قومهم وينذرونهم ويصدق على أولئك النفر من حيث إنهم رسل الرسل وقد سمي الله رسل عيسى بذلك حيث قال ( إذ أرسلنا إليهم اثنين )

وفي تفسير القرآن لقوام السنة إسماعيل بن محمد بن الفضل الحوري قال قوم من الجن رسل للآية

وقال الأكثرون الرسل من الإنس ويحي من الجن كقوله في قصة بلقيس ( فناظرة بم يرجع المرسلون ) والمراد به واحد بدليل قوله ( ارجع إليهم ) وفيه نظر من جهة أنه يحتمل أن يكون الخطاب لرئيسهم فإن العادة جارية لاسيما من الملوك ألا يرسلوا واحدا وقرأ ابن مسعود ارجعوا إليهم اراد الرسول ومن معه

وقوله ( أولئك مبرؤون مما يقولون ) يعني عائشة وصفوان وقوله تعالى ( كذبت قوم نوح المرسلين ) والمراد بالمرسلين نوح كقولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله إلهة وبرد قله الزمخشري

وقوله تعالى ( إن نعت عن طائفة منكم نعت طائفة ) قال قتادة هذا رجل كان لايمالئهم على ماكانوا يقولون في النبي ﷺ فسماه الله سبحانه طائفة وقال البخاري ويسمى الرجل طائفة

وقوله ( لا بيع فيه ولا خلاق ) والمراد خلة بدليل الآية الأخرى والموجب للجمع مناسبة رءوس أي فائدة وأما قوله تعالى ( واجعلنا للمتقين إماما ) فجوز الفارسي فيه تقديرين أحدهما أن إمام هنا جمع لأنه المفعول والثاني لجعل والمعقول الأول جمع والثاني هو الأول فوجب أن يكون جمعا وواحدة أم لانه قد سمع هذا في واحدة

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

قال تعالى ( ولا أمين البيت الجرام ) فهذا جمع أم مسلما  
وقياسه على حد قيام وقائم فأما أئمه فجمع إمام الذي هو  
مقدر على حد عنان وأعنه ولسان وأسنة والأصل أئمة فقلبت  
الفاء  
والثاني أنه جمع الإمام لأن المعنى أئمة فيكون إمام على هذا  
واحدا وجمعه أئمة وإمام  
وقال ابن الضائع قيدت عن شيخنا الشلوبين فيه احتمالين غير  
هذين أن يكون مصدرا كالإمام وأن يكون من الصفات المجراة  
مجرى المصادر في ترك التثنية والجمع كحسب ويحتمل أن  
يكون محمولا على المعنى كقولهم دخلنا على الأمير وكسانا  
حلة والمراد كل واحد منا حلة وكذلك هو واجعل كل واحد منا  
إماما الخامس عشر خطاب الواحد والجمع بلفظ الاثنين  
كقوله تعالى ( ألقيا في جهنم ) والمراد مالك خازن النار  
وقال الفراء الخطاب لخزنة النار والزبانية وأصل ذلك أن  
الرفقة أدنى ما تكون من ثلاثة نفر فجرى كلام الواحد على  
صاحبيه ويجوز أن يكون الخطاب للملكين الموكلين من قوله (  
وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد )

وقال أبو عثمان لما ثنى الضمير استغنى عن أن يقول ألق ألق  
يشير إلى إرادة التأكيد اللفظي  
وجعل المهدوي منه قوله تعالى ( قال قد أجيبت دعوتكما  
( قال الخطاب لموسى وحده لأنه الداعي وقيل لهما وكان  
هارون قد امن على دعائه والمؤمن احد الداعيين السادس  
عشر خطاب الإثنين بلفظ الواحد  
كقوله تعالى ( فمن ربكما يا موسى ) أي ويا هارون وفيه  
وجهان أحدهما أنه افرد موسى عليه السلام بالنداء بمعنى  
التخصيص والتوقف إذا كان هو صاحب عظيم الرسالة وكريم  
الآيات وذكره ابن عطية  
والثاني لما كان هارون أفصح لسانا منه على ما نطق به القرآن  
ثبت عن جواب الخصم الأثر ذكره صاحب الكشاف وانظر إلى

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الفرق بين الجوابين  
ومثله ( فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ) قال ابن عطية إنما  
أفرده بالشقاء من حيث كان المخاطب أولا والمقصود في  
الكلام وقيل بل ذلك لأن الله جعل الشقاء في معيشة الدنيا في  
حيز الرجال ويحتمل الإغضاء عن ذكر المرأة ولهذا قيل من  
الكرم ستر الحرم  
وقوله ( فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين )  
ونحوه في وصف الاثنين بالجمع قوله تعالى ( إن تتوبا إلى الله  
فقد صغت قلوبكما )  
وقال ( هذان خصمان اختصموا ) ولم يقل اختصما  
وقال ( فتاب عليه ) ولم يقل عليهما اكتفاء بالخبر عن احدهما  
بالدلالة عليه السابع عشر خطاب الجمع بعد الواحد  
كقوله تعالى ( وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا  
تعملون من عمل إلا كنا ) الآية فجمع ثالثها والخطاب للنبي ﷺ  
قال ابن الأنباري إنما جمع في الفعل الثالث ليدل على أن الأمة  
داخلون مع النبي ﷺ وحده وإنما جمع تفخيما له وتعظيما كما  
في قوله تعالى ( أفتطمعون أن يؤمنوا لكم )  
وكذلك قوله ( وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما  
بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين  
( فثني في الأول ثم جمع ثم افرد لانه خوطب أولا موسى  
وهارون لانهما المتبوعان ثم سبق الخطاب عاما لهما ولقومهما  
باتخاذ المساجد والصلاة فيها لأنه واجب عليهم ثم خص موسى  
بالبشارة تعظيما له الثامن عشر خطاب عين والمراد غيره  
كقوله ( يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين  
( الخطاب له والمراد المؤمنون لانه ﷺ كان تقيا وحاشاه من  
طاعة الكافرين والمنافقين والدليل على ذلك قوله في سياق  
الآية ) واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون  
خبيرا )  
وقوله تعالى ( فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين  
يقرؤون الكتاب من قبلك ) بدليل قوله في صدر الآية بعدها ( قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني )



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ومنهم من أجراه على حقيقته وأوله قال ابو عمر الزاهري في  
الياقوته سمعت الأمامين ثعلب والمبرد يقولان معنى ( فإن  
كنت في شك ( أي قل يا محمد إن كنت في شك من القرآن  
فاسأل من أسلم من اليهود إنهم أعلم به من أجل أنهم أصحاب  
كتاب وقوله ) عفا الله عنك لم أذنت لهم ( قال فورك معناه  
وسع الله عنك على وجه الدعاء و ) لم أذنت لهم ( تغليظ على  
المنافقين وهو في الحقيقة عتاب راجع إليهم وإن كان في  
الظاهر للنبي ﷺ كقوله ) فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك (   
وقوله ) عبس وتولى ( قيل إنه أمية وهو الذي تولى دون النبي  
ﷺ الا ترى انه لم يقل عبست  
وقوله ) ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين (   
وقوله ) ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك  
إذا لمن الظالمين (   
وبهذا يزول الإشكال المشهور في انه كيف يصح خطابه ﷺ مع  
ثبوت عصمته عن ذلك كله ويجاب أيضا بأن ذلك على سبيل  
الفرض والمحال يصح فرضه لغرض  
والتحقيق ان هذا ونحوه من باب خطاب العام من غير قصد  
شخص معين والمعنى

اتفاق جميع الشرائع على ذلك ويستراح حينئذ من إيراد هذا  
السؤال من اصله  
وعكس هذا ان يكون المراد عاما والمراد الرسول قوله ( لقد  
أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم ( بدليل قوله في سياقها ) أفأنت  
تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (   
وأما قوله في سورة الأنعام ) ولو شاء الله لجمعهم على الهدى  
فلا تكونن من الجاهلين ( فليس من هذا الباب  
قال ابن عطية ويحتمل أن يكون التقدير ) فلا تكونن من  
الجاهلين ( في ألا تعلم ان الله لو شاء لجمعهم ويحتمل ان  
يهتم بوجود كفرهم الذي قدره الله وأراده  
ثم قال ويظهر تباين ما بين قوله تعالى لمحمد ﷺ ( فلا تكونن  
من الجاهلين ( وبين قوله عز وجل لنوح عليه السلام ) إني

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

أعظك أن تكون من الجاهلين ( وقد تقرر أن محمداً ﷺ أفضل الأنبياء  
وقال مكي والمهدوي الخطاب بقوله ) فلا تكونن من الجاهلين  
( للنبي ﷺ والمراد أمته وهذا ضعيف ولا يقتضيه اللفظ  
وقال قوم وقر نوح عليه السلام لسنه وشبيهه  
وقال قوم جاء الحمل على النبي ﷺ لقربه من الله ومكانته كما  
يحمل العاتب على قرينة أكثر من حملة على الاجانب  
قال والوجه القوي عندي في الآية هو أن ذلك لم يجيء بحسب  
النبين وإنما جاء بحسب الأمر من الله ووقع النبي عنهما  
والعقاب فيهما  
التاسع عشر خطاب الاعتبار  
كقوله تعالى حاكياً عن صالح لما هلك قومه ) فتولى عنهم  
وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا  
تحبون الناصحين ( خاطبهم بعد هلاكهم اما لانهم يسمعون ذلك  
كما فعل النبي ﷺ بأهل بدر وقال والله ما انتم باسمع منهم وإما  
للاعتبار كقوله ) قل سيروا في الأرض فانظروا )  
وقوله ) انظروا إلى ثمره إذا أثمر ( العشرون خطاب الشخص  
ثم العدول الى غيره  
كقوله ) فإن لم يستجيبوا لكم ( الخطاب للنبي ﷺ ثم قال  
للكفار ) فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ( بدليل قوله ) فهل أنتم  
مسلمون )  
وقوله ) ذلك أدنى ألا تعولوا ( قال ابن خالوية في كتاب المبتدأ  
الحادي والعشرون خطاب التلويح  
وسماه الثعلبي المتلون كقوله تعالى ) يا أيها النبي إذا طلقتم  
النساء ( ) فمن ربكما يا موسى ( وتسميه أهل المعاني  
الالتفات وستكلم عليه ان شاء الله تعالى باقسامه الثاني  
والعشرون خطاب الجمادات خطاب من يعقل  
كقوله تعالى ) فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا  
طائعين ( تقديره طائعة  
وقيل لما كانت ممن يقول وهي حالة عقل جرى الضمير في )  
طائعين ( عليه كقولهم ) رأيتهم لي ساجدين )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقد اختلف أن هذه المقالة حقيقة بان جعل لها حياة وادراكا يقتضي نطقها أو مجازا بمعنى ظهر فيها من اختيار الطاعة والخضوع بمنزلة هذا القول على قولين قال ابن عطية والآول أحسن لأنه لا شيء يدفعه والعبرة فيه أتم والقدرة فيه أظهر ومنه قوله تعالى ( يا جبال أوبي معه ) فامرها كما تؤمر الواحدة المخاطبة المؤنثة لأن جميع ما لا يعقل كذلك يؤمر الثالث والعشرون خطاب التهيج كقوله ( وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ) ولا يدل على ان من لم يتوكل ينتفي عنهم الايمان بل حث لهم على التوكل وقوله ( فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ) وقوله ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ) فإنه سبحانه وصفهم بالإيمان عند الخطاب ثم قال ( إن كنتم مؤمنين ) فقصد حثهم على ترك الربا وان المؤمنين حقه ان يفعلوا ذلك وقوله ( وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ) وقوله ( إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ) وقوله ( إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ) وهذا احسن من قول من قال إن هاهنا بمعنى إذ

الرابع والعشرون خطاب الإغصاب كقوله تعالى ( إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ) وقوله ( أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ) وقوله تعالى ( ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله ) الخامس والعشرون خطاب التشجيع والتحريض وهو الحث على الاتصاف بالصفات الجميلة كقوله تعالى ( إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وكفى بحث الله سبحانه تشجيعا علمنازلة الأقران ومباشرة  
الطعان  
وقوله تعالى ( بلى إن تصبروا وتتقوا وبأتوكم من فورهم هذا  
يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين )  
وقوله تعالى ( ومن يولهم يومئذ دبره ) وكيف لا يكون للقوم  
صبر والملك الحق جل جلاله قد وعدهم بالمدد الكريم فقال ( وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ) وقوله تعالى ( فإنهم  
يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون )  
وقد جاء في مقابلة هذا القسم ما يراد منه الأخذ بالحزم  
والتأني بالحرب والاستظهار عليها بالعدة كقوله تعالى ( ولا  
تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ) وقوله تعالى ( وأعدوا لهم ما  
استطعتم من قوة )  
ونحو ذلك في الترغيب والترهيب ما جاء في قصص الاشقياء  
تحذيرا لما نزل من العذاب واخبارا للسعداء فيما صاروا إليه  
من الثواب السادس والعشرون خطاب التنفير  
كقوله تعالى ( ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل  
لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ) فقد  
جمعت هذه الآية اوصافا وتصويرا لما يناله المغتاب من عرض  
من يغتابه على افطع وجه وفي ذلك محاسن كالاستفهام الذي  
معناه التقرير والتوبيخ وجعل ما هو الغاية في الكراهة موصولا  
بالمحبة وإسناد الفعل إلى ( أحدكم ) وفيه اشعار بأن احدا  
لايحب ذلك ولم يقتصر على تمثيل الاعتبار باكل لحم الإنسان  
حتى جعله أبا ولم يقتصر على لحم الأخ حتى  
جعله ميتا وهذه مبالغات عظيمة ومنها ان المغتاب غائب وهو  
لايقدر على الدفع لما قيل فيه فهو كالميت السابع والعشرون  
خطاب التحنن والاستعطاف  
كقوله تعالى ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا  
تقنطوا من رحمة الله ) الثامن والعشرون خطاب التحبيب  
نحو ( يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر )  
( يا بني إنها إن تك مثقال حبة )  
( يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ومنه قوله ﷺ يا عباس يا عم رسول الله التاسع والعشرون  
(خطاب التعجيز نحو ) فأتوا بسورة من مثله ( ) فليأتوا بحديث  
مثله )  
( قل فأتوا بعشر سور مثله )  
( فادرؤوا عن أنفسكم الموت )  
وجعل منه بعضهم ) قل كونوا حجارة أو حديدا ( ورد ابن عطية  
بان التعجيز يكون حيث يقتضي بالامر فعل ما لا يقدر عليه  
المخاطب وإنما معنى الآية كونوا بالتوهم والتقدير كذا الثلاثون  
التحسير والتلهف كقوله تعالى ) قل موتوا بغيظكم ( الحادي  
والثلاثون التكذيب  
نحو قوله ) قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ( ) قل  
هلم شهداءكم الذين يشهدون ( الثاني والثلاثون خطاب  
التشريف وهو كل ما في القرآن العزيز مخاطبة بقل كالقلاقل  
وكقوله ) قل أمانا ( وهو تشريف منه سبحانه لهذه الأمة بأن  
يخاطبها  
بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة إذ ليس من الفصيح ان  
يقول الرسول للمرسل إليه قال لي المرسل قل كذا وكذا  
ولانه لا يمكن إسقاطها فدل على ان المراد بقاؤها ولا بد لها من  
فائدة فتكون أمرا من المتكلم للمتكلم بما يتكلم به امره  
شفاها بلا واسطة كقولك لمن تخاطبه افعل كذا الثالث  
والثلاثون خطاب المعدوم  
ويصح ذلك تبعا لموجود كقوله تعالى ) يا بني آدم ( فإنه خطاب  
لأهل ذلك الزمان ولكل من بعدهم وهو على نحو ما يجري من  
الوصايا في خطاب الإنسان لولده وولد ولده ما تناسلوا بتقوى  
الله وإتيان طاعته  
قال الرماني في تفسيره وإنما جاز خطاب المعدوم لأن  
الخطاب يكون بالإرادة للمخاطب دون غيره وأما قوله تعالى )  
كن فيكون ( فعند الأشاعرة أن وجود العالم حصل بخطاب كن  
وقالت الحنفية التكوين ازلي قائم بذات الباري سبحانه وهو  
تكوين لكل جزء من أجزاء العالم عند وجوده لأنه يوجد عند  
كاف ونون

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وذهب فخر الإسلام شمس الأئمة منهم الى ان خطاب كن موجود عند إيجاد كل شيء فالحاصل عندهم في ايجاد الشيء شيئان الإيجاد وخطاب كن واحتج الأشاعرة بظاهر قوله تعالى ( إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ) وقوله ( إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ) وقوله ( بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ) ولو حصل وجود العلم بالتكوين لم يكن في خطاب كن فائدة عند الإيجاد

وأجاب الحنفية بأننا نقول لموجها ولا تستقل بالفائدة كالمتشابه فيقول بوجود خطاب كن عند الإيجاد في غير تشبيه ولا تعطيل النوع الثالث والأربعون في بيان حقيقته ومجازه لا خلاف ان كتاب الله يشتمل على الحقائق وهي كل كلام بقي على موضوعه كآيات التي لم يتجاوز فيها والآيات الناطقة ظواهرها بوجود الله تعالى وتوحيده وتنزيهه والداعية الى اسمائه وصفاته كقوله تعالى ( هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ) الآية

وقوله ( أم من خلق السماوات والأرض ) ( أم من جعل الأرض قراراً ) ( أم من يجيب المضطر إذا دعاه ) ( أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر ) ( أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ) وقوله تعالى ( من يحيي العظام وهي رميم ) وقوله تعالى ( أفرايتم ما تمنون ) ( أفرايتم ما تحرثون ) ( أفرايتم الماء الذي تشربون ) ( أفرايتم النار التي تورون ) قيل ومنه الآيات التي لم تنسخ وهي كآيات المحكمات والآيات المشتملة

ولا تقديم فيه ولا تأخير كقول القائل أحمد الله على نعمائه واحسانه وهذا أكثر الكلام قال الله تعالى ( والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ) وأكثر ما يأتي من الآي على هذا

وأما المجاز فاختلف في وقوعه في القرآن والجمهور على الوقوع وانكره جماعه منهم ابن القاص من الشافعية وابن

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

خويز منداد من المالكية وحكى عن داود الظاهري وابنه وابي مسلم الأصبهاني وشبهتهم أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة الى المجاز الا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وهو مستحيل على الله سبحانه وهذا باطل ولو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف وتثنية القصص وغيره ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن وقد افرد به بالصنيف الإمام ابو محمد بن عبد السلام وجمع فأوعى  
وأما معناه فقال الحاتمي معناه طريق القول ومأخذه مصدر جرت مجازا كما يقال قمت مقاما  
قال الأصمعي كلام العرب إنما هو مثال شبه الوحي نوعا المجاز  
وله سببان أحدهما الشبه ويسمى المجاز اللغوي وهو الذي يتكلم فيه الأصولي  
والثاني الملاسة وهذا هو الذي يتكلم فيه اهل اللسان ويسمى المجاز العقلي وهو ان تسند الكلمة الى غير ماهي له اصالة بضرب من التأويل كسب زيد اباه اذا كان سببا فيه المجاز في المركب واقسامه  
والأول مجاز في المفرد وهذا مجاز في المركب ومنه قوله تعالى ( وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ) ونسبت الزيادة التي هي فعل الله الى الآيات لكونها سببا فيها  
وكذا قوله تعالى ( وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ) وقوله ( يذبح أبناءهم ) والفاعل غيره ونسب الفعل اليه لكونه الأمر به 3 وكقوله ( ينزع عنهما لباسهما ) نسب النزاع الذي هو فعل الله الى ابليس  
لعنه الله لأن سببه أكل الشجرة وسبب اكلها وسوسته ومقاسمته إياهما انه لهما لمن الناصحين  
وقوله تعالى ( فما ربحت تجارتهم ) جعل التجارة الرابحة وقوله ( فإذا عزم الأمر ) لأن الأمر هو المعزوم عليه بدليل (

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

فإذا عزمت فتوكل على الله ( وقوله ) ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار ( فنسب الإحلال الذي هو فعل الله إلى أكابره لان سببه كفرهم وسبب كفرهم امر أكابره إياهم بالكفر وقوله تعالى ) يوما يجعل الولدان شيبا ( نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه وقوله تعالى ) وأخرجت الأرض أثقالها ( وقوله ) فلا يخرجنكم من الجنة فتشقى ( وقد يقال ان النزاع والإحلال يعبر بهما عن فعل ما أوجبهما فالمجاز افرادي لا اسنادي وقوله ) يوما يجعل الولدان شيبا ( يحتمل معناه يجعل هولاء فهو من مجاز الحذف وقوله تعالى ) ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ( وهم لم يدعوه إلى النار إنما دعوه إلى الكفر بدليل قوله ) تدعونني لأكفر بالله ( لكن لما كانت النار مسببة عنه اطلقها عليه وقوله تعالى ) فاتقوا النار ( أي العناد المستلزم للنار وقوله ) إنما يأكلون في بطونهم نارا ( لاستلزام اموال اليتاما إياها وقوله تعالى ) وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا ( انما ارد والله اعلم الشيء الذي ينكح به من مهر ونفقة ومالا بد للمتزوج منه وقوله تعالى ) ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ( أي لاتاكلوها بالسبب الباطل الذي هو القمار وقوله ) والرجز فاهجر ( أي عبادة الاصنام لان العذاب مسبب عنها وقوله ) وليجدوا فيكم غلظة ( أي واغلظوا عليهم ليجدوا ذلك وإنما عدل إلى الامر بالوجدان تنبيها على انه المقصود لذاته وأما الإغلاظ فلم يقصد لذاته بل لتجدوه الثاني عكسه وهو ايقاع السبب موقع المسبب كقوله تعالى ) وجزاء سيئة سيئة مثلها (



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقوله تعالى ( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم )

سمي الجزاء الذي هو السبب سيئة واعتداء فسمي الشيء باسم سببه وإن عبرت السيئة عما ساء أي أحزن لم يكن من هذا الباب لأن الإساءة تحزن في الحقيقة كالجناية ومنه ( ومكروا ومكر الله ( تجوز بلفظ المكر عن عقوبته لأن سبب لها

ومنه قوله ( أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ( إنما جعلت المرأتان للتذكير إذا وقع الضلال لا ليقع الضلال فلما كان الضلال سببا للتذكير أقيم مقامه ومنه إطلاق اسم الكتاب على الحفظ أي المكتوب فإن الكتابة سبب له كقوله تعالى ( سنكتب ما قالوا ( أي سنحفظه حتى يجازيهم عليه

ومنه إطلاق اسم السمع على القبول كقوله تعالى ( ما كانوا يستطيعون السمع ( أي ما كانوا يستطيعون قبول ذلك والعمل به لأن قبول الشيء مرتب على سماعه ومسبب عنه ويجوز أن يكون في نفي السمع لا بتغاء فائدته ومنه قول الشاعر

وإن حلفت لا ينقض النأي عهدها  
فليس لمخضوب البنان يمين

أي وفاء يمين  
ومنه إطلاق الإيمان على ما نشأ عنه من الطاعة كقوله تعالى ( وما كان الله ليضيع إيمانكم )

( أفتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ) أي أفتعلمون ببعض التوارة وهو فداء الأسارى وتتركون العمل ببعض وهو قتل إخوانهم وإخراجهم من ديارهم وقوله ( وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره )

وقوله ( وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة ( يريد الأجساد لأن العمل والنصب من صفاتها وأما قوله ( وجوه يومئذ ناعمة

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

( يريد الاجساد لأن العمل والنصب من صفاتها واما قوله )  
وجوه يومئذ ناعمة ( فيجوز ان يكون من هذا عبر بالوجوه عن  
الرجال ويجوز ان يكون من وصف البعض بصفة الكل لان  
التنعم منسوب الى جميع الجسد  
ومنه ) وجوه يومئذ ناضرة ( فالوجه المراد به جميع ما تقع به  
المواجهة لا الوجه وحده  
وقد اختلف في تأويل الوجه الذي جاء مضافا الى الله في  
مواضع من القرآن فنقل ابن عطية عن الحذاق انه راجع الى  
الوجود والعبارة عنه بالوجه مجاز اذ هو اظهر الأعضاء في  
المشاهدة وأجلها قدرا وقيل وهو الصواب هي صفة ثابتة  
بالسمع زائدة على ما توجه العقول من صفات الله تعالى  
وضعه امام الحرمين واما قوله تعالى ( فثم وجه الله  
) فالمراد الجهة التي وجهنا اليها في القبلة وقيل المراد به  
الجاه أي فثم جلال الله وعظمته  
وقوله ( فيما كسبت أيديكم ) ( ولا تلقوا بأيديكم ) تجوز بذلك  
عن الجملة  
وقوله ( واضربوا منهم كل بنان ) البنان الإصبع تجوز بها عن  
الأيدي  
والأرجل عكس قوله تعالى ( يجعلون أصابعهم )  
وقوله ( فتحرير رقبة )  
وقوله ( سنسمه على الخرطوم ) عبر بالأنف عن الوجه  
( لأخذنا منه باليمين )  
وكقوله تعالى ( فإنه أثم قلبه ) أضاف الإثم الى القلب وان  
كانت الجملة كلها أثرة من حيث كان محلا لاعتقاد الإثم والبر  
كما نسبت الكتابة الى اليد من حيث انها تفعل بها في قوله  
تعالى ( مما كتبت أيديهم ) وإن كانت الجملة كلها كاتبة ولهذا  
قال ( وويل لهم مما يكسبون )  
وكذا قوله ( لا تدركه الأبصار ) وقيل المعنى على حذف  
المضاف لأن المدرك هو الجملة دون الحاسة فاسند الإدراك  
الى الأبصار وقيل المعنى على حذف المضاف لان المدرك هو  
الجملة دون الحاسة فاسند الإدراك الى الابصار لانه بها يكون

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وكقوله تعالى ( ويحذركم الله نفسه ( أي اياه ) تعلم ما في نفسي ( وجعل منه بعضهم قوله تعالى ) قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ( وحكى ابن فارس عن جماعة ان من هنا للتبويض لانهم امروا بالغض عما يحرم النظر إليه وقوله ) قم الليل ( أي صل في الليل لأن القيام بعض الصلاة الأخرى فقال ثعلب انه كان وعدهم بشيء من العذاب عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فقال يصبكم هذا العذاب في الدنيا وهو بعض الوعيد من غير نفي عذاب الآخرة الثاني انه اخطأ في فهم البيت وإنما مراد الشاعر ببعض النفوس نفسه هو لانها بعض النفوس حقيقة ومعنى البيت انا اذا لم ارض الامكنه اتركها إلى أن اموت أي إذا تركت شيئاً لا اعود اليه الى ان اموت كقول الآخر اذا نصرفت نفسي عن الشيء لم تكد اليه بوجه آخر الدهر ترجع

وقال الزمخشري ان صحت الرواية عن ابي عبيدة فيدخل فيه قول المازني في مسألة العلقي كان أجفى من ان يفقه ما اقول له وأشار الزمخشري بذلك الى ان ابا عبيدة قال للمازني ما اكذب النحويين فقلت له لم قلت ذلك قال يقولون هاء التأنيث تدخل على الف التأنيث وان الالف التي في علقي ملحقة لست للتأنيث قال فقلت له وما انكرت من ذلك قال سمعت رؤية ينشد فحط في علقي وفي مكور فلم ينونها فقلت ما واحد العقلي فقال علقاه قال المازني فأسفت ولم افسر له لانه كان أغلظ من ان يفهم مثل هذا قلت ويحتمل قوله ( يصبكم بعض الذي يعدكم ) ان الوعيد مما لا يستنكر ترك جميعه فكيف بعضه ويدل قوله في آخر هذه ( السورة ) فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون ( وفيها تأييد لكلام ثعلب ايضا ) وقد يوصف البعض كقوله تعالى ( يعلم خائنة الأعين ) وقوله ( ناصية كاذبة خاطئة ) الخطأ صفة الكل فوصف به الناصية وأما

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الكاذبة فصفة اللسان  
وقد يوصف الكل بصفة البعض كقوله ( إنا منكم وجلون  
( والوجل صفة القلب  
وقوله ) ولملئت منهم رعبا ( والرعب انما يكون في القلب  
الخامس اطلاق اسم الملزوم على اللازم  
كقوله تعالى ) أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به  
يشركون ( أي أنزلنا برهانا يستدلون به وهو يدلهم سمي  
الدلالة كلاما لأنها من لوازم الكلام  
وقوله ) صم وبكم في الظلمات ( فإن الأصل عمي لقوله في  
موضع آخر ) صم بكم عمي ( لكن أتى بالظلمات لأنها من  
لوازم العمي  
لأنه اذا فضل احدهم على العالمين فقد فضل على سائرهم  
لانه من العالمين فاذا فضل الآخرين على العالمين فقد فضلهم  
ايضا على الاول لانه من العالمين فيصير الفاضل مفضولا  
ولا يصح وقوله ) ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم  
( أي شيء يحكم عليه بالذهاب بدليل قوله ) فأصبحوا لا يرى  
إلا مساكنهم )  
وقوله ) تدمر كل شيء بأمر ربها ( )  
وقوله ) وأوتيت من كل شيء ( أي كل شيء أحبوه  
وقوله ) حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ( أي مما ظنه وقدره  
وقوله كحاية عن نبيه ﷺ ) وأنا أول المسلمين ( وعن موسى )  
وأنا أول المؤمنين ( ولم يرد الكل لان الانبياء قبله ما كانوا  
مسلمين ولا مؤمنين  
وقال ) والشعراء يتبعهم الغاوون ( ولم يعن كل الشعراء  
وقوله ) فإن كان له إخوة ( أي إخوان فصاعدا  
وقوله ) وادخلوا الباب سجدا ( أي بابا من ابوابها قاله  
المفسرون  
وقوله ) قالت الأعراب آمنا ( وإنما قاله فريق منهم  
( وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ( واراد  
الآيات التي اذا كذب بها نزل العذاب على المكذب  
وقوله ) ويستغفرون لمن في الأرض ( أي من المؤمنين

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

( وقوله ) ويستغفرون للذين آمنوا ( وقوله ) وكذب به قومك وهو الحق ( والمراد بعضهم فإن منهم افاضل المسلمين والصديق وعلياً رضي الله عنهما ( وقوله ) الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ( فإن الناس الأولى لو كان المراد به الإستغراق لما انتظم قوله تعالى بعد ذلك إن الناس ولأن الذين من الناس فلا يكون الثاني مستغرقاً ضرورة خروج ) الذين ( منهم لانهم لم يقولوا لأنفسهم

( وقوله ) الحج أشهر معلومات ( والمراد شهران وبعض الثالث الحادي عشر إطلاق الجمع وإرادة المثني كقوله تعالى ) فقد صغت قلوبكما ( اطلق اسم القلوب على القلبين

الثاني عشر النقصان

ومنه حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كقوله ( واسأل القرية ( أي أهلها

( وقوله ) ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ( أي على لسان رسلك

( وقالوا ) نحن أنصار الله ( أي انصار دين الله وقال ) وأشربوا في قلوبهم العجل ( أي حبة ) واختار موسى قومه ( أي من قومه قالوا وإنما يحسن الحذف إذا كان فيه زيادة مبالغة والمحذوفات في القرآن على هذا النمط وسيأتي الإشباع فيه وفي شروطه إن شاء الله تعالى وذهب المحققون إلى أن حذف المضاف ليس من المجاز لأنه استعمال اللفظ فيما وضع له ولأن الكلمة المحذوفة ليست كذلك وإنما التجوز في أن ينسب إلى المضاف إليه ما كان منسوباً إلى المضاف كالمثلة السابقة الثاني عشر الزيادة

( كقوله تعالى ) ليس كمثله شيء ( ذكره الأصوليون والنحويين فيها قولان

أحدهما أن مثل زائدة والتقدير ليس كهو شيء والثاني وهو المشهور أن الكاف هي الزائدة وإن مثل خبر ليس

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ولا خفاء أن القول بزيادة الحرف اسهل من القول بزيادة  
الإسم  
وممن قال به ابن حني والسيرافي وغيرهما فقالوا المعنى  
ليس مثله شيء والكاف زائدة وإلا لاستحال الكلام لانها لو لم  
تكن زائدة كانت بمعنى مثل وان كانت حرفا فيكون التقدير  
ليس مثل مثله شيء واذا قدر هذا التقدير ثبت له مثل ونفي  
الشبه عن مثله وهذا محال من وجهين  
أحدهما أن الله عز وجل لامثل له  
والثاني أن نفس اللفظ به محال في حق كل أحد وذلك انا لو  
قلنا ليس مثل مثل زيد لاستحال ذلك لان فيه اثبات ان لزيد  
مثلا وذلك يستلزم جعل زيد مثلا له لأن ما مائل الشيء فقد  
ماثله ذلك الشيء وغير جائز أن يكون زيد مثلا لعمرو وعمرو  
ليس مثلا لزيد فاذا نفينا المثل عن مثل زيد وزيد هو مثل مثله  
فقد اختلفنا ولانه يلزم منه التناقص على تقدير اثبات المثل لإن  
مثل المثل لا يصح نفيه ضرورة كونه مثلا لشيء وهو مثل له  
واجيب عن الأول باننا لا نسلم لزوم اثبات المثل غاية ما فيه  
نفي مثل مثل الله وذلك يستلزم الا يكون له مثل اصلا ضرورة  
ان مثل كل شيء فذلك الشيء مثله فاذا انتفى عن شيء ان  
يكون مثل عمرو انتفى عن عمرو ان يكون مثله  
واما الثاني فهو مبني على ان هذه العبارات يلزم منها اثبات  
المثل ونحن قد منعناه بل احلناه من العبارة  
وقيل ليست زائدة اما لاعتبار جواز سلب الشيء عن المعدوم  
كما تسلب الكتابة عن زيد وهو معدوم او يحمل المثل على  
المثل أي الصفة كقوله تعالى ( مثل الجنة ) اي صفتها فالتقدير  
ليست كصفته شيء  
وبهذين التقديرين يحصل التخلص عن لزوم اثبات مثل وان لم  
تكن زائدة  
وأما القائلون بأن الزائد مثل وإلا لزم اثبات المثل ففيه نظر  
لاستلزام تقدير دخول الكاف على الضمير وهو ضعيف لايجيء  
الا في الشعر وقد ذكرنا ما يخلص من لزوم اثبات المثل  
وقيل المراد الذات والعين كقوله ( فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

( وقوله امرىء القيس على مثل ليلى يقتل المرء نفسه )  
فالكاف على بابها وليس كذاك بل المراد حقيقة المثل ليكون  
نفيًا عن الذات بطريق برهاني كسائر الكنايات ثم لا يشترط  
على هذا ان يكون لتلك الذات الممدوحة مثل في الخارج حصل  
النفي عنه بل هو من باب التخيل في الاستعارة التي يتكلم  
فيها البياني  
فإن قيل انما يكون هذا نفيًا عن الذات بطريق برهاني ان لو  
كانت المماثلة تستدعي المساواه في الصفات الذاتية وغيرها  
من الافعال فان اتفاق الشخصيتين بالذاتيات لا يستلزم اتحاد  
افعالهما قيل ليس المراد بالمثل هنا المصطلح عليه في العلوم  
العقلية بل المراد من هو مثل حالة في الصفات المناسبة لما  
سيق الكلام له وليس المراد من هو مثل في كل شيء لان  
لفظه مثل لا تستدعي المشابهة من كل وجه  
وقال الكواشي يجوز ان يقال إن الكاف ومثل ليسا زائدتين بل  
يكون التمثيل هنا على سبيل الفرض كقوله ( لو كان فيهما آلهة  
إلا الله لفسدتا ) وتقدير الكلام لو فرضنا له مثلا لامتنع ان يشبه  
ذلك المثل المفروض شيء وهذا ابلغ في نفي المماثلة  
وأما قوله تعالى ( فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا  
( فقيل ان ما فيه مصدرية وهذا فيه نظر لان ما لو كانت  
مصدرية لم يعد اليها من الصلة ضمير وهو الهاء في ) به ( لان  
الضمير لا يعود على الحروف ولا يعتبر اسما الا بالصلة والاسم  
لا يعود عليه ما هو صفته اذ لا يحتاج في ذلك إلى ربط  
وجوابه ان تكون ما موصولة صلتها ) آمنتم به ( )  
وقيل مزيدة والتقدير فان آمنوا بالذي آمنتم به اي بالله  
وملائكته وكتبه ورسوله وجميع ما جاء به الانبياء  
وقيل ان مثلا صفة لمحذوف تقديره فان آمنوا بشيء مثل ما  
آمنتم به وفيه نظر لان ما آمنوا به ليس له مثل حتى يؤمنوا  
بذلك المثل وحكي الواحدي عن اكثر المفسرين في قوله  
تعالى ( فأينما تولوا فثم وجه الله ) ان الوجه صلة والمعنى فثم  
الله يعلم ويرى قال والوجه قد ورد صلة مع اسم الله كثيرا  
كقوله ( ويبقى وجه ربك ) ( إنما نطعمكم لوجه الله ) ( كل

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

شيء هالك إلا وجهه )  
قلت والاشبه حمله على ان المراد به الذات كما في قوله  
تعالى ( بلى من أسلم وجهه لله ) وهو اولى من دعوى الزيادة  
ومن الزيادة دعوى ابا عبدة ) يسمعونكم إذ تدعون ( إن ) إذ )  
زائدة  
وقوله ) ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم )  
وقوله ) وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ) وقد سبق  
الرابع عشر تسمية الشيء بما يتول اليه  
كقوله تعالى تعالى ) ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ) اي صائرا الى  
الفجور والكفر  
وقوله ) إنني أراني أحمل فوق رأسي خبزا ) اي لأن الذي تاكل  
الطير منه إنما هو البر لا الخبز ولم يذكر العلماء هذا من جملة  
الامثلة انما اقتصروا في التمثيل على قوله ) أعصر خمرا ) اي  
عنبا فعبر عنه لأنه ايل الى الخمرية وقيل لا مجاز فيه فان  
الخمر العنب بعينه لغة لازد عمان نقله الفارسي في التذكرة  
عن غريب القرآن لابن دريد  
وقيل اكتفى بالمسبب الذي هو الخمر عن السبب الذي هو  
العنب قاله ابن جني في الخصائص  
وقيل ولا مجاز في الاسم بل في الفعل وهو ) أعصر ) فانه  
اطلق واريد به استخراج واليه ذهب ابن عزيز في غريبه  
وقوله ) حتى تنكح زوجا غيره ) سماه زوجا لان العقد يتول الى  
زوجية لانها لاتنكح في حال كونه زوجا  
وقوله ) فبشرناه بسلام حليم ) وبشروه بسلام عليم ) وصفة  
في حال البشارة بما يتول اليه من العلم والحلم  
تنبيه ليس هذا من الحال المقدره كما يتبادر الى الذهن لان  
الذي يقترن بالفاعل او المفعول انما هو تقدير ذلك وارادته  
فيكون المعنى في قوله ) فتبسم ضاحكا ) مقدار ضحكه  
وكذا قوله ) وخرؤا له سجدا ) على قول ابي علي وهذا حمل  
منه للخرور على ابتدائه وان حمله على انتهائه كانت الحال  
الملفوظ بها ناجزة غير مقدره



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وكذلك قوله ( فادخلوها خالدين ) اي ادخلوها مقدرين الخلود فيها فان من دخل مدخلا كريما مقدرًا الا يخرج منه ابداً كان ذلك اتم لسروره ونعيمه ولو توهم انقطاعه لتنعص عليه النعيم الناجز مما يتوهمه من الانقطاع اللاحق الخامس عشر تسمية الشيء بما كان عليه  
كقوله تعالى ( وآتوا اليتامى أموالهم ) أي الذين كانوا يتامى اذ لا يتم بعد البلوغ وقيل بل هم يتامى حقيقة واما حديث لا يتم بعد احتلام فهو من تعليم الشرع لا اللغة وهو غريب  
وقوله ( ولكم نصف ما ترك أزواجكم ) واذا متن لم يكن أزواجاً فسماهن بذلك لانهن كن أزواجاً  
وقوله ( فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ) اي الذين كانوا أزواجهن  
وكذلك ( ويذرون أزواجاً ) لانقطاع الزوجية بالموت  
وقوله ( من يأت ربه مجرماً ) سماه مجرماً باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الاجرام

وقوله ( هذه بضاعتنا ردت إلينا ) ولكن ما رد عليهم مالهم وإنما كانوا قد اشتروا بها الميرة فجعلها يوسف في متاعهم وهي له دونهم فنسبها الله اليهم بمعنى انها كانت لهم السادس عشر إطلاق اسم المحل على الحال  
كقوله ( فليدع ناديه )  
وقوله تعالى ( وفرش مرفوعة ) اي نساؤه بدليل قوله ( إنا أنشأناهن إنشاءً )  
وكالتعبير باليد عن القدرة كقوله ( بيده الملك ) ونحوه والتعبير بالقلب عن الفعل كقوله ( لهم قلوب لا يفقهون بها ) اي عقول  
وبالآفواه عن الألسن كقوله ( الذين قالوا آمناً بأفواههم ) يقولون بأفواههم )  
وإطلاق الألسن على اللغات كقوله ( بلسان عربي مبين ) والتعبير بالقرية عن ساكنها نحو ( واسأل القرية )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

السابع عشر اطلاق اسم الحال على المحل  
كقوله تعالى ( وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم  
فيها خالدون ) أي في الجنة لانها محل الرحمة ز  
وقوله ( بل مكر الليل والنهار ) اي في الليل  
وقال الحسن في قوله ( إذ يريكمم الله في منامك ) اي في  
عينك واستبعده الزمخشري وقد ريعني في رؤياك  
وقوله ( رب اجعل هذا البلد آمنا ) وصف البلد بالامن وهو صفة  
لاهله ومثله ( وهذا البلد الأمين ) ( إن المتقين في مقام أمين )

وقوله ( بلدة طيبة ) وصفها بالطيب وهو صفة لهوائها  
وقد اجتمع هذا والذي قبله في قوله تعالى ( يا بني آدم خذوا  
زينتكم عند كل مسجد ) وذلك لأن اخذ الزينة غير ممكن لانها  
مصدر فيكون المراد محل الزينة ولا يجب اخذ الزينة للمسجد  
نفسه فيكون المراد بالمسجد الصلاة فاطلق اسم المحل على  
الحال وفي الزينة بالعكس الثامن عشر إطلاق اسم آلة الشيء  
عليه

كقوله تعالى ( واجعل لي لسان صدق في الآخرين ) أي ذكرا  
حسنا

أطلق اللسان وعبر به عن الذكر لأن اللسان آية للذكر  
وقال تعالى ( تجري بأعيننا ) أي بمرأى منا لما كانت العين آلة  
الرؤية

وقوله ( وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ) اي بلغة قومه  
التاسع عشر إطلاق اسم الضدين على الآخر  
كقوله تعالى ( وجزاء سيئة سيئة مثلها ) وهي من المبتدىء  
سيئة ومن الله حسنة فحمل اللفظ على اللفظ

وعكسه ( هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ) سمي الأول احسانا  
لانه مقابل لجزائه وهو الإحسان والاول طاعة كانه قال هل  
جزاء الطاعة الا الثواب

وكذلك ( ومكروا ومكر الله ) حمل اللفظ على اللفظ فخرج  
الانتقام بلفظ الذنب لأن الله لايمكر

واما قوله تعالى ( أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الخاسرون ( فهو وان لم يتقدم ذكر مكرهم في اللفظ لكن تقدم في سياق الآية قبله ما يصير الى مكر والمقابلة لايشترط فيها ذكر المقابل لفظا بل هو او ما في معناه وكذلك قوله ) فبشرهم بعذاب أليم ( لما قال بشر هؤلاء بالجنة قال بشر هؤلاء بالعذاب والبشارة إنما تكون في الخير لا في الشر وقوله ) إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم ( والفعل الثاني ليس بسخرية

العشرون تسمية الداعي إلى الشيء باسم الصارف عنه لما بينهما من التعلق ذكره السكاكي وخرج عليه قوله تعالى ( ما منعك ألا تسجد ) يعني ما دعاك ألا تسجد واعتصم بذلك في عدم زيادة لا وقيل معناه ما حماك في ألا تسجد اي من العقوبة اي ما جعلك في منعه من عقوبة ترك السجود وهذا لا يصح أما الأول فلم يثبت في اللغة وأما الثاني فكأن تركيبه ما يمنعك سؤالا عما يمنعه لابلغظ الماضي لانه لاتخويف بماض

ويجاب بأن المخالفة تقتضي الأمنه كانه قيل ما امنك حتى خالفت بيانا لاغتراره وعدم رشده وانه انما خالف وحاله حال من امتنع بقوته من عذاب ربه فكني عنه بما منعك تهكما لانه امتنع حقيقة وانما جسر جسارة من هو في منعه ورد ايضا بانه أجاب ( أنا خير ) وهو لا يصلح جوابا الا لترك السجود واجيب بانه لم يجب ولكن عدل بذلك جواب ما لا يمكن جوابه

الحادي والعشرون إقامة صيغة مقام اخرى وله صور فمنه فاعل بمعنى مفعول كقوله ( لا عاصم اليوم من أمر الله ) اي لامعصوم

وقوله تعالى ( من ماء دافق ) اي مدفوق ( و ) في عيشة ( اي مرضية بها وقيل على النسب اي ذات رضا وهو مجاز أفراد لاتركيب وقوله ) أنا جعلنا حرما أمنا ( اي مأمونا وعكسه ) إنه كان وعده مأتيا ( اي أتيا وجعل منه بعضهم قوله

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

تعالى ( حجابا مستورا ) اي ساترا وحكى الهوري في الغريب  
عن اصل اللغة وتاويل الحجاب الطبع وقال السهيلي الصحيح  
انه على بابہ اي مستورا عن العيون ولا يحس به أحد  
والمعنى مستور عنك وعنهم كما قال تعالى ( وما يعلم جنود  
ربك إلا هو ) وقال الجوهرى أي حجابا على حجاب والأول  
مستور بالثاني يراد بذلك كثافة الحجاب لانه جعل على قلوبهم  
اكنة وفي آذانهم وقرا

قال أبو الفتح في كتابه هذا الفد وسألته يعني الفارسي اذا  
جعلت فاعلا بمعنى مفعول فعلام ترفع الضمير الذي فيه اعلى  
حد ارتفاع الضمير في اسم الفاعل ام اسم المفعول فقال ان  
كان بمعنى مفعول ارتفع الضمير فيه ارتفاع الضمير في اسم  
الفاعل وان جاء على لفظ اسم الفاعل  
ومنه فعيل بمعنى مفعول كقوله ( وكان الكافر على ربه ظهيرا  
( أي مظهورا فيه ومنه ظهرت به فلم التفت اليه أما نحو ) فله  
عذاب أليم ( فقال بعض النحويين انه بمعنى مؤلم ورده  
النحاس بان مؤلما يجوز ان يكون قدالم ثم زال وأليم ابلغ لانه  
يدل على الملازمة قال ولهذا منع النحويون الا سيبويه ان يعدي  
فعيل

ومنه مجيء المصدر على فعول كقوله تعالى ( لمن أراد أن  
يذكر أو أراد شكورا ) وقوله ( لا تريد منكم جزاء ولا شكورا  
( فانه ليس المراد الجمع هنا بل المراد لانريد منكم شكرا اصلا  
وهذا ابلغ في قصد الإخلاص في نفي الانواع  
وزعم السهيلي انه جمع شكر وليس كذلك لفوات هذا المعنى  
ومنها اقامة الفاعل مقام المصدر نحو ) ليس لوقعها كاذبة  
( اي تكذيب واقامة المفعول مقام المصدر نحو ) بأيكم  
المفتون ( اي الفتنة 3 ومنه وصف الشيء بالمصدر كقوله  
تعالى ) فإنهم عدو لي ( قالوا انما وحده لانه في معنى المصدر  
كانه قال فانهم عداوة  
ومجئ المصدر بمعنى المفعول كقوله تعالى ( ولا يحيطون  
بشيء من علمه ) أي من معلومة  
وقوله ( ذلك مبلغهم من العلم ) أي من العلوم وقوله ( صنع

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الله ( أي مصنوعة  
وقوله ) هذا رحمة من ربي ( أي مترحم قاله الفارسي  
وكذا قوله ) فأعينوني بقوة ( أي مقوى به ألا ترى أنه أراد منهم  
زبر الحديد والنفخ عليها  
وقوله ) وقد خاب من حمل ظلما ( أي مظلوما فيه  
وقوله تعالى ) وجاءوا على قميصه بدم كذب ( أي مكذوب فيه  
والألو كان على ظاهره لاشكل لان الكذب من صفات الاقوال  
لا الأجسام وقال الفراء يجوز في النحو بدم كذبا بالنصب على  
المصدر لان ) جاءوا ( فيه معنى كذبوا كذا كما قال تعالى )  
والعاديات ضبحا ( لان العاديات بمعنى الضابحات  
وعكسه ) وإنه لذو علم لما علمناه )  
ومنه فعيل بمعنى الجمع كقوله تعالى ) والملائكة بعد ذلك  
ظهير )  
وقوله ) خلصوا نجيا )  
وقوله ) وحسن أولئك رفيقا )  
وشروط بعضهم أن يكون المخبر عنه جمعا وانه لايجيء ذلك في  
المثنى ويرده قوله تعالى ) عن اليمين وعن الشمال قعيد  
( فانه نقل الواحدي عن المبرد وابن عطية عن الفراء ان قعيد  
أسند لهما  
وقد يقع الإخبار بلفظ الفرد عن لفظ الجمع وان اريد معناه  
لنكته كقوله تعالى ) أم يقولون نحن جميع منتصر ( فإن سبب  
النزول وهو قول ابي جهل نحن نتصر اليوم يقضي بإعراب  
منتصر خبرا  
ومنه اطلاق الخبر واردة الامر كقوله تعالى ) والوالدات  
يرضعن أولادهن ( أي ليرضع الوالدات اولادهن  
وقوله ) يتربصن بأنفسهن ( أي تتربص المتوفى عنها  
وقوله ) تزرعون سبع سنين دأبا ( والمعنى ازرعوا سبع سنين  
بدليل قوله ) فذروه في سنبله )  
وقوله ) تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون ( معناه آمنوا  
وجاهدوا ولذلك أجيب بالجزم في قوله ) يغفر لكم ذنوبكم  
ويدخلكم جنات ( ولا يصح ان يكون جوابا للاستفهام في قوله )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

هل أدلكم ( لان المغفرة وادخال الجنان لا يترتبان على مجرد الدلالة قاله ابو البقاء والشيخ عزالدين والتحقيق ما قاله النبالي انه جعل الدلالة على التجارة سببا لوجودها والتجارة هي الإيمان ولذلك فسرهما بقوله ) تؤمنون ( فعلم ان التجارة من جهة الدلالة هي الايمان فالدلالة سبب الايمان والايمان سبب الغفران وسبب السبب سبب وهذا النوع فيه تأكيد وهو من مجاز التشبيه شبه الطلب في تأكده بخبر الصادق الذي لا بد من وقوعه واذا شبهة بالخبر الماضي كان أكد ومنه عكسه كقوله تعالى ) فليمدد له الرحمن مدا ) والتقدير مده الرحمن مدا وقوله ) اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ( أي نحمل قال الكواشي والامر بمعنى الخبر ابلغ من الخبر لتضمنه اللزوم نحو ان زرتنا فلنكرمك يريدون تأكيد ايجاب الإكرام عليهم كذا قال الشيخ عز الدين مقصودة تأكيد الخبر لان الامر للإيجاب يشبه الخبر في ايجابه وجعل الفارسي منه قوله تعالى ) إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ( قال ) كن ( لفظه امر والمراد الخبر والتقدير يكون فيكون أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي فهو يكون قال ولهذا أجمع القراء على رفع فيكون ورفضوا فيه النصب الا ما روي عن ابن عامر وسوغ النصب لكونه بصيغة الامر قال ولا يجوز ان يكون معطوفا على ) نقول ( فيجيء النصب على الفعل المنصوب لان ذلك لا يطرد بدليل قوله ) إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ( اذ لا يستقيم هنا العطف المذكور لان قال ماض ) ويكون ( مضارعا فلا يحسن عطفه عليه لاختلافهما قلت وهذا الذي قاله الفارسي ضعيف مخالف لقواعد اهل السنة ومنه اطلاق الخبر واردة النهي كقوله ) لا تعبدون إلا الله ( ومعناه لاتعبدوا ) وقوله ) لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم ( أي لا

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

تسفكوا ولا تخرجوا  
وقوله ( وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ( أي ولا تنفقوا الثاني  
والعشرون إطلاق الأمر وإرادة التهديد والتلوين  
وغير ذلك من المعاني الستة عشر وما زيد عليها من انواع  
المجاز ولم يذكره هنا في اقسامه الثالث والعشرون لإضافة  
الفعل الى ما ليس بفاعل له في الحقيقة  
إما على التشبيه كقوله تعالى ( جدارا يريد أن ينقض ) فإنه  
شبه ميله للوقوع بشبه المرید له  
وإما لأنه وقع فيه ذلك الفعل كقوله تعالى ( الم غلبت الروم  
( فالغلبة واقعة بهم من غيرهم ثم قال ) وهم من بعد غلبهم  
سيغلبون ( فأضاف الغب اليهم وإنما كان كذلك لان الغلب وإن  
كان لغيرهم فهو متصل بهم لوقوعه بهم  
ومثله ( وأتى المال على حبه ( ويطعمون الطعام على حبه  
( فالحب في الظاهر مضاف الى الطعام والمال وهو في  
الحقيقة لصاحبهما  
ومثله ( ولمن خاف مقام ربه جنتان ( ) ذلك لمن خاف مقامي  
( أي مقامه بين يدي  
وإما لوقوعه فيه كقوله تعالى ( يوما يجعل الولدان شيبا )  
وإما لانه سببه كقوله تعالى ( فزادتهم إيمانا ( ) وذلكم ظنكم  
الذي ظننتم بربكم أرداكم ( ) ينزع عنهما لباسهما ( ) وأحلوا  
قومهم دار البوار ( ) كما تقدم في امثلة المجاز العقلي  
وقد يقال ان النزع والإحلال يعبر بهما عن فعل ما اوجبهما  
فالمجاز افرادي لا اسنادي  
وقوله تعالى ( يوما يجعل الولدان شيبا ( أي يجعل هو له فهو  
من مجاز الحذف الرابع والعشرون إطلاق الفعل والمراد  
مقارنته ومشارفته لا حقيقته  
كقوله تعالى ( فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن ( أي قاربن بلوغ  
الأجل أي انقضاء العدة لان الامساك لا يكون بعد انقضاء العدة  
فيكون بلوغ الأجل تمامه  
كقوله تعالى ( فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ( أي اتمن العدة  
واردن مراجعة الأزواج ولو كانت مقارنته لم يكن للولي حكم

## البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

في إزالة الرجعة لأنها بيد الزوج ولو كان الطلاق غير رجعي لم يكن للولي ايضا عليها حكم قبل تمام العدة ولا تسمى عاضلا حتى يمنعها تمام العدة من المراجعة ومثله قوله تعالى ( فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ) المعنى قارب وبه يندفع المسؤال المشهور فيها إن عند مجيء الاجل لا يتصور تقديم ولا تأخير وقوله تعالى ( كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ( أي قارب حضور الموت وقوله تعالى ) كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة ) أي حتى يشارفوا الرؤية ويقاربوها ويحتمل أن تحمل الرؤية على حقيقتها وذلك على ان يكون يروونه فلا يظنونه عذابا ) وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحب مركوم ( ولا يظنونه واقعا بهم وحينئذ فيكون أخذه لهم بغتة بعد رؤيته ومن دقيق هذا النوع قوله تعالى ) ونادى نوح ربه ( المراد قارب النداء لا أوقع النداء لدخول الفاء في فقال فإنه لو وقع النداء لسقطت وكان ما ذكر تفسيراً للنداء كقوله تعالى ) هنالك دعا زكريا ربه قال ( وقوله ) إذ نادى ربه نداء خفياً قال رب ( لما فسر النداء سقطت الفاء وذكر النجاة ان هذه الفاء تفسيريها لأنها عطفت مفسرا على مجمل كقوله توضأ فغسل وجهه وفأذته ذلك ان نوحا عليه السلام اراد ذلك فرد القصد اليه ولم يقع لا عن قصد ومنه قوله تعالى ) وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ( أي وليخش الذين ان شارفوا ان يتركوا وإنما اول الترك بمشارفة الترك لان الخطاب للأوصياء انما يتوجه اليهم قبل الترك لانهم بعد أموات وقريب منه إطلاق الفعل وإرادة إرادته كقوله تعالى ) فإذا قرأت القرآن فاستعذ ( أي اذا اردت وقوله ) إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا ( أي اذا اردتم لأن



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الإرادة سبب القيام  
( إذا قضى أمرا ( أي اراد  
( وإن حكمت فاحكم بينهم ( أي اردت الحكم  
ومثله ( وإذا حكمتم بين الناس )  
( إذا ناجيتم الرسول ( أي اردتم مناجاته  
( إذا طلقتم النساء ( وقوله ) من يهد الله فهو المهتدي ( قال  
ابن عباس من يرد الله هدايته ولقد أحسن رضي الله عنه لئلا  
يتحد الشرط والجزاء  
وقوله ) وإذا قلتم فاعدلوا ( أي اردتم القول  
( والذين إذا أنفقوا ( أي ارادوا الإنفاق  
وقوله تعالى ) وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا ( لان  
الإهلاك انما هو بعد مجئ البأس وانما خص هذين الوقتين اعني  
البيات والقيلوله لانها وقعت الغفلة والدعة فيكون نزول  
العذاب فيهما اشد وافضع  
وقوله تعالى ) ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها ( أي اردنا  
إهلاكها  
( فانتقمنا منهم فأغرقتناهم ( أي فأردنا الانتقام منهم وحكمته  
انا اذا اردنا امرا نقدر فيه ارادتنا وان كان خارقا للعادة  
وقال الزمخشري في قوله تعالى ) قالوا يا نوح قد جادلتنا ( أي  
اردت حدا لنا وشعرت فيه وكان الموجب لهذا التقدير خوف  
التكرار لان جادلت فاعلت وهو يعطي التكرار او ان المعنى لم  
ترد منا غير الجدال له لا النصيحة  
قلت وإنما عبروا عن إرادة الفعل بالفعل لأن الفعل يوجد  
بقدره الفاعل وإرادته وقصده إليه كما عبر بالفعل من القدرة  
على الفعل في قولهم الانسان لا يطير والأعمى  
لا يبصر أي لا يقدر على الطيران والابصار وانما حمل على ذلك  
دون الحمل على ظاهره للدلالة على جواز الصلاة بوضوء واحد  
والحمل على الظاهر يوجب أن من جلس يتوضأ ثم قام الى  
الصلاة يلزمه وضوء آخر فلا يزال مشغولا بالوضوء ولا يتفرغ  
للصلاة وفساده بين الخامس والعشرون إطلاق الامر بالشيء  
للتلبس به والمراد دوامه

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

كقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا آمنوا ) هكذا اجاب به  
الزمخشري وغيره واصل السؤال غير وارد لان الامر لايتعلق  
بالماضي ولا بالحال وانما يتعلق بالمستقبل المعدوم حالة توجه  
الخطاب فليس ذلك تحصيلا للحاصل بل تحصيلا للمعدوم فلا  
فرق بين ان يكون المخاطب حالة الخطاب على ذلك الفعل ام  
لا لان الذي هو عليه عند الخطاب مثل المامور به لانفس  
المامور به والحاصل ان الكل مامور بالانشاء فالمؤمن بشئ ما  
سبق له امثاله والكافر ينشيء ما لم يسبق منه امثاله السادس  
والعشرون إطلاق اسم البشرى على المبشر به  
كقوله تعالى ( بشراكم اليوم جنات ) قال ابو علي الفارسي  
التقدير بشراكم دخول جنات او خلود جنات لان البشرى مصدر  
والجنات ذات فلا يخبر بالذات عن المعنى  
ونحوه اطلاق اسم المقول على القول كقوله تعالى ( قل لو  
كان معه آلهة كما يقولون )  
ومنه ( سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ) أي عن مدلول  
قولهم ومنه ( فبرأه الله مما قالوا ) أي من مقولهم وهو الادرة  
وإطلاق الاسم على المسمى كقوله تعالى ( ما تعبدون من  
دونه إلا أسماء سميتموها ) أي مسميات  
( سبح اسم ربك الأعلى ) أي ربك  
وإطلاق اسم الكلمة على المتكلم كقوله تعالى ( لا تبديل  
لكلمات الله ) أي لمقتضى عذاب الله و ) إن الله يبشرك  
بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ( تجوز بالكلمة عن  
المسيح لكونه تكون بها من غير أب بدليل قوله ) وجيها في  
الدنيا والآخرة ومن المقربين ( ولا تتصف الكلمة بذلك  
وأما قوله تعالى ( اسمه المسيح عيسى ) فإن الضمير فيه  
عائد الى مدلول الكلمة والمراد بالاسم المسمى فالمعنى  
المسمى المبشر به المسيح بن مريم  
وإطلاق اسم اليمين على المحلوف به كقوله تعالى ( ولا  
تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ) أي لاتجعلوا يمين الله او قسم  
الله مانعا لما تحلفون عليه من البر والتقوى بين الناس  
إطلاق الهوى عن المهوي ومنه ( ونهى النفس عن الهوى ) أي

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

عما تهواه من المعاصي ولا يصح نهيا عن هواها وهو ميلها لانه  
تكليف لما لايطاق الا على حذف مضاف أي نهى النفس عن  
اتباع الهوى التجوز عن المجاز بالمجاز  
وهو ان تجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة  
بالنسبة الى مجاز آخر فتتجوز بالمجاز الاول عن الثاني لعلاقة  
بينهما

مثاله قوله تعالى ( ولكن لا تواعدوهن سرا ) فانه مجاز عن  
مجاز فان الوطاء تجوز عنه بالسر لانه لايقع غالبا الا في السر  
وتجوز بالسر عن العقد لانه مسبب عنه فالفصحح للمجاز  
الاول الملازمه والثاني السببية والمعنى لا تواعدوهن عقد نكاح

وكذلك قوله تعالى ( ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ) ان  
حمل على ظهره كان من مجاز المجاز لان قوله لا اله الا الله  
مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ والتعبير بلا اله الا  
الله عن الوجدانية من مجاز التعبير بالمقول عن المقول فيه  
والاول من مجاز السببية لان توحيد اللسان مسبب عن توحيد  
الجنان

قلت وهذا يسميه ابن السيد مجاز المراتب وجعل منه قوله  
تعالى ( يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا ) فإن المنزل عليهم  
ليس هو نفس اللباس بل الماء المنبت للزرع المتخذ منه  
الغزل المنسوج منه اللباس

النوع الرابع والاربعون في الكنايات والتعريض في القرآن

اعلم ان العرب تعد الكناية من البراعة والبلاغة وهي عندهم  
ابلى من التصريح قال الطرطوسي واكثر امثالهم الفصيحة  
على مجاري الكنايات وقد الف أبو عبيد ( 1 ) وغيره كتباً في  
الامثال ( 2 ) ومنها قولهم فلان عفيف الإزار طاهر الذيل ولم  
يحصن فرجه وفي الحديث كان اذا دخل العشر ايقظ اهله وشد  
المئزر فكنوا عن ترك الوطاء بشد المئزر وكنى عن الجماع

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

بالعسيلة ( 3 ) وعن النساء بالقوارير ( 4 ) لضعف قلوب  
النساء ويكونون عن الزوجه بربة البيت وعن الاعمى بالمحجوب

والمكفوف وعن الابرص بالوضاح وبالابرش وغير ذلك وهو كثير  
في القرآن قال الله تعالى ( ولا جناح عليكم فيما عرضتم به  
من خطبة النساء أو أكننتم ) 1

والكناية عن الشيء الدلالة عليه من غير تصريح باسمه  
وهي عند أهل البيان ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني  
فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة ولكن يجيء الى  
المعنى هو تاليه ورديفه في الوجود فيومي به اليه ويجعله دليلا  
عليه فيدل على المراد من طريق اولى مثاله قولهم طويل  
النجاد وكثير الرماد يعنون طويل القامة وكثير الضيافة فلم  
يذكروا المراد بلفظ الخاص به ولكن توصلوا اليه بذكر معنى  
آخر هو رديفه في الوجود لان القامة اذا طالت طال النجاد واذا  
كثر القرى كثر الرماد

وقد اختلف في انها حقيقة او مجاز فقال الطرطوسي ( 2 )  
في العمدة قد اختلف في وجود الكناية في القرآن وهو  
كالخلاف في المجاز فمن اجاز وجود المجاز فيه اجاز الكناية  
وهو قول الجمهور ومن انكر ذلك انكر هذا

وقال الشيخ عز الدين الظاهر انها ليست بمجاز لانك استعملت  
اللفظ فيما وضع له وارتدت به الدلالة على غيره ولم تخرجه  
عن ان يكون مستعملا فيما وضع له وهذا شبيه بدليل الخطاب  
في مثل قوله تعالى ( فلا تقل لهما أف ) 3 اسباب الكناية  
ولها اسباب احدها التنبيه على عظم القدرة كقوله تعالى ( هو  
الذي خلقكم من نفس واحدة ) ( 4 ) كناية عن آدم  
ثانيها فطنة المخاطب كقوله تعالى في قصة داود ( خصمان  
بغى بعضنا على بعض ) 1 فكنى داود يخصم على لسان ملكين  
تعريضا

وقوله في قصة النبي ﷺ ( زيد ) ما كان محمد أبا أحد من

رجالكم ( 2 أي زيد ) ولكن رسول الله ( 2 )

وقوله تعالى ( فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ) 3

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فانه كناية عن الاتعاندوا عند ظهور المعجزة فتمسكم هذه النار العظيمة وكذا قوله تعالى ( وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ( 4 وقوله تعالى ( إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ( 5 الآيات فان هذه تسلية للنبي ﷺ والمعنى لاتظن انك مقصر في انذارهم فانا نحن المانعون لهم من الايمان فقد جعلناهم حطبا للنار ليقوى التذاذ المؤمن بالنعيم كما لا تتبين لذة الصحيح الا عند رؤية المريض ثالثها ترك اللفظ الى ما هو اجمل منه كقوله تعالى ( إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة ( 6 فكنى بالمرأة عن النعجة كعادة العرب انها تكنى بها عن المرأة وقوله ( إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة ( 7 كنى بالتحيز عن الهزيمة وقوله تعالى ( إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم ( 1 كنى بنفي قبول التوبة عن الموت على الكفر لانه يرادفه رابعها أن يفحش ذكره في السمع فيكنى عنه بما لا ينبو عن الطبع قال تعالى ( وإذا مروا باللغو مروا كراما ( 2 أي كنوا عن لفظه ولم يوردوه على صيفته ومنه قوله تعالى في جواب قوم هود ( إنا لنراك في سفاهة ( 3 ) قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ( 4 فكنى عن تكذيبهم بأحسن ومنه قوله ( ولكن لا تواعدوهن سرا ( 5 فكنى عن الجماع بالسر وفيه لطيفة أخرى لأه يكون من الآدميين في السر غالبا ولا يسره ما عدا الآدميين الا الغراب فانه يسره ويحكى ان بعض الادباء اسر الى ابي علي الحاتمي كلاما فقال ليكن عندك اخفى من سفاد الغراب ومن الرءاء في كلام الالغ فقال نعم ياسيدنا ومن ليلة القدر وعلم الغيب ومن عادة القرآن العظيم الكناية عن الجماع باللمس

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

واللامسة والرفث والدخول والنكاح ونحوهن قال تعالى ( فالآن باشروهن ( 6 فكنى بالمباشرة عن الجماع لما فيه من التقاء البشريتين وقوله تعالى ) أو لامستم النساء ( 7 إذ لا يخلوا الجماع من الملامسة وقوله في الكناية عنهن ) هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ( 1 واللباس من الملابس وهي الاختلاط والجماع وكنى عنهن في موضع آخر بقوله ) نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ( 2 وقوله تعالى ) وراودته التي هو في بيتها ( 3 كناية عما تطلب المرأة من الرجل وقوله تعالى ) فلما تغشاها حملت حملا خفيفا ( 4 ومنه قوله تعالى في مريم وابنها ) كانا يأكلان الطعام ( 5 فكنى باكل الطعام عن البول والغائط لانهما منه مسببان اذ لا بد للاكل منهما لكن استفبح في المخاطب ذكر الغائط فكنى به عنه فان قيل فقد صرح به في قوله تعالى ) أو جاء أحد منكم من الغائط ( 5 قلنا لانه جاء على خطاب العرب وما يالفون والمراد تعريفهم الاحكام فكان لا بد من التصريح به على ان الغائط ايضا كناية عن النجو وانما هو في الاصل اسم للمكان المنخفض من الارض وكانوا اذا ارادوا قضاء حاجتهم ابعدوا عن العيون الى منخفض من الارض فسمى منه لذلك ولكنه كثر استعماله في كلامهم فصار بمنزلة التصريح وما ذكناه في قوله تعالى ) كانا يأكلان الطعام ( 6 هو المشهور وانكره الجاحظ وقال بل الكلام على ظاهره ويكفي في الدلالة على عدم الالهية نفس اكل الطعام لان الاله هو الذي لا يحتاج الى شيء ياكله ولانه كما يجوز ان يكون المعبود محدثا كذلك لا يجوز ان يكون طاعما قال الخفاجي وهذا صحيح ( 1 ) ويقال لهما الكناية عن الغائط في تشنيع وبشاعة على من اتخذها الهة فاما قوله تعالى ) وما أرسلنا قبلك من المرسلين

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ( 2 ) فهو على حقيقته

قال الوزير ابن هبيرة ( 3 ) وفي هذه الآية فضل العالم المتصدي للخلق على الزاهد المنقطع فان النبي كالطبيب والطبيب يكون عند المرضي فلو انقطع عنهم هلكوا ومنه قوله تعالى ( فجعلهم كعصف مأكول ) 4 كنى به عن مصيرهم الى العذرة فان الورق اذا اكل انتهى حاله الى ذلك وقوله تعالى ( وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ) 5 أي لفروجهم فكنى عنها بالجلود على ما ذكره المفسرون فإن قيل فقد قال الله تعالى ( والتي أحصنت فرجها ) 6 فصرح بالفرج قلنا خطأ من توهم هنا الفرغ الحقيقي وانما هو من لطيف الكنايات واحسنها وهي كناية عن فرج القميص أي لم يعلق ثوبها ريبة فهي طاهرة الاثواب وفروج القميص أربعة الكمان والاعلى والاسفل وليس المراد غير هذا فان القرآن انزه معنى

والطف اشارة واملح ( 1 ) عبارة من ان يريد ما ذهب اليه وهم الجاهل لاسيما والنفخ من روح القدس بامر القدوس فاضيف القدس الى القدوس ونزهت القانتة المطهرة عن الظن الكاذب والحدس ذكره صاحب التعريف والاعلام ( 2 ) ومنه وقوله تعالى ( الخبيثات للخبيثين ) 3 يريد الزناة وقوله تعالى ( ولا يأتين بيهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ) 4 فانه كناية عن الزنا وقيل اراد طرح الولد على زوجها من غير لان بطنها بين يديها ورجليها وقت الحمل وقوله تعالى ( يجعلون أصابعهم في آذانهم ) 5 وانما يوضع في الاذن السبابة فذكر الاصبع وهو الاسم العام ادبا لاشتقاقها من السبب الا تراهم كنوا عنها بالمسبحة والدعاء وانما يعبر بهما عنها لانها الفاظ مستحدثة قاله الزمخشري وقال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في شرح الامام ( 6 ) يمكن ان يقال ان ذكر الاصبع هنا جامع لامرين احدهما التنزه عن اللفظ المكروه والثاني حط منزلة الكفار عن التعبير

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

باللفظ المحمود والاعم يفيد المقصودين معا فاتي به وهو لفظ  
الاصبع وقد جاء في الحديث الامر بالتعبير بالاحسن مكان  
القبيح كما في حديث من سبقه الحدث في الصلاة فليأخذ بانفه  
ويخرج امر بذلك ارشادا الى ايها سبب احسن من الحدث  
وهو الرعاف وهو ادب حسن من الشرع في ستر العورة  
واخفاء القبيح وقد صح نهية عليه السلام  
ان يقال لشجر العنب ( 1 ) الكرم وقال انما الكرم الرجل  
المسلم كره الشارع تسميتها بالكرم لانها تعتصر منها ام  
الخبائث

وحديث كان يصيب من الراس وهو صائم قيل هو اشارة الى  
القبلة وليس لفظ القبلة مستهجننا  
وقوله اياكم وخصراء الدمن  
خامسها تحسين اللفظ كقوله تعالى ( بيض مكنون ) 2 فان  
العرب كانت عادتهم الكناية عن حرائر النساء بالبيض قال  
امرؤ القيس

وبيضة خدر لا يرام خباؤها

تمتعت من لهو بها غير معجل ( 3 ) 0

وقوله تعالى ٢ وثيابك فطهر 5 آ ومثله قول عنتره

فشككت بالرمح الطويل ثيابه

ليس الكريم على القنا بمحرم

( 6 )

سادسها قصد البلاغة كقوله تعالى ٢ أو من ينشأ في  
الحلية وهو في الخصام غير مبين 7 آ فانه سبحانه  
كنى عن النساء بأنهن ينشأن في الترفه والتزين  
والتشاغل

عن النظر في الامور ودقيق المعاني ولو اتى بلفظ النساء لم  
يشعر بذلك والمراد نفي ذلك اعني الانوثة عن الملائكة وكونهم  
بنات الله تعالى الله عن ذلك  
وقوله ( فما أصبرهم على النار ) 1 أي هم في التمثيل بمنزلة  
المتعجب منه بهذا التعجب



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

سابعها قصد المبالغة في التشنيع كقوله تعالى حكاية عن اليهود لعنهم الله ( وقالت اليهود يد الله مغلولة ( 3 لان جماعة كانوا متمولين فكذبوا النبي ﷺ فكف الله عنهم ما اعطاهم وهو سبب نزولها

واما قوله تعالى ( غلت أيديهم ( 2 فيحمل على المجاز على وجه الدعاء والمطابقة للفظ ولهذا قيل انهم ابخل خلق الله والحقيقة انهم تغل أيديهم في الدنيا بالاسار وفي الآخرة بالعذاب واغلال النار

وقوله ( بل يدها مبسوطتان ( 2 كناية عن كرمه وثنى اليد وان افردت في اول الآية ليكون ابلغ في السخاء والجلود ثامنها التنبيه على مصيره كقوله تعالى ( تبت يدا أبي لهب ( 4 أي جهنمي مصيره الى اللهب وكقوله ( حمالة الحطب ( 4 أي نمامة ومصيرها الى ان تكون حطبا لجهنم

تاسعها قصد الاختصار ومنه الكناية عن افعال متعددة بلفظ فعل كقوله تعالى ( لبئس ما كانوا يفعلون ( 1 ) ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به ( 2 ) فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ( 3 أي فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا

عاشرها ان يعمد الى جملة ورد معناها على خلاف الظاهر فياخذ الخلاصة منها من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة او المجاز فتعبر بها عن مقصودك وهذه الكناية استنبطها الزمخشري وخرج عليها قوله تعالى ( الرحمن على العرش استوى ( 4 ) فانه كناية عن الملك لان الاستواء على السرير لا يحصل الا مع الملك فجعلوه كناية عنه

وكقوله تعالى ( والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ( 5 الآية انه كناية عن عظمته وجلالته من غير ذهاب بالقبض واليمين الى جهتين حقيقة ومجاز

وقد اعترض الامام فخر الدين على ذلك بانها تفتح باب تاويلات الباطنية فلهم ان يقولوا المراد من قوله ( فاخلع نعليك ( 6 ) الاستغراق في الخدمة من غير الذهاب الى نعل وخلعه وكذا نظائره انتهى

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وهذا مردود لأن الكناية انما يصار اليها عند عدم إجراء اللفظ على ظاهره كما سبق من الامثله بخلاف خلع النعلين ونحوه تنبيهان

الاول في انه هل يشترط في الكناية قرينة كالمجاز هذا ينبني على الخلاف السابق انها مجاز ام لا وقال الزمخشري في قوله تعالى ) ولا ينظر إليهم ( 1 في سورة آل عمران انه مجاز ) ( 2 عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لاينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه قال ( 3 ) واصله فيمن يجوز عليه النظر ( 4 ) الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداء والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر انتهى

وهذا بناء منه على مذهبه الفاسد في نفي الرؤية وفيه تصريح بان الكناية مجاز وبه صرح في قوله تعالى ) ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء ( 5 ) وصرح الشيخ عبد القادر الجرجاني ( 6 ) في الدلائل بان الكناية لا بد لها من قرينة

الثاني قيل من عادة العرب أنها لا تكنى عن الشيء بغيره الا اذا كان يقبح ذكره وذكروا احتمالين في قوله ) وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض ( 1 )

احدهما انه كنى بالافضاء عن الاصابة والثاني انه كنى عن الخلوة ورجحوا الأول لان العرب انما تكنى عما يقبح ذكره في اللفظ ولا يقبح ذكر الخلوة وهذا حسن لكنه يصلح للترجيح

واما دعوى كون العرب لا تكنى الا عما يقبح ذكره فغلط فكنوا عن القلب بالثوب كما في قوله تعالى ) وثيابك فطهر ( 2 ) وغير ذلك مما سبق التعريض والتلويح

واما التعريض فقليل انه الدلالة على المعنى من طريق المفهوم وسمي تعويضا لان المعنى باعتباره يفهم من عرض اللفظ أي

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

من جانبه ويسمى التلويح لان المتكلم يلوح منه للسامع ما يريد ( كقوله تعالى ) بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ( 3 لان غرضه بقوله ) فاسألوهم ( على سبيل الاستهزاء واقامة الحجة عليهم بما عرض لهم به من عجز كبير الاصنام عن الفعل مستدلا على ذلك بعدم اجابتهم اذا سئلوا ولم يرد بقوله ) بل فعله كبيرهم هذا ( 3 نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم فدلالة هذا الكلام عجز كبير الاصنام عن الفعل بطريق الحقيقة ومن اقسامه ان يخاطب الشخص والمراد غيره سواء كان الخطاب مع نفسه او مع غيره كقوله تعالى ) لئن أشركت ليحبطن عملك ( 1 ) ولئن اتبعت أهواءهم ( 2 ) فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات ( 3 تعريضا بان قومه اشركوا واتبعوا أهواءهم وزلوا فيما مضى من الزمان لان الرسول لم يقع منه ذلك فابرز غير الحاصل في معرض الحاصل ادعاء وقوله ) فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات ( فان الخطاب للمؤمنين والتعريض لاهل الكتاب لان الزلل لهم لا للمؤمنين فاما الآية الاولى ففيها ثلاثة امور مخاطبة النبي ﷺ والمراد غيره واخراج المحال عليه في صورة المشكوك والمراد غيره واستعمال المستقبل بصيغة الماضي وامر رابع وهو ان الشرطية قد لا يراد بها الا مجرد الملازمة التي هي لازمة الشرط والجزاء مع العلم باستحالة الشرط او وجوبه او وقوعه وعلى هذا يحمل قول من لم ير من المفسرين حمل الخطاب على غيره اذ لا يلزم من فرض امر لا بد منه صحة وقوعه بل يكون في الممكن والواجب والمحال ومنه قوله تعالى ) قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ( 5 اذا جعلت شرطية لا نافية ومنه ) إن كنا فاعلين ( 6 ) ومنه قوله تعالى ) وما لي لا أعبد الذي فطرني ( 1 المراد ما لكم لا تعبدون بدليل قوله ) وإليه ترجعون ( 1 ولولا التعريض

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

لكان المناسب واليه ارجع وكذا قوله ( أتخذ من دونه آلهة ) 1  
والمراد ( أتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن  
عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقدون إني إذا لفي ضلال مبين ) 2  
ولذلك قيل ( أمنت بربكم فاسمعون ) 2 دون ربي و اتبعه  
فاسمعوه

ووجه حسنه ظاهر لانه يتضمن اعلام السامع على صورة لا  
تقتضي مواجهته بالخطاب المنكر كانك لم تعنه وهو اعلى في  
محاسن الاخلاق واقرب للقبول وادعى للتواضع والكلام ممن  
هو رب العالمين نزله بلغتهم وتعليماً للذين يعقلون  
قيل ومنه قوله تعالى ( قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل  
عما تعملون ) ( 03 ) فحصل المقصود في قالب التلطف وكان  
حق الحال من حيث الظاهر لولاه ان يقال لاتسألون عما عملنا  
ولا نسأل عما تجرمون

وكذا مثله ( وأنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ) 4  
حيث ردد الضلال بينهم وبين أنفسهم والمراد انا على هدى  
وانتم في ضلال وانما لم يصرح به لئلا تصير هنا نكته هو انه  
خولف في هذا الخطاب بين على وفي بدخول على على الحق  
وفي على الباطل لان صاحب الحق كانه على فرس جواد  
يركض به حيث اراد وصاحب الباطل كانه سنغمس في ظلام لا  
يدري اين يتوجه قال

السكاكي ويسمى هذا النوع الخطاب المنصف أي لانه يوجب  
ان ينصف المخاطب اذا رجع الى نفسه استدراجاً استدراج  
الخصم الى الاذعان والتسليم وهو شبيه بالجدل لانه تصرف  
في المغالطات الخطابية

ومنه قوله تعالى ( إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب ) 1  
المقصود التعريض بدم من ليست له هذه الخشية وان يعرف  
انه لفرط عناده كانه ليس له اذن تسمع ولا قلب يعقل وان  
الانذار له كلا انذار وانه قد انذر من له هذه الصفة وليست له  
وقوله ( إنما يتذكر أولوا الألباب ) 2 القصد التعريض وانهم  
لغلبه هواهم في حكم من ليس له عقل  
وقوله تعالى ( ذق إنك أنت العزيز الكريم ) 2 نزلت في ابي

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

جهل لانه قال ما بين أخشبيها أي جيلها يعني مكة اعز مني ولا  
أكرم وقيل بل حوطب بذلك استهزاء التوجيه  
وأما التوجيه وهو ما احتمل معنيين ويؤتى به عند فطنة  
المخاطب كقوله تعالى حكاية عن اخت موسى عليه السلام ( هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ) 4 فان  
الضمير في له يحتمل ان يكون لموسى وان يكون لفرعون  
قال ابن جريج وبهذا تخلصت اخت موسى من قولهم انك  
عرفته فقالت اردت ناصحون للملك واعترض عليه بان هذا في  
لغة العرب لا في كلامها المحكي  
وهذا مردود فان الحكاية مطابقة لما قالته وان كانت بلغة  
أخرى  
ونظيره جواب ابن الجوزي لمن قال له من كان افضل عند  
النبي ﷺ أبو بكر ام علي فقال من كانت ابنته تحته ( 1 )  
وجعل السكاكي من هذا القسم مشكلات القرآن

النوع الخامس والاربعون في اقسام معنى الكلام

زعم قوم ان معاني القرآن لا تنحصر ولم ( 1 ) يتعرضوا  
لحصرها وحكاية ابن السيد عن اكثر البصريين في زمانه  
وقيل قسمان ( 2 ) خبر وغير خبر  
وقيل عشرة نداء ومسالة وامر وتشفع وتعجب وقسم وشرط  
ووضع وشك واستفهام  
وقيل تسعة واسقطوا الاستفهام لدخوله في المسالة  
وقيل ثمانية واسقطوا التشفع لدخوله في المسالة  
وقيل سبعة واسقطوا الشك لانه في قسم الخبر  
وكان ابو الحسن الاخفش يرى انها ستة ايضا وهي عنده الخبر  
والاستخبار والامر والنهي والنداء والتمني  
وقيل خمسة الخبر والامر والتصريح والطلب والنداء وقيل غير  
ذلك ( 3 )  
الاول الخبر ( 1 ) والقصد به افادة المخاطب وقد يشرب مع  
ذلك معاني آخر

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

منها التعجب قال ابن ( 2 ) فارس وهو تفضيل الشيء على  
أضرابه بوصف ( 3 )  
وقال ابن الضائع استعظام صفة خرج بها المتعجب منه عن  
نظائره نحو ما احسن زيادا واحسن به استعظمت حسنة على  
حسن غيره  
وقال الزمخشري في تفسير سورة الصف ( 4 ) معنى التعجب  
تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من  
شيء خارج عن نظائره واشكاله  
وقال الرماني المطلوب في التعجب الابهام لان من شأن  
الناس ان يتعجبوا مما لا يعرف سببه وكلما ( 5 ) ( 5 ) استبهم  
السبب كان التعجب احسن قال واصل التعجب انما هو للمعنى  
الخفي سببه والصيغة الدالة عليه تسمى تعجبا يعني مجازا قال  
ومن اجل الابهام لم تعمل نعم الا في الجنس من اجل التفخيم  
ليقع التفسير على نحو التفخيم بالاضمار قبل الذكر  
ثم قد وضعوا للتعجب صيغا من لفظه وهي ما افعله وافعل به  
وصيغا  
من غير لفظه نحو كبر في نحو ( كبرت كلمة تخرج من  
أفواههم ( 1 ) كبر مقتا عند الله ( 2 ) كيف تكفرون بالله ( 3 )  
واحتج الثمانيني ( 4 ) على انه خبر بقوله تعالى ( أسمع بهم  
وأبصر ( 5 ) تقديره ما اسمعهم وابصرهم والله سبحانه لم  
يتعجب بهم ولكن دل المكلفين على ان هؤلاء قد نزلوا منزلة  
من يتعجب منه وهنا مسالتان  
الاولى قيل لا يتعجب من فعل الله فلا يقال ما أعظم الله لانه  
يثول الى شئ عظم الله كما في غيره من صيغ التعجب  
وصفات الله تعالى قديمة وقيل بجوازه باعتبار انه يحب  
تعظيم الله شيء من صفاته فهو يرجع لاعتقاد العباد عظمته  
وقدرته وقد قال الشاعر  
ما اقدر الله ان يدني على شحط  
من داره الحزن ممن داره صول

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

والاولون قالوا هذا اعرابي جاهل بصفات الله وقال بعض المحققين التعجب انما يقال لتعظيم الامر المتعجب منه ولا يخطر بالبال ان شيئاً صيره كذلك وخفي علينا فلا يمتنع حينئذ التعجب من فعل الله

والثانية هل يجوز اطلاق التعجب في حق الله تعالى ف قيل بالمنع لان التعجب استعظام ويصحه الجهل والله سبحانه منزه عن ذلك وبه جزم ابن عصفور ( 6 ) في المقرب قال فان ورد ما ظاهره ذلك صرف الى المخاطب كقوله ( فما أصبرهم على النار ) 1 أي ( 2 ) هؤلاء يجب ان يتعجب منهم ( 2 )

وقيل بالجواز لقوله ( فما أصبرهم على النار ) 1 ان قلنا ما تعجبه لا استفهامية وقوله ( بل عجت ( 3 ) في قراءة بعضهم بالضم

والمختار الاول وما وقع منه اول بالنظر الى المخاطب أي علمت اسباب ما يتعجب منه العباد فسمي العلم بالتعجب عجباً وأصل الخلاف في هذه المسألة يلتف على خلاف آخر وهو ان حقيقة التعجب هل يشترط فيه خفاء سببه فيتحيز فيه المتعجب منه اولاً

ولم يقع في القرآن صيغة التعجب الا قوله ( فما أصبرهم على النار ) وقوله ( قتل الإنسان ما أكفره ) 4 و ( يا أيها الإنسان ما غرك ) 5 في قراءة من زاد الهمزة

ثم قال المحققون التعجب مصروف الى المخاطب ولهذا تلتف الزمخشري فيعبر عنه بالتعجب ومجيء التعجب من الله كمجيء الدعاء منه والترجي وانما هذا بالنظر الى ماتفهمه العرب أي هؤلاء عندكم ممن يجب ان تقولوا لهم هذه وكذلك تفسير سيبويه

قوله تعالى ( لعله يتذكر أو يخشى ) 1 قال المعنى اذهباً على رجائكما وطمعكما ( 2 ) قال ابن الضائع ( 3 ) وهو حسن جدا قلت وذكر سيبويه ايضاً قوله تعالى ( ويل يومئذ للمكذبين ) ( 4 ) ويل للمطففين ( 5 ) فقال لا ينبغي ( 6 ) ان تقول انه ( 6 )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

دعاء ها هنا لان الكلام بذلك ( 7 ) واللفظ به ( 6 ) قبيح ولكن العباد انما كلموا ( 8 ) بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون فكانه والله اعلم قيل لهم ( ويل للمطففين ( و ) ويل يومئذ للمكذبين ( أي هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم لان هذا الكلام انما يقال لصاحب الشر والهلكة فقيل هؤلاء ممن دخل في الهلكة ووجب لهم هذا ( 9 ) انتهى

ومنها الامر كقوله تعالى ( والمطلقات يتربصن ( 10 ) والوالدات يرضعن ( 11 فان السياق يدل على ان الله تعالى أمر بذلك لانه خبر والا لزم الخلف في الخبر وسبق في المجاز

ومنها النهي كقوله تعالى ( لا يمسه إلا المطهرون ( 1 )  
ومنها الوعد كقوله ( سنريهم آياتنا في الآفاق ( 2 )  
ومنها الوعيد كقوله تعالى ( وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ( 3 )

ومنها الانكار والتبكيث نحو ( ذق إنك أنت العزيز الكريم ( 4 )  
ومنها الدعاء كقوله تعالى ( إياك نعبد وإياك نستعين ( 5 أي اعنا على عبادتك

وربما كان اللفظ خبرا والمعنى شرطا وجزاء كقوله ( إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون ( 6 فظاهره خبر والمعنى ( 7 ) انا ان نكشف عنكم العذاب تعودوا  
ومنه قوله ( الطلاق مرتان ( 8 من طلق امرأته مرتين فليمسكها بعدهما بمعروف او يسرحها باحسان  
ومنها التمني وكلمته الموضوعه له ليت وقد تستعمل ثلاثة احرف

احدها هل كقوله ( فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ( 9 حملت هل على افادة التمني لعدم التصديق بوجود شفيع في ذلك المقام فيتولد ( 10 ) التمني بمعونة قرينة الحال والثاني لو سواء كانت مع ود كقوله تعالى ( ودوا لو تدهن فيدهنون ( 1 بالنصب او لم تكن كقوله تعالى ( لو أن لي بكم قوة ( 2 وقوله ( لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم ( 3 ) لو أن لي كرة فأكون ( 4 )



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

والثالث لعل كقوله تعالى ( لعلني أبلغ الأسباب أسباب  
السموات فأطلع ( 5 في قراءة النص  
واختلف هل التمني خبر ومعناه النفي او ليس بخبر ولهذا لا  
يدخله التصديق والتكذيب قولان عن اهل العربية حكاهما ابن  
فارس في كتاب فقه العربية ( 6 )  
والزمخشري بنى كلامه على انه ليس بخبر واستشكل دخول  
التكذيب في جوابه وفي قوله تعالى ( يا ليتنا نرد ولا نكذب ( 7  
الى قوله ) وانهم لكاذبون ( 8 واجاب بنضمنه معنى العدة  
فدخله التكذيب ( 9 )  
وقال ابن الضائع التمني حقيقة لا يصح فيه الكذب وانما يرد  
الكذب في التمني الذي يترجح عند صاحبه وقوعه فهو اذن  
وارد على ذلك الاعتقاد الذي هو ظن وهو خبر صحيح  
قال وليس المعنى في قوله ) وانهم لكاذبون ( ان ما تمنوا  
ليس بواقع لانه ورد في معرض الذم لهم وليس في ذلك  
المعنى ذم بل التكذيب ورد على اخبارهم عن انفسهم انهم  
لايكذبون وانهم يؤمنون  
ومنها الترجي والفرق بينه وبين التمني ان الترجي لا يكون الا  
في الممكنات والتمني يدخل المستحيلات  
ومنها النداء وهو طلب اقبال المدعو على الداعي بحرف  
مخصوص وانما يصحب في الاكثر الامر والنهي كقوله ) يا أيها  
الناس اعبدوا ربكم ( 1 ) يا أيها النبي اتق الله ( 2 ) يا عباد  
فاتقون ( 3 ) ويا قوم استغفروا ربكم ( 4 ) يا أيها الذين آمنوا  
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ( 05 ) يا أيها الذين كفروا لا  
تعذبوا اليوم ( 6 )  
وربما تقدمت جملة الامر جملة النداء كقوله تعالى ( وتوبوا إلى  
الله جميعا أيها المؤمنون ( 7 )  
وإذا جاءت جملة الخبر بعد النداء ( 1 ) تتبعها جملة الامر كما  
في قوله تعالى ( يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ( 2 )  
وقد تجيء معه الجمل الاستفهامية والخبرية كقوله تعالى في  
الخبر ( يا عباد لا خوف عليكم ( 3 وفي الاستفهام ) يا أبت لم  
تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ( 4 ) ويا قوم ما لي أدعوكم إلى

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

النجاة ( يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ( 5 ) ) يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ( 7 )  
وهنا فائدتان أحدهما قال الزمخشري رحمه الله كل نداء في كتاب الله يعقبه فهم في الدين أما من ناحية الأوامر والنواهي التي عقدت بها سعادة الدارين وأما مواعظ وزواجر وقصص لهذا المعنى كل ذلك راجع إلى الدين الذي خلق الخلق لأجله وقامت السموات والأرض به فكان حق هذه أن تدرك بهذه الصيغة البليغة  
الثانية النداء إنما يكون للبعيد حقيقة أو حكما وفي قوله تعالى ( ونادينا من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ( 8 ) لطيفة فانه تعالى بين انه كما ناداه نجاه أيضا والنداء مخاطبة الأبعد والمناجاة مخاطبة الأقرب ولأجل هذه اللطيفة أخبر سبحانه عن مخاطبة آدم وحواء بقوله ( وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ( 9 )  
وفي موضع ( ويا آدم اسكن ( 1 ) ثم لما حكى عنهما ملابسة المخالفة قال في وصف خطابه لهما ( وناداهما ربهما ( 2 ) فاشعر هذا اللفظ بالبعد لأجل المخالفة كما اشعر اللفظ الأول بالقرب عند السلامة منها  
وقد يستعمل النداء في غير معناه مجازا في مواضع الأول الأجراء والتحذير وقد اجتمعا في قوله تعالى ( ناقة الله وسقياها ( 3 ) والأجراء أمر معناه الترغيب والتحريض ولهذا خصوا به المخاطب  
الثاني الاختصاص وهو كالنداء إلا انه لا حرف فيه الثالث التنبيه نحو ( يا ليتني مت قبل هذا ( 4 ) لان حرف النداء يختص بالاسماء  
وقال النحاس في قوله تعالى ( يا ويلتى ( 5 ) نداء مضاف والفائدة فيه ان معناه هذا وقت حضور الويل وقال الفارسي في قوله تعالى ( يا حسرة على العباد ( 6 ) معناه انه لو كانت الحسرة مما يصح نداءه لكان هذا وقتها  
وقد اختلف في ان النداء خبر ام لا قال ابو البقاء ( 7 ) في شرح الايضاح ذهب الجميع الى ان قولك يا زيد ليس بخبر

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

محتمل للتصديق والتكذيب انما هو بمنزلة الاشارة والتصويت  
واختلفوا في قولك ( 8 ) يافاسق فالاكثرون على انه ليس  
بخبر ايضا قال ابو علي الفارسي خبر لانه تضمن نسبه للفسق

ومنها الدعاء نحو ( تبت يدا أبي لهب ( 1 وقوله ) قاتلهم الله ( 2  
حصرت صدورهم ( 3 ) ويل للمطففين ( 4  
قال سيويه ( 5 ) هذا دعاء وانكره ابن الطراوة ( 6 )  
لاستحالة هنا وجوابه انه مصروف للخلق واعلامهم بانهم اهل  
لان يدعى عليهم كما في الرجاء وغيره مما سبق فائدة  
ذكر ( 7 ) الزمخشري ان الاستعطاف نحو تالله هل قام زيد  
قسم والصحيح انه ليس بقسم لكونه خيرا الاستخبار وهو  
الاستفهام

الثاني الاستخبار وهو طلب خبر ما ليس عندك وهو بمعنى  
الاستفهام أي طلب الفهم ومنهم من فرق بينهما بان الاستخبار  
ما سبق اولا ولم يفهم حق الفهم فاذا سالت عنه ثانيا كان  
استفهاما حكاه ابن فارس في فقه العربية ( 8 )  
ولكون الاستفهام طلب ما في الخارج او تحصيله في الذهن  
لزم الا يكون حقيقة

الا اذا صدر من شك مصدق بامكان الاعلام فان غير الشاك اذا  
استفهم يلزم تحصيل الحاصل واذا لم يصدق بامكان الاعلام  
انتفت فائدة الاستفهام

وفي الاستفهام فوائد الاولى قال بعض الائمة ما جاء على لفظ  
الاستفهام في القرآن فانما يقع في خطاب الله تعالى على  
معنى ان المخاطب عنده علم ذلك الاثبات او النفي حاصل  
فيستفهم عنه نفسه تخبره به اذ قد وضعه الله عندها فالاثبات  
كقوله تعالى ( ومن أصدق من الله حديثا ) 1 والنفي كقوله  
تعالى ( هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا  
مذكورا ) 2 ) فهل أنتم مسلمون ( 3 ) ومعنى ذلك انه قد حصل  
لكم العلم بذلك تجدونه عندكم اذا استفهتكم انفسكم عنه فان  
الرب تعالى لا يستفهم خلقه عن شيء وانما يستفهمهم

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ليقررهم ويذكرهم انهم قد علموا حق ذلك الشيء فهذا  
اسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن وهو في كلام البشر  
مختلف

الثانية الاستفهام اذا بني عليه امر قبل ذكر الجواب فهم ترتب  
ذلك الامر على جوابه أي جواب كان لان سبقه على الجواب  
يشعر بان ذلك حال من يذكر في الجواب لئلا يكون ايراده قبله  
عبثا فيفيد حينئذ تعميما نحو من جاءك فاكرمه بالنصب فانه لما  
قال قبل ذكر جواب الاستفهام اكرمه علم انه يكرم من يقول  
المجيب انه جاء أي جاء كان وكذا حكم من ذا جاءك اكرمه  
بالجزم

الثالثة قد يخرج الاستفهام عن حقيقته بان يقع ممن يعلم  
ويستغني عن طلب الافهام اقسام الاستفهام  
وهو قسمان بمعنى الخبر وبمعنى الانشاء الاستفهام بمعنى  
الخبر

الاول بمعنى الخبر وهو ضربان احدهما نفي والثاني اثبات  
فالوارد للنفي يسمى استفهام انكار والوارد للاثبات يسمى  
استفهام تقرير لانه يطلب بالاول انكار المخاطب وبالثاني  
اقراره به  
استفهام الانكار

فالاول المعنى فيه على ان ما بعد الاداة منفي ولذلك تصبحة  
الا كقوله تعالى ( فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ) 1  
وقوله تعالى ( وهل نجازي إلا الكفور ) 2 ويعطف عليه المنفي  
كقوله تعالى ( فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين )  
3 أي لا يهدي وهو كثير  
ومنه ( أفأنت تنقذ من في النار ) 4 أي لست تنقذ من في النار  
( أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ) 5  
( أغير الله أتبغي حكما ) 1  
وكقوله تعالى ( قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ) 2  
( فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ) 3 أي  
لأنؤمن

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقوله ( أم له البنات ولكم البنون ) 4 أي لا يكون هذا  
وقوله تعالى ( أنزل عليه الذكر من بيننا ) 5 أي ما انزل  
وقوله تعالى ( أشهدوا خلقهم ) 6 أي ما شهدوا ذلك  
وقوله تعالى ( أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ) 7 أي ليس  
ذلك اليك كما قال تعالى ( إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم  
الدعاء ) 8

وقوله تعالى ( أفعينا بالخلق الأول ) 9 أي لم نعي به وهنا  
أمران

أحدهما ان الإنكار قد يجيء لتعريف المخاطب ان ذلك المدعي  
ممتنع عليه وليس من قدرته كقوله تعالى ( أفأنت تسمع الصم  
أو تهدي العمي ) 10 لان اسماع الصم لا يدعيه احد بل المعنى  
ان اسماعهم لا يمكن لانهم بمنزلة الصم والعمي وانما قدم  
الاسم في الآية ولم يقل اتسمع الصم اشارة الى انكار موجه  
عن تقدير ظن منه عليه السلام انه يختص باسماع من به صمم  
وانه ادعى القدرة على ذلك وهذا ابلغ من انكار الفعل  
وفيه دخول الاستفهام على المضارع فاذا قلت اتفعل او انت  
تفعل احتمل وجهين

أحدهما انكار وجود الفعل كقوله تعالى ( أنلزمكموها وأنتم لها  
كارهون ) 1 والمعنى لسنا بمتابة من يقع منه هذا الالزام وان  
عبرنا بفعل ذلك جل الله تعالى عن ذلك بل المعنى انكار اصل  
الالزام

والثاني قولك لمن يركب الخطر اذهب في غير طريق انظر  
لنفسك واستبصر فاذا قدمت المفعول توجه الإنكار الى كونه  
بمتابة ان يوقع به مثل ذلك الفعل كقوله ( قل أغير الله أتخذ  
وليا ) ( 2 ) وقوله ( أغير الله تدعون ) 3 المعنى اغير الله  
بمتابة من يتخذ وليا

ومنه ( أبشرا منا واحدا نتبعه ) 4 لانهم بنوا كفرهم على انه  
ليس بمتابة من يتبع صيغة المستقبل اما ان يكون للحال نحو  
أفأنت تكره الناس حتى يكونوا ( 5 ) او للاستقبال نحو ( أهم  
يقسمون رحمة ربك ) 6

الثاني قد يصحب الإنكار التكذيب للتعريض بان المخاطب

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ادعاه وقصد تكذيبه كقوله تعالى ( أصطفى البنات على البنين  
( 7 ) ألكم الذكر وله الأنثى ( 8 ) أإله مع الله ( 9 )  
وسواء كان زعمهم له صريحا مثل ( أفسحر هذا أم أنتم لا  
تبصرون ( 1 او التزاما مثل ( أشهدوا خلقهم ( 2 فانهم لما  
جزموا بذلك جزم من يشاهد خلق الملائكة كانوا كمن زعم  
انه شهد خلقهم

وتسمية هذا استفهام انكار من انكر اذا جحد وهو اما بمعنى  
لم يكن كقوله تعالى ( أفأصفاكم ( 2 او بمعنى لا يكون نحو )  
أنلزمكموها ( 3

والحاصل ان الانكار قسمان ابطالي وحقيقي  
فالابطالي ان يكون ما بعدها غير واقع ومدعيه كاذب كما  
ذكرنا والحقيقي يكون ما بعدها واقع وان فاعله ملوم نحو )  
أتعبدون ما تنحتون ( 4 ) أغير الله تدعون ( 5 ) أنفكا آلهة )  
( 6 ) أتأتون الذكران ( 7 ) أتأخذونه بهتاننا ( 8 استفهام التقرير  
واما الثاني فهو استفهام التقرير والتقرير حملك المخاطب  
على الاقرار والاعتراف بامر قد استقر عنده قال ابو الفتح  
في الخاطريات ( 9 ) ولايستعمل ذلك بهل وقال في قوله  
جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط ( 1 )

وهل لا تقع تقريرا كما يقع غيرها مما هو للإستفهام  
وقال الكندي ( 2 ) ذهب كثير من العلماء في قوله  
تعالى ٣ هل يسمعونكم 3 آ الى ان هل تشارك  
الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ الا اني رايت ابا  
علي أبي ذلك وهو معذور فان ذلك من قبيل الانكار  
ونقل الشيخ ابو حيان عن سيبويه ان استفهام  
التقرير لا يكون بهل انما تستعمل فيه الهمزة ثم  
نقل عن بعضهم ان هل تاتي تقريرا في قوله تعالى  
هل في ذلك قسم لذي حجر 4 آ

والكلام مع التقرير موجب ولذلك يعطف عليه  
صريح الموجب ويعطف على صريح الموجب  
فالاول كقوله ٣ ألم يجدك يتيما فأوى ووجدك ضالا

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فهدى 5 آ وقوله ٦ ألم نشرح لك صدرك ووضعنا  
عك وزرك ٦ آ ألم يجعل كيدهم في تضليل 7 آ

والثاني كقوله ( أكذبتكم بآياتي ولم تحيطوا بها علما ( 1 على  
ماقرره الجرجاني في النظم حيث جعلها مثل قوله ( ووجدوا  
بها واستيقنتها أنفسهم ( 2  
ويجب ان يلي الاداة الشئ الذي تقرربها فتقول في تقرير  
الفعل اضربت زيدا والفاعل نحو انت ضربت او المفعول ازيدا  
ضربت كما يجب في الاستفهام الحقيقي  
وقوله تعالى ( أنت فعلت هذا بآلهتنا ( 3 يحتمل الاستفهام  
الحقيقي بان يكونوا لم يعلموا انه الفاعل والتقريب بان يكونوا  
علموا ولا يكون استفهاما عن الفعل ولا تقريرا له لانه لم يله  
ولانه اجاب بالفاعل بقوله ( بل فعله كبيرهم ( 4  
وجعل الزمخشري منه ( ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير  
5 )

وقيل اراد التقرير بما بعد النفي لا التقرير بالنفي والاولى ان  
يجعل على الانكار أي الم تعلم ايها المنكر للنسخ ( 6 ) وحقيقة  
استفهام التقرير انه استفهام انكار والانكار نفي وقد دخل على  
المنفي ونفي المنفي اثبات والذي يقرر عندك ان معنى التقرير  
الاثبات قول ابن السراج فاذا ادخلت على ليس الف الاستفهام  
كانت تقريرا ودخلها معنى الايجاب فلم يحسن معها احد  
لأن احدا انما يجوز مع حقيقة النفي لاتقول اليس احد في  
الدار لان المعنى يؤول الى قولك احد في الدار واحد لا  
تستعمل في الواجب

وأمثلته كثيرة كقوله تعالى ( ألسنت بربكم ( 1 أي أنا ربكم  
وقوله ( أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ( 2  
( أو ليس الذي خلق السماوات والأرض ( 3  
( أليس الله بكاف عبده ( 4  
( أليس الله بعزيز ذي انتقام ( 4  
( أليس في جهنم مثوى للكافرين ( 5

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

( أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ( 6 ) ومنه قوله ۞ اينقص الرطب اذا جف وقوله جرير الستم خير من ركب المطايا ( 7 )

واعلم ان في جعلهم الآية الاولى من هذا النوع اشكالا لانه لو خرج الكلام عن النفي لجاز ان يجاب بنعم وقد قيل انهم لو قالوا نعم كفروا ولما حسن دخول الباء في الخبر ولو لم تفد لفظة الهمزة استفهاما لما استحق الجواب اذ لا سؤال حينئذ والجواب يتوقف على مقدمه وهي أن الاستفهام اذا دخل على النفي يدخل باحد وجهين

اما ان يكون الاستفهام عن النفي هل وجد ام لا فيبقى النفي على ما كان عليه او للتقرير كقوله الم احسن اليك وقوله تعالى ( ألم نشرح لك صدرك ( 1 ) ألم يجدك يتيما ( 2 ) فان كان بالمعنى الاول لم يجز دخول نعم في جوابه اذا اردت ايجابه بل تدخل عليه بلى وان كان بالمعنى الثاني وهو التقرير فللكلام حينئذ لفظ ومعنى فلفظه نفي داخل عليه الاستفهام ومعناه الاثبات فبالنظر الى لفظه تجيبه بلى وبالنظر الى معناه وهو كونه اثباتا تجيبه بنعم وقد انكر عبد القاهر كون ( 3 ) الهمزة للايجاب لان الاستفهام يخالف الواجب وقال انها اذا دخلت علما او ليس يكون تقريرا وتحقيقا فالتقرير كقوله تعالى ( أنت قلت للناس ( 4 ) أنت فعلت هذا ( 5 ) واعلم ان هذا النوع ياتي على وجوه الاول مجرد الاثبات كما ذكرنا الثاني الاثبات مع الافتخار كقوله تعالى عن فرعون ( أليس لي ملك مصر ( 6 )



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الثالث الاثبات مع التوبيخ كقوله تعالى ( ألم تكن أرض الله واسعة ( 1 أي هي واسعة فهلا هاجرتم فيها الرابع مع العتاب كقوله تعالى ) ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ( 2 قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية ( 3 ) الا اربع سنين وما الطف ما عاتب الله به خير خلقه بقوله تعالى ) عفا الله عنك لم اذنت لهم ( 4 ولم يتأدب الزمخشري بأدب الله تعالى في هذه الآية الخامس التبكيت كقوله تعالى ) أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين ( 5 هو تبكيت للنصارى فيما ادعوه كذا جعل السكاكي وغيره هذه الآية من نوع التقرير ( 6 ) وفيه نظر لأن ذلك لم يقع منه

السادس التسوية ( 7 ) وهي الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها كقوله تعالى ) وسواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم ( 8 أي سواء عليهم الانذار وعدمه مجردة للتسوية مضمحلا عنها معنى الاستفهام ومعنى الاستواء فيه استواءهما في علم المستفهم لانه قد علم انه احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا يعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين

فان قيل الاستواء يعلم من لفظه سواء لا من الهمزة مع انه لو علم منه لزم التكرار قيل هذا الاستواء غير ذلك الاستواء المستفاد من لفظه سواء وحاصله انه كان الاستفهام عن مستويين فجرد عن الاستفهام وبقي الحديث عن المستويين ولا يكون ضرر في ادخال سواء عليه لتغايرهما لان المعنى ان المستويين في العلم يستويان في عدم الايمان وهذا اعنى حذف مقدر واستعماله فيما بقي كثير في كلام العرب كما في النداء فانه لتخصيص المنادى وطلب اقباله فيحذف قيد الطلب ويستعمل في مطلق الاختصاص نحو اللهم اغفر لنا ايها العصابة فإنه ينسلخ عن معنى الكلمة لان معناه مخصوص من بين سائر العصابات ومنه قوله تعالى ) سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ( 1

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

- وقوله تعالى ( سواء عليهم أاستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم )  
2  
( أوعظت أم لم تكن من الواعظين ) 3  
وتارة تكون التسوية مصرحا بها كما ذكرناه وتارة لا تكون  
كقوله تعالى ( وإن أدري أقرب أم بعيد ) 4  
السابع التعظيم كقوله تعالى ( من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه  
5 )  
الثامن التهويل نحو ( الحاقة ما الحاقة ) ( 1 )  
وقوله تعالى ( وما أدراك ما هيه ) 2  
وقوله ( ماذا يستعجل منه المجرمون ) 3 تفخيم للعذاب الذي  
يستعجلونه  
التاسع التسهيل والتخفيف كقوله تعالى ( وماذا عليهم لو آمنوا  
بالله ) 4  
العاشر التفجع نحو ( ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة  
إلا أحصاها ) 5  
الحادي عشر التكثر نحو ( وكم من قرية أهلكناها ) 6  
الثاني عشر الاسترشاد نحو ( أتجعل فيها من يفسد فيها ) 7  
والظاهر أنهم استفهموا مسترشدين وإنما فرق بين العبارتين  
ادبا وقيل هي هنا للتعجب الاستفهام بمعنى الانشاء  
القسم الثاني الاستفهام المراد به الانشاء وهو على ضرب  
الأول مجرد الطلب وهو الأمر كقوله تعالى ( أفلا تذكرون ) 1  
أي اذكروا  
وقوله ( وقل للذين أتوا الكتاب والأمين أسلمتم ) 2 أي  
أسلموا  
وقوله ( ألا تحبون أن يغفر الله لكم ) 3 أي احبوا  
وقوله ( وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله ) 4 أي قاتلوا  
وقوله تعالى ( أفلا يتدبرون القرآن ) 5 وقوله ( فهل أنتم  
منتهون ) 6 انتهوا ولهذا قال عمر رضي الله عنه انتهينا وجعل  
بعضهم منه قوله تعالى ( ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير  
( 7 )  
وقوله تعالى ( أتصبرون ) 8 وقال ابن عطية والزمخشري

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

المعنى اتصبرون ام لا تصبرون والجرجاني في النظم على  
حذف مضاف أي لنعلم اتصبرون  
الثاني النهي كقوله تعالى ( ما غرك بربك الكريم ) 9 أي  
لايغرك  
وقوله في سورة التوبة ) أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ( )  
10 بدليل قوله ( فلا تخشوا الناس ) 11  
الثالث التحذير كقوله ( ألم نهلك الأولين ) 12 أي قدرنا عليهم  
فنقدر عليكم  
الرابع التذكير كقوله تعالى ( قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف  
وأخيه ) 1 وجعل بعضهم منه ( ألم يجدك يتيما فأوى ) ( ألم  
نشرح لك صدرك ) 3  
الخامس التنبيه وهو من أقسام الأمر كقوله تعالى ( ألم تر إلى  
الذي حاج إبراهيم في ربه ) 4  
( ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ) 5  
( ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم ) 6 ( ألم تر كيف فعل  
ربك بأصحاب الفيل ) 07 ( والمعنى في كل ذلك انظر بفكرك  
في هذه الأمور وتنبيه  
وقوله تعالى ( ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح  
الأرض مخضرة ) 8 حكاة صاحب الكافي ( 9 ) عن الخليل  
ولذلك رفع الفعل ولم ينصبه  
وجعل منه بعضهم ( فأين تذهبون ) 10 للتنبيه على الضلال  
وقوله تعالى ( ومن يرغب عن ملة إبراهيم ) 11  
السادس الترغيب كقوله تعالى ( من ذا الذي يقرض الله قرضا  
حسنا ) 1 ( هل أدلكم على تجارة تنجيكم ) 2  
السابع التمني كقوله ( فهل لنا من شفعاء ) 3 ( أني يحيي هذه  
الله بعد موتها ) 4 قال العزيزي ( 5 ) في تفسيره أي كيف وما  
اعجب معاينة الاحياء  
الثامن الدعاء وهو كالنهي الا انه من الادنى الى الاعلى كقوله  
تعالى ( أتهلكنا بما فعل السفهاء ) ( 6 )  
وقوله ( أتجعل فيها من يفسد فيها ) 7 وهم لم يستفهموا لان  
الله قال ( إني جاعل في الأرض خليفة ) ( 7 )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقيل المعنى انك ستجعل وشبهة ابو عبيدة ( 8 ) بقوله الرجل  
لغلامه وهو يضربه الست الفاعل كذا  
وقيل بل هو تعجب وضعف 3 وقال النحاس الأولى ما قاله ابن  
مسعود وابن عباس رضي الله عنهما ولا مخالف لهما  
أن الله تعالى لما قال ( إني جاعل في الأرض خليفة ) 1 قالوا  
وما ذاك الخليفة يكون له ذرية يفسدون ويقتل بعضهم بعضا  
وقيل المعنى اتجعلهم فيها ام تجعلنا وقيل المعنى تجعلهم  
وحالنا هذه أم يتغير  
التاسع والعاشر العرض والتحضيض والفرق بينهما الاول طلب  
برفق والثاني بشق فالاول كقوله تعالى ( ألا تحبون أن يغفر  
الله لكم ) 2  
والثاني ( ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم ) 3  
ومن الثاني ( أن ات القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون )  
4 المعنى اتهم وأمرهم بالاتقاء  
الحادي عشر الاستبطاء كقوله ( متى هذا الوعد إن كنتم  
صادقين ) 5 بدليل ( ويستعجلونك بالعذاب ) 6 ومنه ما قال  
صاحب الايضاح ( 7 ) البياني ( حتى يقول الرسول والذين  
آمنوا معه متى نصر الله ) 8  
وقال الجرجاني في الآية تقديم وتأخير أي حتى يقول الرسول  
ألا ان  
نصر الله قريب والذين آمنوا متى نصر الله وهو حسن  
الثاني عشر الاياس ( فأين تذهبون ) 1  
الثالث عشر الإيناس نحو ( وما تلك بيمينك يا موسى ) 2  
وقال ابن فارس المراد به ( 3 ) الإفهام فان الله تعالى قد علم  
ان لها امرا قد خفي على موسى عليه السلام فاعلم من حالها  
مالم يعلم ( 04 )  
وقيل هو للتقرير فيعرف ما في يده حتى لا ينفر إذا انقلبت حية  
الرابع عشر التهكم والاستهزاء ( أصلاتك تأمرك ) 5 ( ألا  
تأكلون ما لكم لا تنطقون ) 6  
الخامس عشر التحقير كقوله تعالى ( وإذا رأوك إن يتخذونك

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

إلا هزوا هذا الذي بعث الله رسولا ( 7 ) ومنه ما حكى صاحب الكتاب من أنت زيدا على معنى من أنت تذكر زيدا السادس عشر التعجب نحو ) ما لي لا أرى الهدهد ( 1 ) كيف تكفرون بالله ( 2 ) ومنهم من جعله للتنبيه السابع عشر الاستبعاد كقوله ) أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ( 3 ) أي يستبعد ذلك منهم بعد ان جاءهم الرسول ثم تولوا الثامن عشر التوبيخ كقوله تعالى ) أفغير دين الله يبغون ( 4 ) لم تقولون ما لا تفعلون ( 5 ) أفأنتخذونه وذريته أولياء ( 6 ) ولا تدخل همزة التوبيخ الا على فعل قبيح أو ما يترتب عليه فعل قبيح

الفائدة الرابعة قد يجتمع الاستفهام الواحد للانكار والتقرير كقوله ) فأى الفريقين أحق بالأمن ( 7 ) أي ليس الكفار أمنين والذين آمنوا أحق بالأمن ولما كان أكثر مواقع التقرير دون الإنكار قال ) الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ( 7 ) وقد يحتملها كقوله ) أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ( 1 )

ويحتمل أنه استفهام تقرير وأنه طلب منهم ان يقرؤا بما عندهم تقرير ذلك ولهذا قال مجاهد التقدير لا فانهم لما استفهموا استفهام تقرير بما لا جواب له الا ان يقولوا لا جعلوا كأنهم قالوا وهو قول الفارسي والزمخشري

ويحتمل أن يكون استفهام إنكار بمعنى التوبيخ على محبتهم لاكل لحم أخيهم فيكون مية والمراد محبتهم له غيبته على سبيل المجاز وفكره متوه بمعنى الأمر أي اكرهوه

ويحتمل أن يكون استفهام إنكار بمعنى التكذيب أنهم لما كانت حالهم حال من يدعي محبة أكل لحم أخيه نسب ذلك اليهم وكذبوا فيه فيكون فكرهتموه

الخامسة إذا خرج الاستفهام عن حقيقته فإن اريد التقرير ونحوه لم يحتج الى معادل كما في قوله تعالى ) ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ( 2 ) فان معناه التقرير وقال ابن عطية ظاهره الاستفهام المحض والمعادل على قول

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

جماعة ام يريدون وقيل أم منقطعة فالمعادل عندهم محذوف  
أي ام علمتم وهذا كله على ان القصد مخاطبة النبي ﷺ  
مخاطبة امته وأما ان كان هو المخاطب وحده فالمعادل  
محذوف لاغير وكلا القولين مروى انتهى  
وما قاله غير ظاهر والاستفهام هنا للتقرير فيستغنى عن  
المعادل اما اذا كان على حقيقته فلا بد من تقدير المعادل  
كقوله تعالى ( أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ) 3  
أي كمن ينعم في الجنة  
وقوله تعالى ( أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ) 1 أي  
كمن هداه الله بدليل قوله تعالى ( فإن الله يضل من يشاء  
ويهدي من يشاء ) 1 التقدير ذهب نفسك عليهم حسرات  
بدليل ( فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ) 2  
وقد جاء في التنزيل موضع صرح فيه بهذا الخبر وحذف المبتدأ  
على العكس مما نحن فيه وهو قوله تعالى ( كمن هو خالد في  
النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ) 3 أي أكمن هو خالد  
في الجنة يسقى من هذه الانهار كمن هو خالد في النار على  
احد الواجه  
وجاء مصرحا بهما على الاصل في قوله تعالى ( أو من كان ميتا  
فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في  
الظلمات ) 4  
( أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله ) 5  
السادسة استفهام الانكار لا يكون إلا على ماض وخالف في  
ذلك صاحب ( 6 ) الأقصى القريب وقال قد يكون عن مستقبل  
كقوله تعالى ( أفحكم الجاهلية يبغون ) 7 وقوله تعالى ( أليس  
الله بعزیز ذي انتقام ) 8 قال انكر ان حكم الجاهلية مما يبغى  
لحقارته وانكر عليهم سلب العزة عن الله تعالى وهو منكر في  
الماضي والحال والاستقبال  
وهذا الذي قاله مخالف لاجماع البيانين ولادليل فيما ذكره بل  
الاستفهام في الآيتين عن ماض ودخله الاستقبال تغليباً لعدم  
اختصاص المنكر بزمان ولا يشهد له قوله

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

تعالى ) أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ( 1 لان الاستبدال وهو طلب البديل وقع ماضيا ولا ) أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ( 2 وإن كانت ان تخلص المضارع للاستقبال لانه كلام ملموح به جانب المعنى وقد ذكر ابن جنى في التنبيه ( 3 ) أن الإعراب قد يرد خلاف ما عليه المعنى التابعة هذه الانواع من خروج الاستفهام عن حقيقته في النفي هل تقول ان معنى الاستفهام فيه موجود وانضم اليه معنى آخر او تجرد عن الاستفهام بالكلية لاينبغي ان يطلق احد الامرين بل منه ما تجرد كما في التسوية ومنه ما يبقى ومنه ما يحتمل ويحتمل ويعرف ذلك بالتأمل وكذلك الأنواع المذكورة في الإثبات وهل المراد بالتقرير الحكم بثبوته فيكون خبرا محضا او ان المراد طلب اقرار المخاطب به مع كون السائل يعلم فهو استفهام تقرير المخاطب أي يطلب ان يكون مقرا به وفي كلام النحاة والبيانين كل من القولين وقد سبق الاشارة اليه الثامنة الحورف الموضوعه للاستفهام ثلاثة الهمزة وهل وام وأما غيرها مما يستفهم به كمن وما ومتى وأين وأنى وكيف وكم وأيان فأسماء استفهام استفهم بها نيابة عن الهمزة وهي تنقسم الى ما يختص بطلب التصديق باعتبار الواقع كهل وام المنقطعة وما يختص بطلب التصور كأم المتصلة وما لا يختص كالهمزة احكام اختصت بها همزة الاستفهام ولكون الهمزة ام الباب اختصت بأحكام لفظية ومعنوية فمنها كون الهمزة لا يتسفهم بها حتى يهجس في النفس اثبات ما يستفهم عنه بخلاف هل فانه لا ترجح عنده بنفي ولا إثبات حكاه الشيخ ابو حيان عن بعضهم ومنها اختصاصها باستفهام التقرير وقد سبق عن سيبويه وغيره ان التقرير لا يكون بهل والخلاف فيه وقال الشيخ أبو حيان إن طلب بالاستفهام تقرير أو توبيخ أو انكار أو تعجب كان بالهمزة دون هل إن اريد الجحد كان بهل ولا يكون بالهمزة ومنها أنها تستعمل لإنكار إثبات ما يقع بعدها كقولك أتضرب زيدا وهو أخوك قال تعالى ) أتقولون على الله ما لا تعلمون ( 1 ولا تقع هل هذا الموقع وأما قوله تعالى ) هل

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

جزاء الإحسان إلا الإحسان ( 2 فليس منه لان هذا نفي له من  
أصله والممنوع من انكار اثبات ما وقع بعدها قاله ابن الحاجب  
ومنها انها يقع الاسم منصوبا بعدها بتقدير ناصب او مرفوعا  
بتقدير رافع يفسره ما بعده كقولك ازيدا ضرب وازيد قام ولا  
تقول هل زيدا ضربت ولا هل زيد قام الا على ضعف  
وان شئت فقل ليس في ادوات الاستفهام ما إذا اجتمع بعده  
الاسم والفعل بليه الاسم في فصيح الكلام الا الهمزة فتقول  
ازيد قام ولا تقول هل زيد قام الا في ضرورة بل الفصح هل  
قام زيد

ومنها انها تقع مع ام المتصلة ولا تقع مع هل واما المنقطعة  
فتقع فيهما  
جميعا فاذا قلت ازيد عندك ام عمرو فهذا الموضع لا تقع فيه  
هل مالم تقصد الى المنقطعة ذكره ابن الحاجب  
ومنها انها تدخل على الشطر تقول إن اكرمتني اكرمتك وان  
تخرج اخرج معك ان تضرب اضرب ولا تقول هل إن تخرج  
اخرج معك

ومنها جواز حذفها كقوله تعالى ( وتلك نعمة تمنها علي ( 1  
وقوله تعالى ( هذا ربي ( 2 في احد الاقوال وقراءة ابن  
محيصن > سواء عليهم ءأنذرتهم < 3  
ومنها زعم ابن الطراوة انها لا تكون ابدا الا معادلة او في  
حكمها بخلاف غيرها فتقول اقام زيد ام قعد ويجوز الا يذكر  
المعادل لانه معلوم من ذكر الضد  
ورد عليه الصفار وقال لا فرق بينها وبين غيرها فإنك اذا قلت  
هل قام زيد فالمعنى هل قام ام لم يقم لان السائل انما يطلب  
اليقين وذلك مطرد في جميع ادوات الاستفهام قال وأما قوله  
انه عزيز في كلامهم لا يأتون لها بمعادل فخطأ بل هو اكثر من  
ان يحصر قال تعالى ( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ( 4 )  
أفأرأيت الذي تولى ( 5 ) أفأرأيتم اللات والعزى ( 6 ) أفأرأيت  
الذي كفر بآياتنا ( 7 ) وهو كثير جدا  
ومنها تقديمها على الواو وغيرها من حروف العطف فتقول  
افلما اكرمك او لم احسن اليك قال الله تعالى ( أفطمعون أن



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

يؤمنوا لكم ( 1 وقال تعالى ) أو كلما عاهدوا عهدا ( 1 وقال  
تعالى ) أثم إذا ما وقع آمنتم به ( 2 فتقدم الهمزة على حروف  
العطف الواو والفاء ثم وكان القاس تاخيرها عن العاطف  
فيقال فآلم أكرمك وآلم احسن اليك كما تقدم على سائر  
ادوات الاستفهام نحو قوله تعالى ) وكيف تكفرون وأنتم تتلى  
عليكم آيات الله وفيكم رسوله ( 3 وقوله تعالى ) أم هل  
تستوي الظلمات والنور ( 4 وقوله تعالى ) فأين تذهبون ( 5  
فلا يجوز ان يؤخر العاطف عن شيء من هذه الادوات لان  
ادوات الاستفهام جزء من جملة الاستفهام والعاطف لا يقدم  
عليه جزء من المعطوف وانما خولف هذا في الهمزة لانها اصل  
ادوات الاستفهام فارادوا تقديمها تنبيها على انها الاصل في  
الاستفهام لان الاستفهام له صدر الكلام  
والزمخشري اضطرب كلامه فتارة يجعل الهمزة في مثل هذا  
داخله على محذوف عطف عليه الجملة التي بعدها فيقدر  
بينهما فعلا محذوفا تعطف الفاء عليه ما بعدها وتارة يجعلها  
متقدمة على العاطف كما ذكرناه وهو الأولى  
وقد رد عليه في الاول بان ثم مواضع لا يمكن فيها تقدير فعل  
قبلها كقوله تعالى ) أو من ينشأ في الحلية ( 6 ) أفمن يعلم  
أنما أنزل إليك من ربك الحق ( 7 ) أفمن هو قائم ( 7  
وقال ابن خطيب زملكا ( 1 ) الاوجه ان يقدر محذوف بعد  
الهمزة قبل الفاء تكون الفاء عاطفة عليه ففي مثل قوله  
تعالى ) أفان مات ( 2 لو صرح به ل قيل اتؤمنون به مدة حياته  
فان مات ارتددتم فتخالفوا سنن اتباع الانبياء قبلكم في ثباتهم  
على ملك انبيائهم بعد موتهم وهذا مذهب الزمخشري فائدة  
زعم ابن سيده ( 3 ) في كلامه على اثبات الجمل ان كل فعل  
يستفهم عنه ولا يكون الا مستقبلا ورد عليه الاعلم ( 4 ) وقال  
هذا باطل ولم يمنع احد هل قام زيد امس وهل انت قائم امس  
وقد قال تعالى ) فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ( 5 فهذا كله  
ماض غير آت  
الشرط الثالث الشرط ويتعلق به قواعد ( 1 )  
القاعدة الاولى المجازاة انما تنعقد بين جملتين

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

اولاهما فعلية لتلائم الشرط مثل قوله تعالى ( يرد الله أن يهديه ( 1 ) كنت جئت بأية ( 2 ) استقر مكانه ( 3 ) نرينك بعض الذي نعدهم ( 4 ) يأتينكم مني هدى ( 5 ) وثانيهما قد تكون اسمية وقد تكون فعلية جازمة وغير جازمة او ظرفية او شرطية كما يقال ( فأولئك يدخلون الجنة ( 6 ) شرح الله صدره للإسلام ( 7 ) فات بأية ( 8 ) فسوف تراني ( 9 ) إلينا مرجعهم ( 10 ) فمن تبع هداي ( 11 3 فاذا جمع بينهما وبين الشرط اتحدتا جملة واحدة نحو قوله ( ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ( 12 ) وقوله سبحانه ) فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ( 13 ) وقوله ( إن كنت جئت بأية فات بها ( 14 ) ( وقوله ( فإن استقر مكانه فسوف تراني ( 15 ) وقوله ( وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ( 16 ) وقوله ( فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ( 17 فالاولى من جملة المجازاة تسمى شرطا والثانية تسمى جزاء 3 ويسمى المناطقة الأول مقدا والثاني تاليا فاذا انحل الرباط الواصل بين طرفي المجازاة عادة الكلام جملتين كما كان فان قيل فمن أي انواع الكلام تكون هذه الجملة المنتظمة من الجملتين قلنا قال صاحب المستوفى ( 1 ) العبرة في هذا بالتالي ان كان التالي قبل الانتظام جازما كان هذه الشرطية جازمة اعني خبرا محضا ولذلك جاز ان توصل بها الموصولات كما في قوله تعالى ( الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ) وإن لم يكن جازما لم تكن جازمه بل إن كان التالي أمرا فهي في عداد الامر كقوله تعالى ( إن كنت جئت بأية فات بها إن كنت من الصادقين ( 3 وان كانت رجاء فهي في عداد الرجاء كقوله تعالى ( فإن استقر مكانه فسوف تراني ( 4 أي فهي في عداد الرجاء كقوله تعالى ( فإن استقر مكانه فسوف تراني ( 4 أي فهذا التسويف بالنسبة الى المخاطب فان جعلت سوف بمعنى امكن كان الكلام خبرا صرفا فاما الفاء التي تلحق التالي معقبة فلا تحتاج اليها حيث

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

لا يمكن ان يرتبط التالي بذاته ارتباطا وذلك ان كان افتتح بغير الفعل كقوله ( فأينما تولوا فثم وجه الله ( 5 وقوله سبحانه ) من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ( 6 لان الاسم لا يدل على الزمان فيجازي به

وكذلك الحرف ان كان مفتتحا بالامر كقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ( 7 لان الامر لايناسب معناه الشرط فان كان مفتحا بفعل ماض او مستقبل ارتبط بذاته نحو قولك ان جئتني اكرمتك ونحو قوله تعالى ( إن تنصروا الله ينصركم ( 8 وكذا قوله ( وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها ( 9 لان

هذه كالجاء من الفعل وتخطاها العامل وليست ك ان في قوله تعالى ( وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا ( 1 فان قيل فما الوجه في قوله تعالى ( إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ( 2 وقوله ( ومن عاد فينتقم الله منه ( 3 قلنا الاظهر ان يكون كل واحد منهما محمولا على الاسم كما ان التقدير فانتما قد صغت قلوبكما وهو ينتقم الله منه بذلك على هذا ان صغت لوجعل نفسه الجزاء للزم أن يكتسب من الشرط معنى الاستقبال وهذا غير مسوغ هنا ولو جاز لجاز ان تقول انما أن تتوبا الى الله صغت او فصغت قلوبكما لكن المعنى ان تتوبا فبعد صغو من قلوبكما ليتصور فيه معنى الاستقبال مع بقاء دلالة الفعل على الممكن وان ينتقم لو جعل وحده جزاء لم يدل على تكرار الفعل كما هو الان والله اعلم بما اراد

الثانية اصل الشرط والجزاء ان يتوقف الثاني على الاول بمعنى ان الشرط انما يستحق جوابه بوقوعه هو في نفسه كقولك ان زرتني احسنت اليك فالاحسان انما استحق بالزيارة وقولك ان شكرتني زرتك فالزيارة انما استحق بالشكر هذا هو القاعدة وقد اورد على هذا آيات كريمات ومنها قوله تعالى ( إن تعذبهم فإنهم عبادك ( 4 وهم عبادة عذبهم أو رحمهم

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقوله ( وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ( 1 وهو العزيز الحكيم غفر لهم أو لم يغفر لهم  
وقوله ( إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ( 2 وصغوا  
القلوب هنا لأمر قد وقع فليس بمتوقف على ثبوته  
والجواب ان هذه في الحقيقة ليست اجوبة وانما جاءت عن  
الاجوبة المحذوفة لكونها اسبابا لها  
فقوله ( فإنهم عبادك ( 1 الجواب في الحقيقة فتحكم فيمن  
يحق لك التحكم فيه وذكر العبودية التي هي سبب القدرة  
وقوله ( وإن تغفر ( 1 فالجواب فانت متفضل عليهم بالا  
تجازيهم بذنوبهم فكمالك غي مفتقر الى شيء فانك انت  
العزيز الحكيم

وقال صاحب المستوفى اعلم ان المجازاة لا يجب فيها ان  
يكون الجزاء موقوفا على الشرط ابدا ولا ان يكون الشرط  
موقوفا على الجزاء ابدا بحيث يمكن وجوده ولا ان تكون نسبة  
الشرط دائما الى الجزاء نسبة السبب الى المسبب بل  
الواجب فيها ان يكون الشرط بحيث اذا فرض حاصله لزم مع  
حصوله حصول الجزاء سواء كان الجزاء قد يقع لامن جهة  
وقوع الشرط كقول الطبيب من استحم بالماء البارد احتقنت  
الحرارة باطن حسده لان احتقان الحرارة قد يكون لا عن ذلك  
او لم يكن كذلك كقولك ان كانت الشمس طالعة كان النهار  
موجودا

وسواء كان الشرط ممكنا في نفسه كالامثلة السابقة او  
مستحيلا كما في قوله تعالى

( قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ( 1  
وسواء كان الشرط سببا في الجزاء ووصله اليه كقوله تعالى ( وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ( 2 أو كان الامر بالعكس  
كقوله ( ما أصابك من حسنة فمن الله ( 3 او كان لا هذا ولا  
ذاك فلا يقع الا مجرد الدلالة على اقتران احدهما بالآخر كقوله  
تعالى ( وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا ( 4 اذ لا يجوز  
أن تكون الدعوة سببا للضلال ومفضية اليه ولا ان يكون الضلال  
مفضيا الى الدعوة

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقد يمكن ان يحمل على هذا قوله تعالى ( إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ( 5 وعلى هذا ما يكون من باب قوله تعالى ) إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ( 6 فان التأويل ان يمسسكم قرح فمع اعتبار قرح قد مسهم قبل والله اعلم بمراده ( 3 )

الثالثة انه لايتعلق إلا بمستقبل فان كان ماضي اللفظ كان مستقبل المعنى كقولك ان مت على الاسلام دخلت الجنة ثم للنجاة فيه تقديران

احدهما ان الفعل يغير لفظا لا معنى فكان الاصل ان تمت مسلما تدخل الجنة فغير لفظ المضارع الى الماضي تنزيلا له منزلة المحقق

والثاني انه تغير معنى وان حرف الشرط لما دخل عليه قلب معناه الى الاستقبال وبقي لفظه على حاله والاول اسهل لان تغيير اللفظ اسهل من تغيير المعنى

وذهب المبرد الى ان فعل الشطر اذا كان لفظ كان بقي على حاله من المضي لان كان جردت عنده للدلالة على الزمن الماضي فلم تغيرها ادوات الشرط وقال ان كان مخالفة في هذا الحكم لسائر الافعال وجعل منه قوله تعالى ( إن كنت قلته ( 1 ) وإن كان قميصه ( 2 والجمهور على المنع وتاولوا ذلك ثم اختلفوا

فقال ابن عصفور والشلوبين وغيرهما ان حرف الشرط دخل على فعل مستقبل محذوف أي ان اكن كنت قلته أي ان اكن فيما يستقبل موصوفا باني كنت قلته فقد علمته ففعل الشرط محذوف مع هذا وليست كان المذكورة بعدها هي فعل الشرط

قال ابن الضائع وهذا تكلف لايجتاج اليه بل ( كنت ( بعد ) إن ( مقلوبة المعنى الى الاستقبال ومعنى ) إن كنت ( ان اكن فهذه التي بعدها هي التي يراد بها الاستقبال لا اخرى محذوفة وابطلوا مذهب الميرد بان كان بعد اداة الشرط في غير هذا الموضوع قد جاءت مرادا بها الاستقبال كقوله تعالى ) وإن كنتم جنبا فاطهروا ( 3

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقد نبه في التسهيل ( 4 ) في باب الجوازم على ان فعل الشرط لا يكون الا مستقبلا المعنى واختار في كان مذهب الجمهور اذ قال ولا يكون الشرط غير مستقبلا المعنى بلفظ كان او غيرها الا مؤولا واستدرك عليه لو ولما الشرطيتين فان الفعل بعدهما لا يكون الا ماضيا فتعين استثنائه من قوله لا يكون الا مستقبلا المعنى واما قوله تعالى ( انا احللنا لك أزواجك ( 1 إلى ) إن وهبت ( 1 فوق ) فيها احللنا المنطوق به او المقدر على القولين جواب الشرط مع كون الاحلال قديما فهو ماض وجوابه ان المراد ان وهبت فقد حلت فجواب الشرط حقيقة الحل المفهوم من الاحلال لا الاحلال نفسه وهذا كما ان الظرف من قولك قم غدا ليس هو لفعل الامر بل للقيام المفهوم منه وقال البيانون يجرى فعل الشرط ماضي اللفظ لاسباب منها إيهام جعل غير الحاصل كالحاصل كقوله تعالى ( وإذا رأيت ثم رأيت نعيما ( 2 ومنها اظهار الرغبة من المتكلم في وقوعه كقولهم ان ظفرت بحسن العاقبة فذاك وعليه قوله تعالى ( إن أردن تحصنا ( 3 أي امتناعا من الزنا جيء بلفظ الماضي ولم يقل يردن اظهارا لتوفير رضا الله ورغبة في اردادتهن التحصين ومنها التعريض بان يخاطب واحدا ومراده غيره كقوله تعالى ( لئن أشركت ليحبطن عملك ( 4 ) ( 4 )

الرابعة جواب الشرط اصله الفعل المستقبلا وقد يقع ماضيا لا على انه جواب في الحقيقة نحو ان اكرمتك فقد اكرمتني اكتفاء بالموجود عن المعدوم ومثله قوله تعالى ( إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ( 1 ) ( 1 ) ومس القرحة قد وقع بهم والمعنى ان يؤلمكم ما نزل بكم فيؤلمهم ما وقع فالمقصود ذكر الالم الواقع لجميعهم فوق الشرط والجزاء على الالم واما قوله تعالى ( إن كنت قلته فقد علمته ( 2 فعلى وقوع الماضي موقع المستقبل فيهما دليلا قوله تعالى ( ما يكون لي

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

أن أقول ما ليس لي بحق ( 2 أي 6 ) إن كنت قلتة ( 2 تكن قد علمته وهو عدول الى الجواب الى ما هو ابداع منه كما سبق واما قوله تعالى ) وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ( 3 فالمعنى والله اعلم ما انت بمصدق لنا ولو ظهرت لك براءتنا بتفضيلك اياه علينا وقد اتوه بدلائل كاذبة ولم يصدقهم وقرعوه بقولهم ) إنك لفي ضلالك القديم ( 4 واجماعهم على إرادة قتله ثم رميهم له في الجب اكبر من قولهم ) ولو كنا صادقين ( 3 عندك ( 5 )

الخامسة ادوات الشرط حروف وهي ان واسماء مضمينه معناها ثم منها ما ليس بظرف كمن وما واي ومهما واسماء هي ظروف اين واينما ومتى وحيثما واذا ما واقواها دلالة على الشطر دلالة ان لبسطها ولهذا كانت ام الباب

وما سواها فمركب من معنى ان وزيادة معه فمن معناه كل في حكم ان وما معناه كل شيء ان واينما وحيثما يدلان على المكان وعلى ان واذا ما ومتى يدلان على الشرط والزمان وقد تدخل ما على ان وهي ابلغ في الشرط من ان ولذلك تتلقى بالنون المبني عليها المضارع نحو ) وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ ( 1 وقوله تعالى ) إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ( 2 )

ومما ضمن معنى الشرط اذا وهي إن وهي أن ويفترقان في ان ان تستعمل في المحتمل المشكوك فيه ولهذا يقبح ان احمر البسر كان كذا وان انتصف النهار آتت وتكون اذا للجزم فوقه اما تحقيقا نحو اذا أطلعت الشمس كان كذا او اعتبارا كنا سنذكره

قال ابن الضائع ولذلك إذا قيل اذا احمر البسر فانت طالق وقع الطلاق في الحال عند مالك لانه شيء لا بد منه وانما يتوقف على السبب الذي قد يكون وقد لا يكون وهذا هو الاصل فيهما وقد تستعمل ان في مقام الجزم لاسباب منها ان تأتي على طريقة وضع الشرطي المتصل الذي يوضع شرطه تقديرا لتبيين

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

مشروطة تحقيقا كقوله تعالى ( قل إن كان للرحمن ولد ( 1 )  
وقوله تعالى ) لو كان فيهما آلهة إلا الله ( 2 ) وقوله تعالى ( قل  
لو كان معه آلهة ( 3 )

ومنها ان تاتي على طريق تبين الحال على وجه يانس به  
المخاطب واظهارا للتناصف في الكلام كقوله تعالى ( قل إن  
ضلت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فيما يوحى إلي ربي  
( 4 ) ) ومنها تصوير ان المقام لا يصلح الا بمجرد فرض  
الشرط كفرض الشيء المستحيل كقوله تعالى ( ولو سمعوا  
ما استجابوا لكم ( 5 ) والضمير للاصنام ويحتمل منه ما سبق  
فيه قوله تعالى ) إن كان للرحمن ولد ( 1 )

ومنها لقصد التوبيخ والتجهيل في ارتكاب مدلول الشرط وانه  
واجب الانتفاء حقيق الا يكون كقوله تعالى ( أفنضرب عنكم  
الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين ( 6 ) فيمن يكسر ان  
فاستعملت ان في مقام الجزم بكونهم مسرفين لتصور ان  
الاسراف ينبغي ان يكون منتفيا فاجراه لذلك مجرى المحتمل  
المشكوك

ومنها تنبيه المخاطب وتهيجه كقوله تعالى ( كلوا من طيبات  
ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ( 7 ) والمعنى  
عبادتكم لله تستلزم شكركم له فان كنتم ملتزمين عبادته  
فكلوا من رزقه واشكروه وهذا كثيرا ما يورد في الحجاج  
والالزام تقول ان كان لقاء الله حقا فاستعد له  
وكذا قوله تعالى ) إن كنتم بآياته مؤمنين ( 8 )

ومنها التغليب كقوله تعالى ( إن كنتم في ريب من البعث ( 1 )  
وقوله تعالى ) وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ( 2 )  
فاستعمل ان مع تحقق الارتباب منهم لان الكل لم يكونوا  
مرتابين فغلب غير المرتابين منهم على المرتابين لان صدور  
الارتباب من غير الارتباب مشكوك في كونه فلذلك استعمل إن  
على حد قوله ) إن عدنا في ملتكم ( 3 )

واعلم ان ان لاجل انها لاتستعمل الا في المعاني المحتملة كان  
جوابها معلقا على ما يحتمل ان يكون وألا يكون فيختار فيه ان  
يكون بلفظ المضارع المحتمل للوقوع وعدمه ليطابق اللفظ



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

والمعنى فان عدل عن المضارع الى الماضي لم يعدل الا لنكتة كقوله تعالى ( إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ) 4 فاتى الجواب مضارعا وهو يكونوا وما عطف عليه وهو يبسطوا مضارعا ايضا وانه قد عطف عليه ودوا بلفظ الماضي وكان قياسه المضارع لان المعطوف على الجواب جواب ولكنه لما لم يحتمل واداتهم لكفرهم من الشك فيها ما يحتمله انهم اذا ثقفوهم صاروا لهم اعداء وبسطوا ايديهم اليهم بالقتل والسنتهم بالشتم اتى فيه يلفظ الماضي لان واداتهم في ذلك مقطوع بها وكونهم اعداء وباسطي الايدي والالسن بالسوء مشكوك لاحتمال ان يعرض ما يصدهم عنه فلم يتحقق وقوعه وأما اذا فلما كانت في المعاني المحققة غلب لفظ الماضي معها لكونه ادل على الوقوع باعتبار لفظه في المضارع قال تعالى ( فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ) 1 بلفظ الماضي مع اذا في جواب الحسنة حيث اريد مطلق الحسنة لا نوع منها ولهذا عرفت تعريف العهد ولم تنكر كما نكر المراد به نوع منها في قوله تعالى ( وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ) 2 وكما نكر الفعل حيث اريد به نوع في قوله تعالى ( ولئن أصابكم فضل من الله ) 3 ولفظ المضارع مع إن في جانب السيئة وتنكيرها بقصد النوع وقال تعالى ( وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ) 4 لفظ الماضي مع اذا والمضارع مع إن الا انه نكرت الرحمة ليطابق معنى الاذاقه بقصد نوع منها والسيئة بقصد النوع ايضا ومن ذلك قوله تعالى ( وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ) 5 اتى باذا لما كان مس الضر لهم في البحر محققا بخلاف قوله تعالى ( لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤوس قنوط ) 6 فانه لم يقيد مس الشرها هنا بل اطلقه وكذلك قوله تعالى ( وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

- بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوسا ( 7 فان الياس انما حصل عند تحقق مس الضر له فكان الاتيان باذا ادل على المقصود من ان بخلاف قوله تعالى ) وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ( 8 فانه لقلة صبره وضعف احتماله في موقع الشر أعرض والحال في الدعاء فاذا تحقق وقوعه كان يؤوسا واما قوله ) إن امرؤ هلك ( 9 مع ان الهلاك محقق لكن جهل وقته فلذلك جيء بان ومثله قوله تعالى ) أفان مات أو قتل ( 1 فاتي بان المقتضية للشك والموت أمر محقق ولكن وقته معلوم فاورد مورد المشكوك فيه المتردد بين الموت والقتل واما قوله تعالى ) لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ( 2 مع ان مشيئة الله محققة فجاء على تعليم الناس كيف يقولون وهم يقولون في كل شيء على جهة الاتباع لقوله تعالى ) ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ( 3 فيقول الرجل في كل شيء ان شاء الله على مخبر به مقطوعا أو غير مقطوع وذلك سنة متبعة ومثله قوله ﷺ وانا ان شاء الله بكم لاحقون ويحتمل ان تكون للابهام في وقت اللحوق متى يكون تنبيه سكت البيانين عما عدا اذا وان والحق صاحب البسيط ( 4 ) وابن الحاجب متى بان قال لاتقول متى طلعت الشمس مما علم انه كائن بل بقول متى تخرج اخرج وقال الزمخشري في الفصل بين متى واذا ان متى للوقت المهم وإذا للمعين لأنها ظرفا زمان ولابهام متى جزم بها دون اذا ( 6 )
- السادسة قد يعلق الشرط بفعل محال يستلزمه محال آخر وتصديق الشرطية دون مفردتها اما صدقها فلاستلزام المحال واما كذب مفردتها فلاستحالتها
- وعليه قوله تعالى ) قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ( 1
- وقوله تعالى ) لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ( 2
- وقوله تعالى ) قل لو كان معه آلهة كما يقولون ( 3 الآية

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وفائدة الربط بالشرط في مثل هذا امران احدهما بيان  
استلزام احدى القضيتين للأخرى والثاني ان اللازم منتف  
فالملزوم كذلك  
وقد تبين بهذا ان الشرط يعلق به المحقق الثبوت والممتنع  
الثبوت والممكن الثبوت  
( 7 )

السابعة الاستفهام اذا دخل على الشرط كقوله تعالى ( أفإن  
مات أو قتل انقلبتم ( 4 وقوله تعالى ) أفإن مات فهم الخالدون  
( 5 ونظائره فالهمزة في موضعها ودخولها على اداة الشرط  
والفعل الثاني الذي هو جزاء الشرط ليس جزاء للشرط وانما  
هو المستفهم عنه والهمزة داخله عليه تقديرا فينوي به التقديم  
وحيث فلا يكون جوابا بل الجواب محذوف والتقدير عنده  
أنقلبتم على اعقابكم ان مات محمد لان الغرض انكار انقلابهم  
على اعقابهم بعد موته

ويقول يونس قال كثير من النحويين انهم يقولون الف  
الاستفهام دخلت في غير موضعها لان الغرض انما هو انقلبون  
ان مات محمد  
وقال ابو البقاء قال يونس الهمزة في مثل هذا احقها ان تدخل  
على جواب

الشرط تقديره انقلبون على اعقابكم ( 1 ) ان مات محمد  
لان الغرض التنبيه او التوبيخ على هذا الفعل المشروط  
ومذهب سيبويه الحق لوجهين احدهما انك لو قدمت الجواب  
لم يكن للفاء وجه اذ لا يصح ان تقول اتزورني فان زرتك ومنه  
قوله ) أفإن مات فهم الخالدون ( 2 والثاني ان الهمزة لها صدر  
الكلام وان لها صدر الكلام فقد وقعا في موضعهما والمعنى يتم  
بدخول الهمزة على جملة الشرط والجواب لانها كالشئ  
الواحد ( 3 ) انتهى

وقد رد النحويون على يونس بقوله ) أفإن مات فهم الخالدون ( 2  
لايجوز في ) فهم ( ان ينوي به التقديم لانه يصير التقدير  
افهم الخالدون فان مات وذلك لايجوز لئلا يبقى الشرط بلا  
جواب اذ لايتصور ان يكون الجواب محذوفا يدل عليه ما قبله

## البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

لان الفاء المتصله بان تمنعه من ذلك ولهذا يقولون انت ظالم ان فعلت ولا يقولون انت ظالم فان فعلت فدل ذلك على ان ادوات الاستفهام انما دخلت لفظا وتقديرا على جملة الشرط والجواب ( 8 )

الثامنة اذا تقدم اداة الشرط جملة تصلح ان تكون جزاء ثم ذكر فعل الشرط ولم يذكر له جواب نحو اقوم ان قمت وانت طالق ان دخلت الدار فلا تقدير عند الكوفيين بل المقدم هو جواب وعند البصريين دليل الجواب والصحيح هو الاول لان الفاء لاتدخل عليه ولو كان جوابا لدخلت ولانه لو كان مقدا من تاخير لما افترق المعنيان وهما مفترقان ففي التقدم بني الكلام على الخبر ثم طرأ التوقف وفي التاخير بني الكلام من اوله على الشرط كذا قاله ابن السراج وتابعه ابن مالك وغيره ونوزعا في ذلك بل مع التقديم الكلام مبني على الشرط كما لو قال له على عشرة الا درهما فانه لم يقر بالعشرة ثم أنكر منها درهما ولو كان كذلك لم ينفعه الاستثناء ثم زعم ابن السراج ان ذلك لا يقع الا في الضرورة وهو مردود بوقوعه في القرآن كقوله ( واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ) ( 9 )

التاسعة اذا دخل على اداة الشرط واو الحال لم يحتج الى جواب نحو احسن الى زيد وان كفرك واشكره وان اساء اليك أي أحسن اليه كافرًا لك واشكره مسيئًا اليك فان اجيب الشرط كانت الواو عاطفة لا للحال نحو احسن اليه وان كفرك فلا تدع الاحسان اليه واشكره وان اساء اليك فاقم على شكره ولو كانت الواو هنا للحال لم يكن هناك جواب قال ابن جني وانما كان كذلك لان الحال فضله واصل وضع الفضلة ان تكون مفردا كالظرف والمصدر والمفعول به فلما كان كذلك لم يجب الشرط اذا وقع موقع الحال لانه لو اجيب لصار جملة والحال انما هي فضله فالمفرد اولى بها من الجملة والشرط وان كان جملة فانه يجري عندهم مجرى الأحاد من حيث كان محتاجا الى جوابه احتياج المبتدأ الى الخبر

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

( 10 )

العاشرة الشرط والجزاء لابد ان يتغير لفظا وقد يتحدثان فيحتاج الى التاويل كقوله ( إلا من تاب وأمن ) والاية التي تليها ( ومن تاب وعمل صالحا ) ثم قال ( فإنه يتوب إلى الله متابا ) فقيل على حذف الفعل أي من اراد التوبة فان التوبة معرضة له لايحول بينه وبينها حائل ومثله ( فإذا قرأت القرآن ) أي اردت وبدل لهذا تاكيد التوبة بالمصدر  
واما قوله تعالى ( جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه ) فقال الزمخشري يجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر مقام المضمرة والاصل جزاؤه من وجد في رحلة فهو فوضع الجزاء موضع هو  
وقوله ( من يهد الله فهو المهتدي ) قدره ابن عباس من يرد الله هدايته فلا يتحد الشرط والجزاء  
ومثله قوله تعالى ( وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ) وقد سبق فيها اقوال كثيرة  
وقد يتقاربان في المعنى كقوله تعالى ( ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ) وقوله ( فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ) وقوله ( ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه )  
والنكته في ذلك كله تفخيم الجزاء والمعنى ان الجزاء هو الكامل البالغ النهاية يعني من يبخل في أداء ربع العشر فقد بالغ في البخل وكان هو البخل في الحقيقة ( 11 )  
الحادية عشرة في اعتراض الشرط على الشرط وقد عدوا من ذلك آيات شريفة بعضها مستقيم وبعضها بخلافه  
الآية الاولى قوله تعالى ( فأما إن كان من المقربين فروح وريحان ) الآية قال الفارسي قد اجتمع هنا شرطان وجواب واحد فليس يخلو اما ان يكون جوابا لاما أو لان ولا يجوز ان يكون جواب لهما لانا لم نر شرطين لهما جواب واحد ولو كان هذا الجاز شرط واحد له جوابان ولا يجوز ان يكون جوابا لان دون اما لان اما لم تستعمل بغير جواب فجعل جوابا لاما فتجعل اما وما بعدها جوابا لان  
وتابعه ابن مالك في كون الجواب لاما

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقد سبقهما إليه امام الصناعة سيبويه ونازع بعض المتأخرين في عد هذه الآية من هذا قال وليس من الاعتراض ان يقرن الثاني بفاء الجواب لفظا نحو ان تكلم زيد فان اجاد فاحسن اليه لان الشرط الثاني وجوابه جواب الاول او يقرن بفاء الجواب تقديرا كهذه الآية الشريفة لان الاصل عند النجاة مهما يكن من شئ فان كان المتوفي من المقربين فجزاؤه روح فحذف مهما وجملة شرطها وانيب عنها اما فصار اما فان كان مفردا من ذلك لوجهين احدهما ان الجواب لايلي اداة الشرط بغير فاصل وثانيهما ان الفاء في الاصل للعطف فحقها ان تقع بين سببين وهما المتعاطفان فلما اخرجوها من باب العطف حفظوا عليها المعنى الاخر وهو التوسط فوجب ان يقدم شئ مما في حيزها عليها اصلاحا للفظ فقدمت جملة الشرط الثاني لانها كالجزاء الواحد كما قدم المفعول في قوله تعالى ( فاما اليتيم فلا تقهر ) ( فصار ) فاما ان كان من المقربين فروح ( فحذفت الفاء التي في جواب ان لئلا يلتقي فاءان فتخلص ان جواب اما ليس محذوفا بل مقدما بعضه على الفاء فلا اعتراض

الآية الثانية قوله تعالى عن نوح ) ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ( وانما يكون من هذا لو كان ) ولا ينفعكم نصحي ( مؤخرا بعد الشرطين او لازما ان يقدر كذلك وكلا الامرين منتف

اما الاول فظاهر واما الثاني فلان ) ولا ينفعكم نصحي ( ان اردت ان انصح لكم جملة تامة اما على مذهب الكوفيين فمن شرط مؤخر وجزاء مقدم واما على مذهب البصريين فالمقدم دليل الجزاء والمدلول عليه محذوف فيقدر بعد شرطه فلم يقع الشرط الثاني معترضا لان المراد بالمعترض ما اعترض بين الشرط وجوابه وهنا ليس كذلك فان على مذهب الكوفيين لا حذف والجواب مقدم وعلى قول البصريين الحذف بين الشرطين

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وهنا فائدة وهي انه لم عدل عن ان نصحت الي ( إن أردت أن أنصح ( وكأنه والله أعلم أدب مع الله تعالى حيث أراد الاغواء وقد احسن الزمخشري فلم يات بلفظ الاعتراض في الآية بل سماه مرادفا هو صحيح وقال ان قوله تعالى ( إن كان الله يريد أن يغويكم ( جزاؤه ما دل عليه قوله ) ولا ينفعكم نصحي ( وجعل ابن مالك تقدير الآية ان اردت انصح لكم مرادا ذلك منكم لاينفعكم نصحي وهو يجعله من باب الاعتراض وفيه ما ذكرنا

الآية الثالثة قوله تعالى ( وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ( الآية وهي كالتي قبلها لتقدم الجزاء او دليله على الشرطين فالاحتمال فيها كما قدمنا وقال الزمخشري شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة إرادة الاستنكاح كانه قال احللناها لك ان وهبت نفسها لك وانت تريد ان تنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تم

وحاصله ان الشرط الثاني مقيد للأول ويحتمل ان يكون من الاعتراض كانه قال ان وهبت نفسها ان اراد النبي احللناها فيكون جوابا للاول ويقدر جواب الثاني محذوفا

الآية الرابعة قوله تعالى ( يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين (

وغلط من جعلها من الاعتراض لأن الشرط الأول إقترن بجوابه ثم اتى بالثاني بعد ذلك وإذا ذكر جواب الثاني تاليا له فاي إعتراض هنا لهذا قال المجوزون لهذه المسألة إن الجواب المذكور للأول وجواب الثاني محذوف لدلالة الأول وجوابه عليه والتقدير في الآية ( إن كنتم مسلمين ( فإن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فحذف الجواب لدلالة السابق عليه

الآية الخامسة قوله تعالى ( وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ( وكلام ابن مالك يقتضي أنها من الإعتراض وليس كذلك بل عطف هل الشرط على فعل آخر

الآية السادسة قوله تعالى ( ولولا رجال مؤمنون ونساء

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

مؤمنات ( إلى قوله ) لعذنا ( وهذه الآية هي العمدة في هذا الباب فالشرطان وهما ) لولا ( و ) لو ( قد إعترضا وليس معهما إلا جوابا واحدا وهو متأخر عنهما وهو لعذنا الآية السابعة قوله تعالى ) إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية ( وهذه تأتي على مذهب الاخفش فانه يزعم ان قوله تعالى ) الوصية ( على تقدير الفاء أي فالوصية فعلى هذا يكون مما نحن فيه فاما اذا رفعت ) الوصية ( ب ) كتب ( فهي كالأيات السابقة في حذف الجوابين

تنبيه في ضابط اعتراض الشرط على الشرط ذكر بعضهم ضابطا في هذه المسألة فقال اذا دخل الشرط على الشرط فان كان الثاني بالفاء فالجواب المذكور جوابه وهو وجوابه جواب الشرط الاول كقوله تعالى ) فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم (

وان كان بغير الفاء فان كان الثاني متأخرا في الوجود عن الاول كان مقدر بالفاء وتكون الفاء جواب الاول والجواب المذكور جواب الثاني نحو ان دخلت المسجد ان صليت فيه فلك اجر تقديره فان صليت فيه فحذفت الفاء لدلالة الكلام عليها

وان كان الثاني متقدما في الوجود على الاول فهو في نية التقديم وما قبله جوابه والفاء مقدره فيه كقوله تعالى ) ولا ينفعكم نصحي ( تقديره ان اراد الله ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي

واما ان لم يكن احدهما متقدما في الوجود وكان كل واحد منهما صالحا لان يكون هو المتقدم والآخر متأخرا كقوله تعالى ) وامرأة مؤمنة إن وهبت ( كان الحكم راجعا الى التقدير والنية فايهما قدرته الشرط كان الآخر جوابا له وان كان مقدر بالفاء كان المتقدم في اللفظ او المتأخر فان قدرنا الهبة شرطا كانت الارادة جوابا له 3 وان كان مقدر بالفاء كان المتقدم في اللفظ او المتأخر فان قدرنا الهبة شرطا كانت الارادة جوابا ويكون التقدير ان وهبت نفسها للنبي فان اراد النبي ان يستنكحها وان قدرنا الارادة



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

شرطا كانت الهبة جزاء وكان التقدير ان اراد النبي ان يستنكحها فان وهبت نفسها للنبي وعلى كلا التقديرين فجواب الشرط الذي هو الجواب محذوف والتقدير فهي حلال لك وقس عليه ما يرد عليك من هذا الباب فائدة قد يسمى الشرط يمينا قال ابن حني في كتاب القدر يجوز ان يسمى الشرط يمينا لان كل واحد منهما مذكور لما بعده وهو جملة مضمومه الى اخرى وقد جرت الجملتان مجرى الجملة الواحدة فمن هنا يجوز ان يسمى الشرط يمينا الا ترى ان كل واحد منهما مذكور لما بعده القسم وجوابه وهما جملتان بمنزلة الشرط وجوابه وستتكم عليه في الاساليب ان شاء الله تعالى في باب التاكيد والقسم لفظه لفظ الخبر ومعناه الانشاء والالتزام بفعل المحلوف عليه او تركه وليس باخبار عن شيء وقع او لا يقع وان كان لفظه الماضي او الاستقبال وفائدته تحقق الجواب عند السامع وتاكده ليزول عنه التردد فيه الامر الامر حيث وقع في القرآن كان بغير الحرف كقوله تعالى ( وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ( ) ادخلوا مساكنكم ( ) اخرجوا من دياركم ( ) كلوا من ثمره ( ) وجاء بالحرف في مواضع يسيرة على قراءة بعضهم > فبذلك فلتفرحوا < ووجهه أنه من باب حمل المخاطب على الغائب الى الخطاب فكانه لاغائب ولا حاضر وذلك لان قوله تعالى ( قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ( ) فيه خطاب للنبي ﷺ مع المؤمنين وخطاب الله تعالى مع النبي للمؤمنين كخطاب الله تعالى لهم فكانهما اتحدا في الحكم ووجود الاستماع والاتباع فصار المؤمنون كأنهم مخاطبون في المعنى فاتي بالام كانه يأمر قوما غيبا وبالتاء للخطاب كانه يأمر حضورا وبؤيد هذا قوله تعالى في أول الآية ( يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم ( الآية فصار المؤمنون مخاطبين ثم قال لنبيه ﷺ ( قل بفضل الله وبرحمته ( فبذلك ينبغي ان يكون فرحهم فصاروا مخاطبين من وجه دون وجه

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ونظيره ( حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم ) الا ان ذلك جعل في كلمتين وحالتين وهذا في كلمة واحدة ومنها قوله تعالى ( اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ) ومنها قوله تعالى ( ليقض علينا ربك ) النفي هو شطر الكلام كله لان الكلام اما اثبات او نفي وفيه قواعد الأولى في الفرق بينه وبين الجحد قال ابن الشجري ان كان النافي صادقا فيما قاله سمي كلامه نفيا وان كان يعلم كذب ما نفاه كان جحدا فالنفي اعم لان كل جحد نفي من غير عكس فيجوز ان يسمى الجحد نفيا لان النفي اعم ولا يجوز ان يسمى النفي جحدا

فمن النفي ) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ( ومن الجحد نفي فرعون وقومه آيات موسى عليه السلام قال الله تعالى ( فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ) اي وهم يعلمون انها من عند الله

وكذلك اخبار الله عن كفر من اهل الكتاب ) ما جاءنا من بشير ولا نذير ( فأكذبهم الله بقوله ) انظر كيف كذبوا على أنفسهم )

وقوله ( يحلفون بالله ما قالوا ) فأكذبهم الله بقوله ( ولقد قالوا كلمة الكفر )

قال ومن العلماء من لا يفرق بينهما والاصل ما ذكرته ( 2 ) الثانية زعم بعضهم ان من شرط صحة النفي عن الشيء صحة اتصاف المنفي عنه بذلك

الشيء ومن ثم قال بعض الحنفية ان النهي عن الشيء يقتضي الصحة وذلك باطل بقوله تعالى ( وما الله بغافل عما يعملون ) وما كان ربك نسيا ( ) لا تأخذه سنة ولا نوم ( ) وهو يطعم ولا يطعم ( ونظائره

والصواب ان انتفاء الشيء عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلا وقد يكون لكونه لا يقع منه مع امكانه فنفي الشيء عن الشيء لا يستلزم امكانه ( 3 )

الثالثة المنفي ما ولى حرف النفي فاذا قلت ما ضربت زيدا

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

كنت نافيا للفعل الذي هو ضربك اياه واذا قلت ما انا ضربته  
كنت نافيا لفاعليتك للضرب فان قلت الصورتان دلتا على نفي  
الضرب فما الفرق بينهما قلت من وجهين  
احدهما ان الاولى نفت ضربا خاص وهو ضربك اياه ولم تدل  
على وقوع ضرب غيرك ولا عدمه اذا نفي الاخص لا يستلزم  
نفي الاعم ولا ثبوته والثانية نفت كونك ضربته ودلت على ان  
غيرك ضربه بالمفهوم  
الثاني ان الاولى دلت على نفي ضربك له بغير واسطة والثانية  
دلت على نفيه بواسطة ( اما قوله ) ما قلت لهم إلا ما أمرتني  
به )

الرابعة اذا كان الكلام عاما ونفيته فان تقدم حرف النفي اداة  
العموم كان نفيا للعموم وهو لا ينافي الاثبات الخاص فاذا قلت  
لم افعل كذا بل بعضه استقام وان تقدم صيغه العموم على  
النفي قلت كل ذا لم افعله كان النفي عاما ويناقضه الاثبات  
الخاص وحكى الامام في نهاية الايجاز عن الشيخ عبد القاهر ان  
نفي العموم يقتضي خصوص الاثبات فقله لم افعل كله  
يقتضي انه فعل بعضه قال وليس كذلك الا عند من يقول بدليل  
الخطاب بل الحق ان نفي العموم كما لا يقتضي عموم النفي  
لا يقتضي خصوص الاثبات

الخامسة ادواته كثيرة قال الخوي واصلها لا وما لان النفي اما  
في الماضي واما في المستقبل والاستقبال اكثر من الماضي  
ابدا ولا اخف من ما فوضعوا الأخف للأكثر  
ثم ان النفي في الماضي اما ان يكون نفيا واحدا مستمرا واما  
ان يكون نفيا فيه احكام متعددة وكذلك النفي في المستقبل  
فصار النفي على اربعة اقسام واختاروا له اربع كلمات ما لم  
لن لا

وأما ان ولما فليسا باصليين  
فما ولا في الماضي والمستقبل متقابلان ولم ولن في الماضي  
والمستقبل متقابلان ولم كأنه مأخوذ من لا وما لأن لم نفي  
للإستقبال لفظا فأخذ اللام من لا التي هي لنفي الأمر في  
المستقبل والميم من ما التي هي لنفي الأمر في الماضي

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وجمع بينهما إشارة إلى أن في لم المستقبل والماضي وقدم اللام على الميم إشارة إلى أن لا هو أصل النفي ولهذا ينفي بها في أثناء الكلام فيقال لم يفعل زيد ولا عمرو ولن أضرب زيدا ولا عمرا

أما لما فتركيب بعد تركيب كأنه قال لم وما لتوكيد معنى النفي في الماضي وتفيد الاستقبال أيضا ولهذا تفيد لما الاستمرار كما قال الزمخشري إذا قلت ندم زيد ولم ينفعه الندم أي حال الندم لم ينفعه وإذا قلت ندم زيد ولما ينفعه الندم أي حال الندم واستمر عدم نفعه

قلت وقال الفارسي إذا نفي بها الفعل اختصت بنفي الحال ويجوز أن يتسع فيها فينفي بها الحاضر نحو ما قام وما قعد قال الخوي والفرق بين النفي بلم وما أن النفي بما كقولك ما قام زيد معناه أن وقت الإخبار هذا الوقت وهو إلى الآن ما فعل فيكون النفي في الماضي وأن النفي بلم كقولك لم يقم تجعل المخبر نفسه بالعرض متكلما في الأزمنة الماضية ولأنه يقول في كل زمان في تلك الأزمنة أنا أخبرك بأنه لم يقم وعلى هذا فتأمل السر في قوله تعالى ( لم يتخذ ولدا ) وفي موضع آخر ( ما اتخذ الله من ولد ) لأن الأول في مقام طلب الذكر والتشريف به للثواب والثاني في مقام التعليم وهو لا يفيد إلا بالنفي عن جميع الأزمنة

وكذلك قوله ( ما كان أبوك أمرا سوء وما كانت أمك بغيا ) وقوله ( ولم يمسنني بشر ولم أك بغيا ) فان مريم كانها قالت اني تفكرت في ازمنة وجودي ومثلتها في عيني لم اك بغيا فهو ابلغ في التنزيه فلا يظن ظان انها تنفي نفي كلياً مع انها نسيت بعض ازمنة وجودها واما هم لما قالوا ( وما كانت أمك بغيا ) ما كان يمكنهم ان يقولوا نحن تصورنا كل زمان من ازمنة وجود امك وتنفي عن كل واحد منها كونها بغيا لان احد لا يلزم غيره فيعلم كل زمان من ازمنة وجوده وانما قالوا لها ان امك اشتهرت عند الكل حتى حكموا عليها حكما واحدا عاما انها مابغت في شيء من ازمنة وجودها وكذلك قوله تعالى ( ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وأهلها غافلون ( وقوله ) وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا ( فانه سبحانه لما قال ) بظلم ( كان سبب حسن الهلاك قائما واما الظلم فكان يتوقع في كل زمن الهلاك سواء كانوا غافلين ام لا لكن الله برحمته يمسك عنهم في كل زمان وافقته غفلتهم واما قوله ) وأهلها غافلون ( وان جد الظلم لكن لم يبق سببا مع الاصلاح فبقي النفي العام بعدم تحقيق المقتضى في كل زمان وكذلك قوله ) وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ( لانه لما لم يذكر الظلم لم يتوقع الهلاك فلم يبق متكررا في كل زمان

وكذلك قوله ) ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ( وقوله ) وما كان الله معذبهم ( ذكر عند ذكر النعمة لم يكن اشارة الى الحكم في كل زمان تذكيرا بالنعمة قال تعالى ) وما كان الله معذبهم ( نفيًا واحدا عاما عند ذكر العذاب لئلا يتكرر ذكر العذاب ويتكرر ذكر النعمة لا للمنة بل للتنبيه على سعة الرحمة

وكذلك قال تعالى ) ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ( وقال ) وما جعل عليكم في الدين من حرج ( ) ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ( وقوله تعالى ) لم نجعل له من قبل سميا ( وقال تعالى ) ولم يجعلني جبارا شقيا ( وقال تعالى ) لم نجعل لهم من دونها سترا ( في جميع مواضع ما حصل المذكور امورا لا يتوقع تجددها وفي جميع المواضع لم يحصل توقع تجدد المذكور

فاستمسك بما ذكرنا واجعله اصلا فانه من المواهب الربانية النوع السادس والاربعون في اساليب القرآن وفنونه البليغة

وهو المقصود الاعظم من هذا الكتاب وهو بيت القصيدة واول الجريدة وغرة الكتيبة وواسطة القلادة ودرة التاج وانسان الحدقة على انه قد تقدمت الاشارة للكثير من ذلك اعلم ان هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاب

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ضعيف الاصحاب ليست له عشيرة تحميه ولا ذوو بصيرة  
تستقصيه وهو ارق من الشعر واهول من البحر واعجب من  
السحر وكيف لا يكون وهو المطلع على اسرار القرآن العظيم  
الكافل بابرار اعجاز النظم المبين ما اودع من حسن التأليف  
وبراعة التركيب وما تضمنه في الحلاوة وجلله في رونق  
الطلاوة مع سهولة كلمة وجزالتها وعضوبتها وسلاستها ولا فرق  
بين ما يرجع الحسن الى اللفظ او المعنى  
وشذ بعضهم فزعم ان موضع صناعة البلاغة فيه انما هو  
المعاني فلم يعد الاساليب البليغة والمحاسن اللفظية  
والصحيح ان الموضوع مجموع المعاني والالفاظ اذ اللفظ مادة  
الكلام الذي منه يتألف ومتى اخرجنا الألفاظ عن ان تكون  
موضوعا خرجت عن جملة الاقسام المعتمدة اذ لا يمكن ان  
توجد الا بها

وها انا القي اليك منه ما يقضي له البليغ عجا ويهتز به  
الكاتب طربا فمنه التوكيد باقسامه والحذف باقسامه الايجاز  
التقديم والتأخير القلب المدرج الاقتصاص الترقى التغليب  
الالتفات التضمين وضع الخبر موضع الطلب وضع اللفظ  
موضع الخبر وضع النداء موضع التعجب وضع جملة القلة  
موضع الكثرة تذكير المؤنث تانيث المذكر التعبير عن  
المستقبل بلفظ الماضي عكسه مشاكلة اللفظ للمعنى  
النحت الابدال المحاذاة قواعد في النفي والصفات إخراج  
الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة الاعراض عن  
صريح الحكم الهدم التوسع الاستدراج التشبيه الاستعارة  
التورية التجريد التجنيس الطباق المقابلة الجام الخصم  
بالحجة التقسيم التعديد مقابلة الجمع بالجمع قاعدة فيما ورد  
في القرآن مجموعا تارة ومفردا أخرى وحكمه ذلك قاعدة  
أخرى في الضمائر قاعدة في السؤال والجواب الخطاب  
بالشئ عن اعتقاد المخاطب التادب في الخطاب تقديم ذكر  
الرحمة على العذاب الخطاب بالاسم الخطاب بالفعل قاعدة  
في ذكر الموصولات والظرف تارة وحذفها أخرى قاعدة في  
النهي ودفع التناقض عما يوهم ذلك وملاك ذلك الايجاز

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

والاطناب قال صاحب الكشاف كما انه يجب على البليغ في  
مظان الاجمال والايجاز ان يجمع ويوجز فكذلك الواجب عليه  
في موارد التفصيل ان يفصل ويشيع وانشد الجاحظ  
يرمون بالخطب الطوال وتارة  
وحي الملاحظ خيفة الرقباء

## الاسلوب الاول التاكيد

والقصد منه الحمل على ما لم يقع ليصير واقعا ولهذا لايجوز  
تأكيد الماضي ولا الحاضر لتلا يلزم تحصيل الحاصل وانما يؤكد  
المستقبل وفيه مسائل  
الاولى جمهور الامة على وقوعه في القرآن والسنة وقال قوم  
ليس فيهما تأكيد ولا في اللغة بل لايد ان يفيد معنى زائدا على  
الاول واعترض الملحدون على القرآن والسنة بما فيهما من  
التاكيدات وانه لافائدة في ذكرها وان من حق البلاغة في  
النظم ايجاز اللفظ واستيفاء المعنى وخير الكلام ما قل ودل  
ولا يمل والافادة خير من الاعداد وظنوا انه انما يجئ لقصور  
النفيس عن تادية المراد بغير تأكيد ولهذا انكروا وقوعه في  
القرآن

واجاب الاصحاب بان القرآن نزل على لسان القوم وفي  
لسانهم التأكيد والتكرار وخطابه اكثر بل هو عندهم معدود في  
الفصاحة والبراعة ومن انكر وجوده في اللغة فهو مكابر اذ لولا  
وجوده لم يكن لتسميته تأكيدا فائدة فان الاسم لا يوضع الا  
لمسمى معلوم لافائدة فيه بل فوائد كثيرة كما سنبينه  
الثانية حيث وقع فهو حقيقة وزعم قوم انه نجاز لأنه لايفيد الا  
ما افاده المذكور الاول حكاة الطرطوسي في العمدة ثم قال  
ومن سمى التاكيد مجازا فيقال له اذا كان  
التاكيد بلفظ الاول نحو عجل عجل ونحوه فان جاز ان يكون  
الثاني مجازا جاز في الاول لانهما في لفظ واحد واذا بطل

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

حمل الاول على المجاز بطل حمل الثاني عليه لانه قبل الاول  
الثالثة انه خلاف الاصل فلا يحمل اللفظ على التاكيد الا عند  
تعذر حمله على مدة محددة  
الرابعة يكتفي في تلك باي معنى كان وشرط وما قاله ضعيف  
لان المفهوم من دلالة اللفظ ليس من باب الألفاظ حتى يحذو  
به حذو الالفاظ  
الخامسة في تقسيمه وهو صناعي يتعلق باصطلاح النحاة  
ومعنوي واقسامه كثيرة فلنذكر ما تيسر منها القسم الاول  
التوكيد الصناعي  
وهو قسمان لفظي ومعنوي فاللفظي تقرير معنى الاول بلفظ  
او مرادفه فمن المرادف ( فجاجا سبلا ) ( ضيقا حرجا ) في  
قراءة كسر الراء ) وغرايب سود )  
وجعل الصفار منه قوله تعالى ( فيما إن مكناكم فيه ) على  
القول بان كلاهما للنفي  
واللفظي يكون في الاسم النكرة بالاجماع نحو ( قواريرا  
قوارير ) وجعل ابن مالك وابن عصفور منه ( دكا دكا ) ( و ) صفا  
صفا ) وهو مردود لانه جاء في التفسير أن معندكا دكا دكا بعد  
دك وان الدك كرر عليها حتى صار هباء منثورا وان معنى ( صفا  
صفا ) انه تنزل ملائكة كل سماء يصطفون صنفا بعد صف  
محدثين بالانس والجن وعلى هذا فليس الثاني منهما تكرارا  
للاول بل المراد به التكرير نحو جاء القوم رجلا رجلا وعلمته  
الحساب بابا بابا  
وقد ذكر ابن جني في قوله تعالى ( إذا وقعت الواقعة ) ( إذا  
رجت ) ( إن رجت بدل من ) وقعت ( وكررت ) إذا ( تاكيدا  
لشدة امتزاج المضاف بالمضاف اليه  
ويكون في اسم الفعل كقوله تعالى ( هيهات هيهات لما  
توعدون ) وفي الجملة نحو ( فإن مع العسر يسرا إن مع  
العسر يسرا ) ولكون  
الله تبارك وتعالى رضي الله عنهن الرب عز وجل الجملة  
الثانية للتوكيد سقطت من مصحف ابن مسعود ومن قراءته  
والاكثر فصل الجملتين بثم كقوله ( وما أدراك ما يوم الدين ثم



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ما أدراك ( ) كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ( يكون في المجرور كقوله ) وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ( 6 والأكثر فيه اتصاله بالمذكور وزعم الكوفيون انه لا يجوز الفصل بين التوكيد المؤكد قال الصفار في شرح سيبويه والسمع يردده قال تعالى ) وهم بالآخرة هم كافرون ( فان هم الثانية تأكيد للاولى وقوله ) وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ( وقوله ) فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ( الا ترى ان قبله ) ولما جاءهم كتاب ( فاكد لما وبينهما كلام واصله ) يستفتحون على الذين كفروا ( فكرر للطول الذي بين لما وجوابها وقوله ) أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ( في احد القولين لانه اكد ان بعد ما فصل

وقوله تعالى ) إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين ( ريب انهم اجتمعوا في الهلاك وان قوم موسى اجتمعوا في النجا

ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف ) وأتوني بأهلكم أجمعين ( فلم يرد بهذا ان يجتمعوا عنده وان جاءوا واحدا بعد واحد وانما اراد اجتماعهم في المعنى اليه والا يتخلف منهم احد وهذا يعلم من السياق والقرينة ومن القرينة الدالة على ذلك في قصة الملائكة لفظا ان قوله ( كلهم ( يفيد الشمول والاحاطة فلا بد ان يفيد ) أجمعون ( قدرا زائدا على ذلك وهو اجتماعهم في السجود هذا في اللفظ واما المعنى فلان الملائكة لم تكن ليتخلف احد منهم عن امثال الامر ولا يتاخر عنده ولا سيما وقد وقت لهم بوقت وحد لهم يحد وهو التسوية ونفخ الروح فلما حصل ذلك سجدوا كلهم عن آخرهم في أن واحد ولم يتخلف منهم احد فعلى هذا يخرج كلام المبرد الزمخشري ز

وما نقل عن بعض المتكلمين ان السجود لم يستعمل على الكل بدليل قوله ) أستكبرت أم كنت من العالين ( مردود بل العالون المتكبرون وفي رسائل اخوان الصفاء ان العالين هم العقول العاقبة التي لم تسجد وهذا تحريف ولم يقم دليل على

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

اثبات العقول التي تدعيها الفلاسفة ز  
ووقع خلاف في ان ابليس من الملائكة ام لا والتحقيق انه ليس  
منهم عنصرا ففي صحيح مسلم خلقت الملائكة من نور  
وخلقت الجان من النار وخلق آدم مما وصف لكم وهو منهم  
حكما لدخوله في الخطاب بالامر بالسجود معهم ولو كان من  
غيرهم لم يدخل معهم  
واما قوله ( إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين ) فلم يذكر قبله (  
كلهم ) لما  
لم يكن المراد كل واحد واحد من الآية لم تحسن الزيادة في  
التأكيد بدليل الاستثناء بعده من قوله ( إلا امرأته ) ومنها قصد  
تحقيق المخبر به كقوله تعالى إني جاعل فأكد بأن وبإسم  
الفاعل مع أنهم ليسوا بشاكين في الخبر  
ومثله ( إنك ميت وإنهم ميتون )  
وقال حاكيا عن نوح ( إنك إن تذرهم يضلوا عبادك )  
ومنها قصد اغاظة السامع بذلك الخبر كقوله ( إنك لمن  
المرسلين )  
ومنها الترغيب كقوله ( فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم  
أكده بربيع تأكيدات وهي ان وضمير الفصل والمبالغتان مع  
الصفتين له ليدل على ترغيب الله العبد في التوبة فانه اذا علم  
ذلك طمع في عفو وقوله ( لا تحزن إن الله معنا )  
ومنها الاعلام بان المخبر به كله من عند المتكلم كقوله ( فإما  
ياتينكم مني هدى ) دون الاقتصار على ياتينكم هدى قال  
المفسرون فيه اشارة الى ان الخير كله منه  
وعليه قوله ( قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في  
الصدور ) ( قد جاءكم برهان من ربكم )  
ومنها التعريض بامر آخر كقوله تعالى ( رب إني ظلمت نفسي  
( وقول موسى ) رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ) وقوله  
تعالى ( قالت رب إني وضعتها أنثى ) تعريضا سؤال قبولها  
فانها كانت تطلب للنذر ذكرا تنبيهان  
الاول قالوا انما يؤتى به للحاجة للتحرز عن ذكر مالا فائدة له  
فان كان المخاطب ساذجا القى اليه الكلام خاليا عن التأكيد

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وان كان مترددا فيه حسن تقويته بمؤكد وان كان منكرا وجب  
تاكيدته وبراعى في القوة والضعف بحسب حال المنكر كما في  
قوله تعالى عن رسل عيسى ( ربنا يعلم ) الآية وذلك أن الكفار  
نفوا رسالتهم بثلاثة أشياء أحدها قولهم ( ما أنتم إلا بشر مثلنا )  
والثاني قولهم ( وما أنزل الرحمن من شيء ) والثالث قولهم ( إن  
أنتم إلا تكذبون ) فقولوا على نظيره بثلاثة أشياء أحدها  
قولهم ( ربنا يعلم ) ووجه التاكيد فيه انه في معنى قسم و  
الثاني قوله ( إنا إليكم لمرسلون ) والثالث قوله تعالى وما  
علينا إلا البلاغ المبين

وقد ينزل المنكر كغير المنكر وعكسه وقد اجتمعا في قوله  
تعالى ( ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون  
( اكدت الامانة تاكيدين وان لم ينكروا لتنزيل المخاطبين  
لمتاديبهم في الغفلة منزلة من ينكر الموت واكد اثبات البعث  
تأكيدا واحدا وان كان اكثر لانه لما كانت ادلته ظاهرة كان  
جديرا بالايتهكر ويتردد فيه حثالهم على النظر في ادلته  
الواضحة

الثاني قال التنوخي في اقصى القرب اذا قصدوا مجرد الخبر  
اتوا بالجملة الفعلية وان اكدوا فبالاسمية ثم بان ثم بها وباللام  
وقد تؤكد الفعلية بقدر وان احتيج باكثر جئ بالقسم مع كل من  
الجمليتين وقد تؤكد الاسمية باللام فقط نحو لزيد قائم وقد تجئ  
مع الفعلية مضمرة بعد اللام وحاصله ان الخطاب على درجات  
قام زيد ثم لقد قام فان جعل الفعلية كانها دون الاسمية ثم ان  
زيدا قائم ولزيد قائم ما يلتحق بالتاكيد الصناعي  
ويلتحق بالتاكيد الصناعي امور  
احدها تاكيد الفعل بالمصدر ومنه قوله تعالى ( جزاؤكم جزاء  
موفورا )

وقوله تعالى ( وكلم الله موسى تكليما ) وسلموا تسليما  
( وقوله تعالى ) يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا ( )  
وهي تمر مر السحاب )  
( فدكتا دكة واحدة ) ( إذا زلزلت الأرض زلزالها ) ( فيكيدوا لك  
كيدا ) وهو كثير

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

قالوا وهو عوض عن تكرار الفعل مرتين فقولك ضربت ضربا بمنزلة قولك ضربت ضربت ثم عدلوا عن ذلك واعتاضوا عن الجملة بالمفرد  
وليس منه قوله تعالى ( وتظنون بالله الظنونا ) بل هو جمع ظن وجمع لاختلاف انواعه قاله ابن الدهان  
ثم اختلفوا في فائدته فقيل انه يرفع المجاز عن الفاعل فانك تقول ضرب الامير اللص ولا يكون باشر بل امر به ضربا علم انه باشر  
وممن نص على ذلك ثعلب في امالية وابن عصفور في شرح الجمل الصغير  
والصواب انه انما يرفع الوهم عن الحديث لا عن المحدث عنه فاذا قلت ضرب الامير احتمل مجازين احدهما اطلاق الضرب على مقدماته والثاني اطلاق الامير على امره فاذا اردت رفع الاول اتيت بالمصدر فقلت ضربا وان اردت الثاني قلت نفسه او عينه  
ومن هذا يعلم ضعف استدلال اصحابنا على المعتزلة في اثبات كلام الله لموسى في قوله  
تعالى ( وكلم الله موسى تكليما ) فانه لما اريد كلام الله نفسه قال ( تكليما ) ودل على وقوع الفعل حقيقة اما تأكيد فاعله فلم يتعرض له ولقد سخر عقل من تاوله على انه كلمة باظفار المحن من الكلم وهو الجرح لان الاية مسوقة في بيان الوحي ويحكى انه استدل بعض علماء السنة على بعض المعتزلة في اثبات التكليم حقيقة بالاية من جهة ان المجاز لا يؤكد فسلم المعتزلي له هذه القاعدة واراد دفع الاستدلال من جهة اخرى فادعى ان اللفظ انما هو ( وكلم الله موسى ) بنصب لفظ الجلالة وجعل موسى فاعلا كلم وانكر القراءة المشهورة وكابر فقال السني فماذا تصنع بقوله تعالى ( ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ) فانقطع المعتزلي عند ذلك قال ابن الدهان ومما يدل على ان التأكيد لا يرفع المجاز قول الشاعر  
قرعت ظنانيث الهوى يوم عاج

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ويوم اللوى حتى قسرت الهوى قسرا

قلت وكذا قوله ( ومكروا مكرا ومكرنا مكرا ) وأما قوله تعالى  
( ثم إنني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا ) فمفعول أسررت  
محذوف أي الدعاء والانذار ونحوه  
فان قلت التأكيد ينافي الحذف فالجواب من وجهين  
أحدهما أن المصدر لم يؤت به هنا للتأكيد وان كان بصورته لان  
المعنى ليس على ذلك وانما اتى به لاجل الفواصل ولهذا لم  
يؤت بمصدر ( أعلنت ) وهو مثله والثاني أن أسر وان كان  
متعديا في الاصل الا انه هنا قطع النظر عن مفعوله وجعل نسيا  
كما في قوله فلان يعطى ويمنع فصار لذلك كاللازم وحينئذ فلا  
منافاة بين المجيء به بالمصدر لو كان  
ثم التأكيد بالمصدر تارة يجيء من لفظ الفعل كما سبق وتارة  
يجئ من مرادفه كقوله تعالى ( إنني دعوتهم جهارا ) فان  
الجهار احد نوعي الدعاء وقوله ( ليا بألسنتهم ) فانه منصوب  
بقوله ( يحرفون الكلم ) لان ( ليا ) نوع من التحريف  
ويحتمل ان يكون منه ( أتأخذونه بهتاننا ) لان البهتان ظلم  
والأخذ على نوعين ظلم وغيره  
وزعم الزمخشري قوله ( نافلة لك ) وضع نافلة موضع تهجدا  
لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافاة يجمعهما معنى  
واحد  
وقوله ( وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ) قيل كان  
الاصل تكرار الصدق بلفظه فاستثقل التكرار للتقارب فعدل  
الى ما يجاريه خفة ولتجزئ المصادر الثلاثة مجرى واحد خفة  
ووزنا احرازاً للتناسب  
واما قوله ( والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها  
ويخرجكم إخراجا ) ففائدة ( إخراجا ) ان المعاد في الارض هو  
الذي يخرجكم منها بعينه دفعا لتوهم من يتوهم ان المخرج منها  
امثالهم وان المبعوث الارواح المجردة  
فان قيل هذا يبطل بقوله تعالى ( أنبتكم من الأرض نباتا ) فانه  
اكذ بالمصدر وليس المراد حقيقة النبات

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

قلت لاجرم حيث لم يرد الحقيقة هنا لم يؤكد بالمصدر الحقيقي القياسي بل عدل به الى غيره وذلك لان مصدر انبت الانبات والنبات اسمه لا هو كما قيل في الكلام والسلام اسمان للمصدر الاصيلي الذي هو التكليم والتسليم واما قوله ( وتبتل إليه تبتلا ) وان لم يكن جاريا على تبتل لكنه ضمن معنى بتل نفسك تبتلا

ومثله قوله ( وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ) قال ابو البقاء هو موضع تعاليا لانه مصدر قوله ( وتعالى ) ويجوز ان يقع مصدرا في موضع آخر من معناه وكذا قال الراغب قال وانما عدل عنه لان لفظ التفاعل من التكلف كما يكون من البشر وأما قوله ( يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا ) فقال بعضهم الجملة الفاعلية تحتل المجاز في مفرداتها جميعا وفي كل منهما مثاله ها هنا انه يحتمل ان المجاز في ( تمور ) وانها ما تمور بل تكاد او يخيل الى الناظر انها تمور ويحتمل ان المجاز في السماء وان المور الحقيقي لكنها واهلها لشدة الامر

وكذلك الكلام في ( وتسير الجبال سيرا ) فاذا رفع المجاز عن احد جزاي الجملة نفي احتمال في الاخر فلم تحصل فائدة التاكيد

وأجيب بهذه القاعدة وهي ان ( مورا ) في تقدير تمور فكانه قال تمور السماء تمور السماء وتسير الجبال تسير الجبال فاكد كلا من الجزأين بنظيره وزال الاشكال واما قوله تعالى ( إلا أن يشاء ربي شيئا ) فيحتمل ان يكون شيئا ( من تاكيد الفعل بالمصدر كقوله بعث بيعا ويجوز ان يكون الشيء بمنزلة الامر والتبيان والمعنى الا ان يشاء ربي امرا او وضع موضع المصدر وانظر كيف ذكر مفعول المشيئة وقول البيانين انه يجب حذفه اذا كان عاما واما قوله تعالى ( دكا دكا ) فالمراد به التتابع أي دكا بعد دك وكذا قوله ( صفا صفا ) أي صفا يتلوه صف ولو اقتصر على الواحد لا يحتمل صفا واحدا

واما قوله تعالى ( إذا زلزلت الأرض زلزالها ) فان اضافة

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الزلزال اليها يفيد معنى ذاتها وهو زلزالها المختص بها المعروف منها المتوقع كما تقول غضب زيد غضبه وقاتل زيد قتاله أي غضبه الذي يعرف منه وقاتله المختص به كقوله والثالث انها منصوبة بتلك الافعال الظاهرة وان لم تكن جارية عليها

والرابع التفصيل بين ان يكون معنى الفعل غير معبر بمعنى مصدر ذلك الفعل الظاهر فهو منصوب بفعل مضمحل يدل عليه ذلك الفعل الظاهر كقوله تعالى ( والله أنبتكم من الأرض نباتا ) أي ونبتم أي وساغ اضماره لانهم اذا انبتوا فقد نبتنوا ولا يجوز في غير ذلك ان ينصب بالظاهر لان الغرض من المصدر تأكيد الفعل الذي نصبه او تبين معناه واذا كان المصدر مغايرا لمعنى الفعل الظاهر لم يحصل بذلك الغرض المقصود لان النبات ليس بمعنى الانبات واذا لم يكن بمعناه فكيف يؤكد او يبينه

واما قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين ) فانما ذكر قوله ( بدين ) مع ( تداينتم ) يدل عليه لوجه احدها ليعود الضمير في ( فاكتبوه ) عليه اذا لو لم يذكره لقال فاكتبوا الدين ذكره الزمخشري وهو ممنوع لانه كان يمكن ان يعود على المصدر المفهوم من ( تداينتم ) لانه يدل على الدين الثاني ان ( تداينتم ) مفاعلة من الدين ومن الدين فاحتج الى قوله ( بدين ) ليبين انه من الدين لا من الدين وهذا ايضا فيه نظر لان السياق يرشد الى ارادة الدين الثالث ان قوله ( بدين ) اشارة الى امتناع بيع الدين بالدين كما فسر قوله صلى الله

عليه وسلم هو بيع الكالئ بالكالئ ذكره الامام فخر الدين وبيانه ان قوله تعالى ( تداينتم ) مفاعلة من الطرفين وهو يقتضي وجود الدين من الجهتين فلما قال بدين علم انه دين واحد من الجهتين

الرابع انه اتى به ليفيد ان الاشهاد مطلوب سواء كان الدين صغيرا او كبيرا كما سبق نظيره في قوله تعالى ( فإن كانتا اثنتين ) ويدل على هذا هاهنا قوله بعد ذلك ( ولا تساموا أن

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله (   
الخامس ان ) تداينتم ( مشترك بين الاقتراض والمبايعة   
والمجازاة وذكر الدين لتمييز المراد قال الحماسي   
ولم يبق سوى العدوا   
دناهم كما دانوا

ونظير هذه الآية في التصريح بالمصدر مع ظهوره فيما قبله   
قوله تعالى ( فتقبلها ربها بقبول حسن ) وقوله تعالى (   
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ) وقوله ( سأل سائل   
 ) فيقال ما الحكمة في التصريح بالمصدر فيهما او بضميره مع   
انه مستفاد مما قبله   
وقد يجيء التاكيد به لمعنى الجملة كقوله تعالى ( صنع الله   
الذي أتقن كل شيء )   
فانه تأكيد لقوله تعالى ( تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب   
 ) لان ذلك صنع الله وقوله تعالى ( وعد الله ) تأكيد لقوله (   
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ) لان هذا وعد الله   
وقوله تعالى ( وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا   
مؤجلا ) انتصب ) كتابا ( على المصدر بما دل عليه السياق   
تقديره وكتب الله لان قوله ) وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن   
الله ( يدل على كتب   
وقوله تعالى ) كتاب الله عليكم ( تأكيد لقوله ) حرمت عليكم (   
الآية لان هذا مكتوب علينا وانتصب المصدر بما دل عليه سياق   
الآية فكأنه فعل تقديره كتب الله عليكم   
وقال الكسائي انتصب بعلينكم على الاغراء وقدم المنصوب   
والجمهور على منع التقدير   
وقوله ) صبغة الله ( تأكيد لقوله ) فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به   
فقد اهتدوا ) لان هذا دين الله وقيل منصوبه على الأمر   
وقوله تعالى ) ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ( منصوبة   
على المصدر بما دل عليه الكلام لان الزلفى مصدر كالرجعي )   
ليقربونا ( يدل على يزلفونا فتقديره يزلفونا زلفى



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقد يحيى التأكيد به مع حذف عاملة كقوله ( فإما منا بعد وإما فداء ) والمعنى فاما تمنوا منا واما ان تفادوا فداء فهما مصدران منصوبان بفعل مضمّر وجعل سببويه من المصدر المؤكّد لنفسه قوله تعالى ( الذي أحسن كل شيء خلقه ) لانه اذا احسن كل شيء فقد خلقه خلقا حسنا فيكون ( خلقه ) على معنى خلقه خلقا والضمير هو الله تعالى

ويجوز ان يكون بدل اشتمال أي احسن خلق كل شيء قال الصفار والذي قاله سببويه اولى الامرين ان في هذا اضافة المصدر الى المفعول و اضافته الى الفاعل اكثر وان المعنى الذي اصر اليه ابلغ في الامتنان وذلك انه اذا قال احسن كل شيء فهو ابلغ من قولك احسن خلق كل شيء لانه قد يحسن الخلق وهو المحاولة ولا يكون الشيء في نفسه حسنا واذا قال احسن كل شيء اقتضى ان كل شيء خلقه حسن بمعنى انه وضع كل شيء موضعه فهو ابلغ في الامتنان فائدتان الاولى هل الاولى التاكيد بالمصدر او الفعل قال بعضهم المصدر اولى لانه اسم وهو اخف من الفعل وايضا فلان الفعل يحتمل الضمير فيكون جملة فيزداد ثقلا ويحتمل ان الفعل اولى لدلالته على الاستمرار

الثانية حيث اكد المصدر النوعي فالاصل فيه ان ينعت بالوصف المراد منه نحو

قمت قياما حسنا ) وسرحوهن سراحا جميلا ( وقوله ) اذكروا الله ذكرا كثيرا )

وقد يضاف الوصف الى المصدر فيعطي حكم المصدر قال تعالى ( اتقوا الله حق تقاته )

الثاني الحال المؤكدة وهي الاتية على حال واحده عكس المبينة فانها لاتكون الا منتقلة وهي لتأكيد الفعل كما سبق في المصدر المؤكّد لنفسه وسميت مؤكدة لانه نعلم قبل ذكرها فيكون ذكرها توكيدا لانه معلومة من ذكر صاحبها كقوله تعالى ( ويوم أبعث حيا )

وقوله ( ولا تعثوا في الأرض مفسدين )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

( فتبسم ضاحكا من قولها ( لأن معنى تبسم ضحك مسرور  
وقوله ) وأرسلناك للناس رسولا )  
( ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون ) وذكر الاعراض  
للدلالة على تناهي حالهم في الضلال  
ومثله ) أقررتم وأنتم تشهدون ( إذ معنى الاقرار اقرب من  
الشهادة ولان الاعراض والشهادة حالان لهم عند التولي  
والاقرار  
وقوله ) وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد )  
وقوله ) خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض ( فانه حال  
مؤكد ل قوله ) وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها  
( وبهذا يزول الاشكال في ان شرط الحال الانتقال ولا يمكن  
ذلك هنا فانا نقول ذلك شرط في غير المؤكدة ولما لم يقف  
ابن جنى على ذلك قدر محذوفا أي معتقدا خلودهم فيها لان  
اعتقاد ذلك امر ثابت عند غير المؤمنين فلهذا ساع مجيئها غير  
منتقله  
ومنهم من نازع في التاكيد في بعض ما سبق لان الحال  
المؤكده مفهومها مفهوم عاملها وليس كذلك التبسم والضحك  
فانه قد يكون من غير ضحك بدليل قوله تبسم تبسم الغضبان  
وكذلك التولية والادبار في قوله تعالى ) ولى مدبرا ( ) ثم  
وليتم مدبرين ( فانهما بمعنيين مختلفين فالتولية ان يولى  
الشيء ظهره والادبار ان يهرب منه فليس كل مول مدبرا ولا  
كل مدبر موليا  
ونظيره قوله تعالى ) إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم  
الدعاء إذا ولوا مدبرين ( فلو كان اصم مقبلا لم يسمع فاذا ولي  
ظهره كان ابعده من السماع فاذا ادبر مع ذلك كان اشد  
لبعده عن السماع  
ومن الدليل على ان التولي لا يتضمن الادبار قوله ) فول وجهك  
شطر المسجد الحرام ( فانه بمعنى الاقبال  
وقوله ولم يعقب اشارة الى استمراره في الهروب وعدم  
رجوعه يقال فلان ولي اذا رجع وكل راجع معقب واهل التفسير  
يقولون لم يقف ولم يلتفت وكذلك قوله ) وأرسلناك للناس

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

رسولا ( قيل ليست بمؤكدة لان الشيء المرسل قد لا يكون رسولا كما قال تعالى ) إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ( وقوله ) وهو الحق مصدقا ( جعلها كثيرة من المعربين مؤكدة لان صفة الحق التصديق

قيل ويحتمل ان يريدوا به تأكيد العامل وان يريدوا به تأكيد ما تضمنته الجملة ودعوى التأكيد غير ظاهرة لانه يلزم من كون الشيء حقا في نفسه ان يكون مصدقا لغيره والفرض ان القرآن العزيز فيه الامران وهو كونه حقا وكونه مصدقا لغيره من الكتب فالظاهر ان ( مصدقا ) حال مبينة لامؤكدة ويكون العامل فيها الحق لكونه بمعنى الثابت وصاحب الحال الضمير الذي تحمله الحق لتأوله بالمشفق

وقوله ( قائما بالقسط ) فقائما حال مؤكدة لان الشاهد به لا اله الا هو قائم بالقسط فهي لازمة مؤكدة وقد وقعت بعد الفعل والفاعل

قال ابن ابي الربيع ويجوز ان يكون حالا على جهة اخرى على معنى شهد الله انه منفرد بالربوبية وقائم بالقسط فانه سبحانه بالصفتين لم ينتقل عنهما فهو متصف بكل واحدة منهما في حال الاتصاف بالاخري وهو سبحانه لم يزل بهما لان صفاته ذاتية قديمة

فائدة عن صاحب المفصل في وقوع الحال بعد الجملة الاسمية

قال صاحب المفصل لاتقع المؤكدة إلا بعد الجملة الاسمية وهو خلاف قول ابي علي انها تكون بعد الجملتين محتجا بما سبق وكذا بقوله تعالى ( ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين ) وقوله تعالى ( ولى مدبرا ولم يعقب ) فمدبرين ومدبرا حال مؤكدة لفعل التولية في ادوات التاكيد مؤكدات الجمل الاسمية

الاول التاكيد ان قال تعالى ( يا أيها الناس إن وعد الله حق ) وقوله تعالى ( اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

( وهي اقوى من التاكيد باللام كما قاله عبد القاهر في دلائل  
الاعجاز قال وأكثر مواقع إن بحكم الاستقراء هو الجواب لكن  
بشرط ان يكون للسائل فيه ظن بخلاف ما انت تجيبه به فاما  
ان تجعل مرد الجواب اصلا فيها فلا لانه يؤدي الى قولك  
صالح في جواب كيف زيد حتى تقول انه صالح ولا قائل به  
بخلاف اللام فانه لايلحظ فيها غير اصل الجواب  
وقد يجئ مع التاكيد في تقدير سؤال السائل اذا تقدمها من  
الكلام ما يلوح نفسه للنفس كقوله تعالى ( اتقوا ربكم إن  
زلزلة الساعة شيء عظيم ) امرهم بالتقوى ثم علل وجوبها  
مجيبا لسؤال مقدر بذكر الساعة واصفا لها باهول وصف  
ليقرب عليه الوجوب  
وكذا قوله تعالى ) ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون  
( أي لا تدعني في شأنهم واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك  
لانهم محكوم عليهم بالاغراق وقد جف به القلم فلا سبيل الى  
كفه عنهم  
ومثله في النهي عن الدعاء لمن وحيث شقاوته قوله تعالى ) يا  
إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم أتتهم عذاب  
غير مردود )  
ومنه قوله تعالى ) وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء  
إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ( فإن قوله تعالى ) وما  
أبرئ نفسي ( اورث للمخاطب حيرة كيف لاينزه نفسه مع  
كونها مطمئنة زكية فأزال حيرته بقوله تعالى ) إن النفس  
لأمارة ( في جميع الاشخاص ) بالسوء ( الا المعصوم  
وكذا قوله تعالى ) وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم )  
واعلم ان كل جملة صدرت بان مفيدة للتعليل وجواب سؤال  
مقدر فان الفاء  
يصح ان تقوم فيها مقام ان مفيدة للتعليل حسن تجريدها عن  
كونها جوابا للسؤال المقدر كما سبق من الامثلة  
وان صدرت لاطهار فائدة الاولى لم يصح قيام الفاء مقامها  
كقوله ) إن الذين سبقتم لهم منا الحسنی أولئك عنها مبعدون )  
بعد قوله ) لهم فيها زفير وهم لا يسمعون )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ومن فوائدها تحسين ضمير الشان معها اذا فسر بالجملة  
الشرطية مالا يحسن بدونها كقوله ( إنه من يتق ويصبر ( ) أنه  
من يحادد الله ورسوله ( ) أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ( )  
إنه لا يفلح الكافرون ( ) واما حسنه بدونها في قوله تعالى ( قل  
هو الله أحد ( فلفوات الشرط  
الثاني ان المفتوحة نحو علمت ان زيدا قائم وهي حرف مؤكد  
كالمكسورة نص عليه النحاة  
واستشكله بعضهم قال لأنك لو صرحت بالمصدر المنسبك منها  
لم يفد توكيدا ويقال التوكيد للمصدر المنحل لان محلها مع ما  
بعدها المفرد وبهذا يفرق بينها وبين ان المكسورة فان التاكيد  
في المكسورة للاسناد وهذه لاحد الطرفين  
الثالث كان وفيها التشبيه المؤكد إن كانت بسيطة وان كانت  
مركبة من  
كاف التشبيه و ان فهي متضمنه لان فيها ما سبق وزيادة  
قال الزمخشري والفصل بينه وبين الاصل أي بين قولك كانه  
اسد وبين انه كالاسد انك مع كان بان على التشبيه من اول  
الامر و ثم بعد مضي صدره على الاثبات  
وقال الامام في نهاية الايجاز اشترك الكاف وكان في الدلالة  
على التشبيه وكان أبلغ وبذلك جزم حازم في منهج البلغاء  
وقال وهي انما تستعمل حيث يقوى الشبه حتى يكاد الرائي  
يشك في ان المشبه هو المشبه به او غيره ولذلك قالت  
بلقيس ( كانه هو )  
الرابع لكن لتأكيد الجمل ذكره ابن عصفور والتنوخي في  
الاقصى وقيل للتاكيد مع الاستدراك وقيل للاستدراك المجرد  
وهي ان يثبت لما بعدها حكم يخالف ما قبلها ومثلها ليت ولعل  
ولعن في لغة بني تميم لانهم يبدلون هموة ان المفتوحة عينا  
وممن ذكر انها من المؤكدات التنوخي  
الخامس لام الابتداء نحو ( إن ربي لسميع الدعاء ) وهي تفيد  
تاكيد مضمون الجملة ولهذا زحلحوها في باب ان عن صدر  
الجملة كراهية ابتداء الكلام المؤكدين ولانها تدل بجهة التأكيد  
وإن تدل بجهتين العمل والتأكيد والبدال بجهتين مقدم على

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الدال بجهة كتنظيره في الارث وغيره واذا جاءت مع إن كان بمنزلة تكرار الجملة ثلاث مرات لان إن أفادت التكرير مرتين فاذا دخلت اللام صارت ثلاثا وعن الكسائي ان اللام لتوكيد الخبر وإن لتأكيد الاسم وفيه تجوز لان لتأكيد إنما هو للنسبة لا للاسم والخبر السادس الفصل وهو من مؤكدات الجملة وقد نص سيبويه على أنه يفيد التأكيد وقال في قوله تعالى ( إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا ) ( إنا ) وصف للياء في ( ترن ) يزيد تأكيدا وهذا صحيح لان المضمير يؤكد الضمير وأما تأكيد المظهر بالمضمير فلم يعهد ولهذا سماه بعضهم دعامة لانه يدعم به الكلام أي يقوى ولهذا قالوا لايجاء مع التوكيد فلا يقال زيد نفسه هو الفاضل ووافق على ذلك ابن الحاجب في شرح المفصل وخالف في اماليه فقال ضمير الفصل ليس توكيدا لانه لو كان فاما لفظيا أو معنويا لا جائز أن يكون لفظيا لأن اللفظي إعادة اللفظ الأول كزيد زيد أو معناه كقمت أنا والفصل ليس هو المسند اليه ولا معناه لانه ليس مكنيا عن المسند اليه ولا مفسرا ولا جائز ان يكون معنويا لان الفاضل محصورة كالنفس والعين وهذا منه نفي للتوكيد الصناعي ولبس للكلام وفي البسيط للواحد عند قوله تعالى ( وأولئك هم المفلحون ) قال سيبويه دخل الفصل في قوله تعالى ( تجدوه عند الله هو خيرا ) وفي قوله تعالى ( ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ) وفي قوله تعالى ( ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ) وفي قوله تعالى ( إن كان هذا هو الحق من عندك ) وذكر ان هذا بمنزلة ما في قوله تعالى ( فيما رحمة ) انتهى السابع ضمير البيان للمذكر والقصة للمؤنث ويقدمونه قبل الجملة نظرا لدلالته على تعظيم الامر في نفسه والاطناب فيه ومن ثم قيل له الشأن والقصة وعادتهم اذا ارادوا ذكر جملة قد يقدمون قبلها ضميرا يكون كناية عن تلك الجملة وتكون الجملة خبرا عنه ومفسرة له ويفعلون ذلك في مواضع التفيخيم

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

والغرض منه ان يتطلع السامع الى الكشف عنه وطلب تفسيره وحينئذ تورد الجملة المفسرة له وقد يكون لمجرد التعظيم كقوله تعالى ( إنني أنا الله لا إله إلا أنا )  
وقد يفيد معه الانفراد نحو قوله تعالى ( قل هو الله أحد ) أي المنفرد بالأحدية  
قال جماعة من النحاة هو ضمير الشأن والله مبتدأ ثان وأحد خبر المبتدأ الثاني والمبتدأ الثاني وخبره خبر الأول ولم يفتقر الى عائد لأن الجملة تفسير له ولكونها مفسرة لم يجب تقديمها عليه وقيل هو كناية عن الله لانهم سألوه ان يصف ربه فنزلت ومنه ) وأنه لما قام عبد الله ( ويجوز تأنيثه اذا كان في الكلام مؤنث كقوله تعالى ) فإنها لا تعمى الأبصار ( فالهاء في ) فإنها ( ضمير القصة و ) تعمى الأبصار ( في موضع رفع خبر إن وقوله تعالى ) أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل )  
بقراءة الياء وأن يعلمه بمتدأ وآية الخبر والهاء ضمير القصة وأنت لوجود آية في الكلام  
الثامن تأكيد الضمير ويجب ان يؤكد المتصل بالمنفصل اذا عطف عليه كقوله تعالى ( اسكن أنت وزوجك الجنة ) وقوله تعالى ( فاذهب أنت وربك )  
وقيل لايجب التأكيد بل يشترط الفاصل بينهما بدليل قوله تعالى ( ما أشركنا ولا أبأؤنا ) ( فعطف ) أبأؤنا ( على المضمرة المرفوعة وليس هنا تأكيد بل فاصل وهو ) لا ( 3 وهذا لاجبة فيه لانها دخلت بعد واو العطف والذي يقوم مقام التأكيد انما يأتي قبل واو العطف كآيات المتقدمة بدليل قوله ) فاستقم كما أمرت ومن تاب معك )  
ومنهم من لم يشترط فاصلا بدليل قوله ( إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ) فأكد السحر ضمير انفسهم في الالتقاء دون ضمير موسى حيث لم يقولوا إما ان تلقي انت وفيه دليل على انهم احبوا التقديم في الالتقاء لعلمهم بانهم

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ياتون بسحر عظيم يقرر عظمته في اذهان الحاضرين فلا يرفعها ما ياتي بعدها على زعمهم وانما ابتدءوا بموسى فعرضوا عليه البداءة بالالقاء على عادة العلماء والصناع في تاديبهم مع قرنائهم ومن ثم قيل تادبوا تهذبوا واجيب بانه انما لم يؤكد في الاية لانه استغنى عن التاكيد بالتصريح بالاولية في قوله ( وإما أن نكون أول من ألقى ) وهذا جواب بياني لا نحوي فان قيل ما وجه هذا الاطناب وهلا قالوا اما ان تلقى واما ان تلقى فالجواب من وجهين احدهما لفظي وهو المزاجه لرءوس الآي على سياق خواتمها من اول السورة الى آخرها والثاني معنوي وهو انه سبحانه اراد ان يخبر عن قوة انفس السحرة واستطالتهم عند انفسهم على موسى فجاء عنهم باللفظ اتم واوفى منه في اسنادهم الفعل اليه ذكر ذلك ابن جنبي في خاطرياته ثم اورد سؤالاً وهو انا نعلم ان السحرة لم يكونوا اهل لسان فيذهب بهم هذا المذهب من صيغة الكلام وأجاب بان جميع ماورد في القرآن حكاية عن غير اهل اللسان من القرون الخالية انما هو من معروف معانيهم وليست بحقيقة الفاظهم ولهذا لايشك في ان قوله تعالى ( قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ) ان هذه الفصاحة لم تجر على لغة العجم التاسع تصدير الجملة بضمير مبتدأ يفيد التأكيد ولهذا قيل بافادة الحصر ذكره الزمخشري في مواضع من كشافه قال في قوله تعالى ( وبالآخرة هم يوقنون ) معناه الحصر أي لا يؤمن بالآخرة الا هم وقال في قوله ( أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ) ان معناه لا ينشر الا هم وان المنكر عليهم ما يلزمهم حصر الأكوهية فيهم ثم خالف هذه القاعدة لما خالف مذهبه الفاسد في قوله تعالى ( وما هم بخارجين من النار ) فقال هم هنا بمنزلتها في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالة على قوة امرهم



# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فيما اسند اليهم لا على الاختصاص انتهى  
وبيانه ان مقتضى قاعدته في هذه الآية يدل على خروج  
المؤمنين الفساق من النار وليس هذا معتقده فعدل عن ذلك  
الى التاويل للآية بفائدة تتم له فجعل الضمير المذكور يفيد  
تأكيد نسبة الخلود لهم لا اختصاصه بهم وهم عنده بهذه المثابة  
لان عصاة المؤمنين وان خلدوا في النار على زعمه الا ان  
الكفار عنده احق بالخلود وادخل في استحقاقه من عصاة  
المؤمنين فتخيل في تخريج الآية على قاعدة مذهبه من غير  
خروج عن قاعدة اهل المعاني في اقتضاء تقديم الضمير  
الاختصاص والجواب عن هذا ان افادة تقديم الضمير المبتدأ  
للاختصاص والحصر اقوى واشهر عندهم من افادة مجرد  
التمكن في الصفة وقد نص الجرجاني في دلائل الاعجاز على  
ان افادة تقديم الفاعل على الفعل للاختصاص جليلة واما اراة  
تحقيق الامر عند السامع انهم بهذه الصفة وانهم متمكنون منها  
فليست جليلة واذا كان كذلك فلا يعدل عن المعنى الظاهر الا  
بدليل وليس هنا ما يقتضي اخراج الكلام عن معناه الجلي كيف  
وقد صحت الاحاديث وتواترت على ان العصاة يخرجون من  
النار بشفاعه محمد ﷺ وشفاعة غيره حتى لايبقى فيها موحد  
أبدا فهذه

الآية فيها دليل لاهل السنة على انفراد الكفار بالخلود في النار  
واختصاصهم بذلك والسنة المتواتره موافقه ولا دليل للمخالف  
سوى قاعدة الحسن والقيح العقليين والزامهم الله تعالى مما  
لا ينبغي لهم ان يلزموه من عدم العفو وتحقيق العقاب والخلود  
الابدي للمؤمنين في النار نعوذ بالله من ذلك فائدة مواضع افادة  
الحصر

لاتخص افادة الحصر بتقديم الضمير المبتدأ بل هو كذلك اذا  
تقدم الفاعل او المفعول او الجار او المجرور المتعلقات  
بالفعل ومن امثلته قوله تعالى ( قل هو الرحمن أمانا به وعليه  
توكلنا ) فان الايمان لما لم يكن منحصر في الايمان بالله بل  
لابد معه من رسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وغيره مما  
يتوقف صحة الايمان عليه بخلاف التوكل فانه لا يكون الا على

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الله وحده لتفرده بالقدره والعلم القديمين الباقيين قدم الجار  
والمجرور فيه ليؤذن باختصاص التوكل من العبد علن الله دون  
غيره لان غيره لا يملك ضرا ولا نفعا فيتوكل عليه ولذلك قدم  
الظروف في قوله ( لا فيها غول ) ليفيد النفي عنها فقط  
واختصاصها بذلك بخلاف تاخيرها في ( لا ريب فيه ) لان نفي  
الريب لا يختص بالقرآن بل سائر الكتب المنزلة كذلك  
العاشر منها هاء التنبيه في النداء نحو يا ايها قال سيبويه واما  
الالف والهاء اللتان لحقتا اياه توكيدا فكانك كررت يا مرتين اذا  
قلت يا ايها وصار الاسم تنبيها  
هذا كلامه وهو حسن جدا وقد وقع عليه الزمخشري فقال  
وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدة تبيين  
معاضة حرف النداء ومكاتفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما  
يستحقه أي من الاضافة  
الحادي عشر يا الموضوعه للبعيد اذا نودي بها القريب الفظن  
قال الزمخشري انه للتأكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه  
معنى به جدا  
الثاني عشر الواو زعم الزمخشري انها تدخل على الجملة  
الواقعة صفة التأكيد ثبوت الصفة بالموصوف كما تدخل على  
الجملة الحالية كقوله تعالى ( وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب  
معلوم ) وقوله تعالى ( ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم  
) والصحيح ان الجملة الموصوف بها لاتقترن بالواو لان  
الاستثناء المفرغ لا يقع في الصفات بل الجملة حال من قرية  
لكونها عامة بتقديم الا عليها  
الثالث عشر اما المكسورة كقوله تعالى ( فإما يأتينكم مني  
هدى ) اصلها ان الشرطية زيدت ما تأكيدا وكلام الزجاج  
يقضي ان سبب اللحاق نون التوكيد  
وقال الفارسي الامر بالعكس لمشابهة فعل الشرط بدخول  
ما للتأكيد بالفعل المقسم عليه من جهة انها كالعدم في  
القسم لما فيها من التأكيد وجميع ما في القرآن من الشرط  
بعد اما توكيده بالنون قال ابو البقاء وهو القياس لان زيادة ما  
مؤذنة بارادة شدة التوكيد واختلف النحاة اتلزم النون

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

المؤكدة فعل الشرط عند وصل اما ام لا فقال المبرد  
والزجاج يلزم ولا تحذف الا ضرورة وقال سيبويه وغيره لا تلزم  
فيجوز اثباتها وحذفها ولا ثبات احسن ويجوز حذف ما واثبات  
النون قال سيبويه ان ثبت لم تقم النون كما انك اذا اثبت  
لم تجيء بما انتهى وجاء السماع بعدم النون بعد اما كقول  
الشاعر

فاما تريني ولي لمة  
فان الحوادث اودى بها

الرابع عشر اما المفتوحة قال الزمخشري في قوله تعالى ( فاما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ) انها تفيد التأكيد  
الخامس عشر الا الاستفتاحية كما صرح به الزمخشري في  
قوله تعالى ( ألا إنهم هم المفسدون ) ويدل عليه قولهم انها  
للتحقيق أي تحقيق الجملة بعدها وهذا معنى التأكيد قال  
الزمخشري ولكونها بهذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع  
الجملة بعدها الا مصدره بنحو ما يتلقى به القسم نحو ( ألا إن  
أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون )  
السادس عشر ما النافية نحو ما زيد قائما او قائم على لغة  
تميم جعل سيبويه فيها معنى التوكيد لانه جعلها في النفي جوابا  
لقد في الاثبات كما ان قد فيها معنى التوكيد فكذلك ما جعل  
جوابا لها ذكره ابن الحاجب في شرح المفصل  
السابع عشر الباء في الخبر نحو ما زيد بمنطلق قال  
الزمخشري في كشافه القديم هي عند البصريين لتأكيد النفي  
وقال الكوفيون قولك ما زيد بمنطلق جواب إن زيدا لمنطلق  
ما بإزاء إن والباء بإزاء اللام والمعنى راجع إلي أنها للتأكيد لان  
اللام لتأكيد الايجاب فاذا كانت بازائها كانت لتأكيد النفي هذا  
كله في مؤكدات الجملة الاسمية مؤكدات الجملة الفعلية  
واما مؤكدات الفعلية فانواع  
احدها قد فانها حرف تحقيق وهو معنى التأكيد واليه اشار  
الزمخشري في قوله تعالى ( ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

صراط مستقيم ( معناه حصل له الهدى لامحاله  
وحكى الجوهرى عن الخليل أنه لا يؤتى بها في شيء الا اذا كان  
السامع متشوقا الى سماعه كقولك لمن يتشوق سماع قدوم  
زيد قد قدم زيد فان لم يكن لم يحسن المجيء بها بل تقول  
قام زيد  
وقال بعض النحاة في قوله تعالى ( ولقد صرفنا للناس في هذا  
القرآن من كل مثل )  
وفي قوله تعالى ( ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت )  
قدفي الجملة الفعلية المجاب بها القسم مثل ان واللام في  
الاسمية المجاب بها في افادة التاكيد  
وتدخل على الماضي نحو ( قد أفلح من زكاها )  
والمضارع نحو ( قد نعلم إنه ليحزنك ) قد يعلم ما انتم عليه قال  
الزمخشري دخلت قد لتوكيد العلم  
ويرجع ذلك لتوكيد الوعيد وبهذا يجاب عن قولهم انما تفيد  
التعليل مع المضارع  
وقال ابن ابان تفيد مع المستقبل التعليل في وقوعه او متعلقه  
فالاولى كقولك زيد قد يفعل كذا وليس ذلك منه بالكثير والثاني  
كقوله تعالى ( قد يعلم ما أنتم عليه ) المعنى والله اعلم اقل  
معلوماته ما انتم عليه  
ثانيا السين التي للتنفيس قال سيبويه في قوله تعالى (  
فسيكفيكم الله ) معنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان  
تاخر الى حين  
وجرى عليه الزمخشري فقال في قوله تعالى ( أولئك  
سيرحهم الله ) السين تفيد وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد  
الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سانتقم منك يوما يعني انك  
لاتفوتني وان تبطات  
ونحوه ( سيجعل لهم الرحمن ودا ) ( ) ولسوف يعطيك ربك  
فترضى ( ) سوف يؤتيهم أجورهم ( لكن قال في قوله تعالى )  
ولسوف يعطيك ربك فترضى ( معنى الجمع بين حرفي التاكيد  
والتاخير ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر  
وقد اعترض عليه بان وجود الرحمة مستفاد من الفعل لا من

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

السين وبان الوجوب المشار اليه بقوله لا محالة لا اشعار  
للسين به  
واجيب بوجهين  
احدهما ان السين موضوعه للدلالة على الوقوع مع التأخر فاذا  
كان المقام ليس مقام تأخير لكونه بشارة تمحضت لفادة  
الوقوع وتحقيق الوقوع يصل الى درجة الوجوب وفيه نظر لان  
ذلك يستفاد من المقام لا من السين  
والثاني ان السين يحصل بها ترتيب الفائدة لانها تفيد امرين  
الوعيد والاحبار بطريقة وانه متراخ فهو كالإخبار بالشيء مرتين  
ولا شك ان الاخبار بالشيء وتعيين طرقه مؤذن بتحقيقه عند  
المخبر به  
ثالثا النون الشديدة وهي بمنزلة ذكر الفعل ثلاث مرات  
وبالخفيفة فهي بمنزلة ذكره مرتين  
قيل وهذا النون لتأكيد الفعل في مقابلة تأكيد الاسم بان  
واللام ولم يقع  
في القرآن التأكيد بالخفيفة الا في موضعين ( وليكونن من  
الصاغرين ) وقوله تعالى ( لنسفعا بالناصية )  
ولما لم يتجاوز الثلاثة في تأكيد الاسماء فكذلك لم يتجاوزها في  
تأكيد الافعال قال تعالى ( فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ) لم  
يزد على ثلاثة مهل وامهل ورويدا كلها بمعنى واحد وهن فعلان  
واسم فعل  
رابعا ( لن ) لتأكيد النفي كان في تأكيد الاثبات فتقول لا ابرح  
فاذا اردت تأكيد النفي قلت لن ابرح  
قال سيبويه هي جواب لمن قال سيفعل يعني والسين للتأكيد  
فجوابها كذلك وقال الزمخشري لن تدل على استغراق النفي  
في الزمن المستقبل بخلاف لا وكذا قال في المفصل لن لتأكيد  
ما تعطيه لا من نفي المستقبل بخلاف لا وكذا قال في  
المفصل لن لتأكيد ما تعطيه لا من نفي المستقبل وبني على  
ذلك مذهب الاعتزال في قوله تعالى ( لن تراني ) قال هو دليل  
عن نفي الرؤية في الدنيا والاخرة وهذا الاستدلال حكاة امام  
الحرمين في الشامل عن المعتزلة ورد عليهم بقوله تعالى

## البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

( لليهود ) فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا ( ثم  
أخبر عن عامة الكفرة أنهم يتمنون الآخرة فيقولون ) يا ليتها  
كانت القاضية ( يعني الموت

ومنهم من قال لاتنفي الأبد ولكن الى وقت بخلاف قول  
المعتزلة وان النفي بلا اطول من النفي بلن لان آخرها الف  
وهو حرف يطول فيه النفس فناسب طول المدة بخلاف لن  
ولذلك قال تعالى ) لن تراني ( وهو مخصص بدار الدنيا  
وقال ) لا تدركه الأبصار ( وهو مستغرق لجميع أزمنة الدنيا  
والآخرة وعلل بان الألفاظ تشاكل المعاني ولذلك اختصت  
لابزيادة مدة

وهذا الطف من رأى المعتزلة ولهذا اشار ابن الزمكاني في  
التبيان بقوله لاتنفي ما بعد ولن تنفي ما قرب وبحسن  
المذهبيين اولوا الآيتين قوله تعالى ) ولن يتمنوه أبدا ( ولا  
يتمنونه أبدا )

ووجه القول الثاني ان ) ولا يتمنونه ( جاء بعد الشرط في قوله  
تعالى ) إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا  
الموت ( وحرف الشرط يعم كل الأزمنة فقول بل بلا ليعمم ما هو  
جواب له أي زعموا ذلك في وقت ما قيل لهم تمنوا الموت  
وأما ) ولن يتمنوه ( فجاء بعد قوله ) قل إن كانت لكم الدار  
الآخرة عند الله خالصة ( أي ان كانت لكم الدار الآخرة فتمنوا  
الموت الان استعجالا للسكون في دار الكرامة التي أعدها الله  
لأوليائه وأحبائه وعلى وفق هذا القول جاء قوله ) لن تراني (   
قلت والحق ان لا ولن لمجرد النفي عن الافعال المستقبلية  
والتأييد وعدمه يؤخذان من دليل خارج ومن احتج على التأييد  
بقوله ) فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ( ويقوله ) لن يخلقوا ذبابا  
( عورض بقوله ) فلن أكلم اليوم إنسيا ( ولو كانت للتأييد لم  
يقيد منفيها باليوم ويقوله ) ولن يتمنوه أبدا ( ولو كانت  
للتأييد لكان ذكر الابد تكريرا والأصل عدمه ويقوله ) لن نبرح  
عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ( لايقال هي مقيدة فلم  
تفد التأييد والكلام عند الاطلاق لان الخصم يدعى انها موضوعه  
لذلك فلم تستعمل في غيره وقد استعملت لا للاستغراق

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الإبدي في قوله تعالى ( لا يقضى عليهم فيموتوا ) وقوله ( لا تأخذه سنة ولا نوم ) ولا يئوده حفظهما وقوله ( ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ) وغيره مما هو للتأييد وقد استعملت فيه لا دون لن فهذا يدل على أنها لمجرد النفي والتأييد يستفاد من دليل آخر  
القسم الثاني الصفة

وهي مخصصة ان وقعت صفة للنكرة وموضحة للمعرفة  
الاسباب التي تاتي الصفة من أجلها وتأتي لأسباب  
أحدها لمجرد المدح والثناء ومنه صفات الله تعالى كقوله ( بسم الله الرحمن الرحيم ) فليس ذكر الوصف هنا للتمييز لانه ليس له مثل تعالى الله عن ذلك  
حتى يوضح بالصفة واخذ ابو الطيب هذا المعنى فذكر اسامى  
بعض ممدوحه ثم قال  
اساميا لم تزده معرفة  
وانما لذة ذكرناها

فقوله لم تزده بيان انها للاطناب والثناء لا للتعريف والتبيين  
وقيل ان الصفات الجارية على القديم سبحانه المراد بها  
التعريف فان تلك الصفات حاصلة له لا لمجرد الثناء ولو كانت  
للتناء لكان الاختيار قطعها ومنه قوله تعالى ( يحكم بها النبيون  
الذين أسلموا ) فهذا الوصف للمدح ليس غير لانه ليس يمكن  
ان يكون ثمة نبيون غير مسلمين كذا قاله الزمخشري  
قال واريد بها التعريض باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام  
التي هي دين الانبياء كلهم في القديم والحديث وان اليهود  
بمعزل عنها

والتحقيق ان هذه الصفة للتمييز وقد اطلق الله وصف الاسلام  
على الانبياء واتباعهم والأصل في المدح التمييز بين الممدوح  
وغيره بالاوصاف الخاصة والاسلام وصف عام فوصفهم  
بالاسلام اما باعتبار الثناء عليه او الثناء عليهم بعد النبوة تعظيما

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وتشريفًا له أو باعتبار أنهم بلغوا من هذا الوصف غاية لان معنى ذلك يرجع الى معنى الاستسلام والطاعة الراجعين الى تحقيق معنى العبودية التي هي اشرف اوصاف العباد فكذلك يوصفون بها في اشرف حالاتهم واكمل اوقاتهم وقوله تعالى حكاية عن ابراهيم  
واسماعيل ( ربنا واجعلنا مسلمين لك ( أي مستسلمين لامرك لقضائك وكذا قول يوسف ( توفني مسلما ( وكذلك قوله ) النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ( تنويه بقدر الاسلام وتنبيه على عظم امره فان الصفة تعظم بعظم موصوفها كما وصفت الملائكة المقربون بالايمان في قوله ) يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ( تنويها بقدر الايمان وحضا للبشر على التحلي به ليكونوا كالمقربين في وصف الايمان حتى قيل اوصاف الاشراف اشرف الاوصاف  
الثاني لزيادة البيان كذا قاله ابن مالك ومثله بقوله تعالى ( فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي )  
وليس ما قاله بواضح فان رسول الله كما يستعمل في نبينا صلوات الله وسلامه عليه يستعمل في غيره بطريق الوضع وتعريفه انما حصل بالاضافة  
فان قال قد كثر استعماله في نبينا ﷺ حتى انه لم يبق الذهن يتبادر الا اليه  
قلنا ليس هذا من وضعه بل ذلك من الاستعمال وقد استعمل في غيره قال تعالى ( فآمنوا بالله ورسوله ( وفي موضع آخر ) رسل الله ( وفي حق عيسى ) ورسولا إلى بني إسرائيل ( وفي حق موسى ) كما أرسلنا إلى فرعون رسولا )  
ثم ان الصفة انما تكون مثل الموصوف او دونه في التعريف واما ان تكون فوقه فلا لانها على كل حال تابعة والتابع دون المتبوع  
فان قيل كيف يصح ان يزال ابهام الشيء بما هو ابهم منه فالجواب ان التعريف لم يقع بمجرد الصفة وانما حصل بمجموع الصفة والموصوف لانهما كالشيء الواحد  
الثالث لتعيينه للجنسية كقوله تعالى ( وما من دابة في الأرض



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ولا طائر يطير بجناحيه ( لان المعنى دابة والذي سيق له الكلام الجنسية لا الافراد بدليل قوله تعالى ) إلا أمم أمثالكم ( فجمع ) أمم ( محقق ارادة الجنس من الوصف اللازم للجنس المذكور وهو كون الدابة غير منفكة عن كونها في الارض وكون الطائر غير منفك كونه طائرا بجناحيه لينتفي توهم الفردية هذا معنى ما اشار اليه السكاكي في المفتاح وحمل بعضهم كلامه على انه انما ذكر الوصف ليعلم ان المراد ليس دابه مخصوصة وهو بعيد لان ذلك معلوم قطعاً بدون الوصف لان النكرة المنفية لا سيما مع من الاستغراقية قطعية وقال الزمخشري ان معنى زيادة ) في الأرض ( و ) يطير بجناحيه ( يفيد زيادة التعميم والاحاطه حتى كانه قيل وما من دابة من جميع ما في الارض وما من طائر في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها ويحتمل ان يقال ان الطيران لما كان يوصف به من يعقل كالجان والملائكة فلو لم يقل ( بجناحيه ) لتوهم الاقتصار على حبسها ممن يعقل فقيل ( بجناحيه ) ليفيد ارادة هذا الطير المعتقد فيه عدم المعقولية بعينه وقيل ان الطيران يتسعمل لغة في الخفة وشدة الاسراع في المشي كقول الحماسي طاروا اليه زرافات ووحداً ف قوله ) يطير بجناحيه ( رافع لاحتمال هذا المعنى وقيل لو اقتصر على ذكر الطائر فقال ) وما من دابة في الأرض ولا طائر ( لكان ظاهر العطف يوهم ولا طائر في الارض لان المعطوف عليه اذا قيد بظرف او حال يقيد به المعطوف وكان ذلك يوهم اختصاصه بطير الارض الذي لا يطير بجناحيه كالدجاج والاوز والبط ونحوها فلما قال ) يطير بجناحيه ( زال هذا الوهم وعلم انه ليس بطائر مقيد انما تقيدت به الدابة وأما قوله تعالى ) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ( مع ان المعلوم ان الفساد

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

لا يقع الا في الارض قيل في ذكرها تنبيه على ان المحل الذي فيه شأنكم وتصرفكم ومنه مادة حياتكم وهي سترة اموالكم جدير الا يفسد فيه اذا محل الاصلاح لا ينبغي ان يجعل محل الافساد

وهذا بخلاف قوله تعالى في سورة براءة ( وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير ) لان المراد نفي النصير عنهم في جميع الارض فلو لم يذكر لاحتمل ان يكون ذلك خاصا ببعضها واما قوله تعالى ( ذلك قولهم بأفواههم ) وقوله تعالى ( إنما يأكلون في بطونهم نارا ) وقوله تعالى ( ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ) ونحوها من المقيد إذ القول لا يكون الا بالفم والاكل إنما يكون في البطن ففوائده مختلفة

فقيل ( بأفواههم ) للتنبيه على انه قول لا دليل عليه بل ليس فيه الا مجرد اللسان أي لا يعضده حجة ولا برهان وانما هو لفظ فارغ من معنى تحته كالألفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على شيء مؤثر لان القول الدال على معنى قول بالفم ومؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير او المراد بالقول المذهب أي هو مذهبهم بأفواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة عليه توجب اعتقاده بالقلب

وقيل انه رافع لتوهم ارادة حديث النفس كما في قوله تعالى ( ويقولون في أنفسهم )

وقيل لان القول يطلق على الاعتقاد فافاد ( بأفواههم ) التنصيص على انه باللسان دون القلب ولو لم يقيد لم يستفد هذا المعنى ويشهد له ( إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك ( الآية فلم يكذب السنتهم بل كذب ما انطوى عن ضمائرهم من خلافه

وانما قال ( في بطونهم نارا ) لانه يقال اكل في بطنه اذا امعن وفي بعض بطنه اذا اقتصر قال

كلوا في بعض بطنكم تعفوا

فان زمانكم زمن خميص

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

فكانه قيل ياكلون ما يجر اذا امتلات بطونهم نارا  
وانما قال التي في الصدور فانه سبحانه لما دعاهم الى التفكير  
والتعقل وسماع اخبار من معضي من الامم وكيف اهلكهم  
بتكذيبهم رسله ومخالفتهم لهم قال ( أفلم يسيروا في الأرض  
فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو أذان يسمعون بها )  
قال ابن قتيبة وهل شيء ابلغ في العظمة والعزة من هذه الآية  
لان الله تعالى اراد افلم يسيروا في الارض فينظروا الى آثار  
قوم اهلكهم الله بالكفر والعتو فيروا بيوتا خاوية قد سقطت  
على عروشها وبثرا يشرب اهلها فيها قد عطلت وقصرا بناه  
ملكه بالشيد خلا من السكن وتداعى بالخراب فيتعضوا بذلك  
ويخافوا من عقوبة الله مثل الذي نزل بهم  
ثم ذكر تعالى أن أبصارهم الظاهرة لم تعم عن النظر والرؤية  
وان عميت قلوبهم التي في صدورهم وقيل لما كانت العين قد  
يعني بها القلب في نحو قوله تعالى ( الذين كانت أعينهم في  
غطاء عن ذكري ) جاز ان يعنى بالقلب العين فقيد القلوب  
بذكر محلها رفعا لتوهم ارادة غيرها  
وقيل ذكر محل العمى الحقيقي الذي هو اولى باسم العمى من  
عمى البصر كما قال النبي ﷺ ليس الشديد بالصرعة انما  
الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب أي هذا اولى بان يكون  
شديدا منه فعمى القلب هو الحقيقي لا عمى البصر فاعمى  
القلب اولى ان يكون اعمى من اعمى العين فنبه بقوله ( التي  
في الصدور ) على ان العمى الباطن في العضو الذي عليه  
الصدر لا العمى الظاهر في العين التي محلها الوجه  
فوائد تتعلق بالصفة الاولى الصفة العامة لا تأتي بعد الصفة  
الخاصة

اعلم ان الصفة العامة لاتاتي بعد الصفة الخاصة لا تقول هذا  
رجل فصيح متكلم لأن المتكلم اعم من الفصيح إذ كل فصيح  
متكلم ولا عكس

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وإذا تقرر هذا اشكل قوله تعالى ( واذكر في الكتاب إسماعيل  
إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا )  
اذ لايجوز ان يكون ( نبيا ) صفة لرسول لان النبي اعم من  
الرسول اذ كل رسول من الآدميين نبي ولا عكس  
والجواب ان يقال انه حال من الضمير في ( رسولا ) والعامل  
في الحال مافي رسول من معنى يرسل أي كان اسماعيل  
مرسلا في حال نبوته وهي حال مؤكده كقوله ( وهو الحق  
مصدقا ) الثانية تاتي الصفة لازمة لا للتقييد  
كقوله تعالى ( ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به ) قال  
الزمخشري هو كقوله ( وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به  
سلطانا ) وهي صفة لازمة نحو قوله ( يطير بجناحيه ) جيء بها  
للتوكيد لا ان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان  
ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من  
احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه  
وقال الماتريدي هذا لبيان خاصة الاشراف بالله الا تقوم على  
صحته حجة لا بيان انه نوعان كما في قوله ( ولا طائر يطير  
بجناحيه ) هو بيان خاصة الطيران لا انه نوعان  
وقوله ( سفها بغير علم ) والسفه لا يكون الا عن جهل وقيل (   
بغير علم ) بمقدار قبحه  
وقوله ( ويقتلون النبيين بغير الحق ) ولا يكون قتلهم الا كذلك  
لان معناه بغير الحق في اعتقادهم لان التصريح بصفة فعلهم  
القيح ابلغ في ذمهم وان كانت تلك الصفة لازمه للفعل كما  
في عكسه ) قال رب احكم بالحق ( لزيادة معنى في التصريح  
بالصفة  
وقال بعضهم ولان قتل النبي قد يكون بحق كقتل ابراهيم عليه  
السلام ولده ولو وجد لكان بحق وقال الزمخشري انما قيده  
لانهم لم يقتلوا ولم يفسروا في الارض والا استوجبوا القتل  
بسبب كونه شبهة 3 وانما نصحوهم ودعوهم الا ما ينفعهم  
فقتلوهم ولو انصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يوجب عندهم  
القتل  
وكقوله تعالى ( فلا رفت ولا فسوق ولا جدال في الحج ) مع ان

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ذلك منهي عنه في غير الحج أيضا لكن خصص بالذكر هنا لتأكيد الامر وخطره في الحج وانه لو قدر جواز مثل ذلك في غير الحج لم يجز في الحج كيف وهو لايجوز مطلقا وقوله تعالى ( وأتموا الحج والعمرة لله ) ولم يذكر مثل ذلك في قوله تعالى ( ثم أتموا الصيام إلى الليل ) لان الرياء يقع في الحج كثيرا فاعتنى فيه بالامر بالاخلاص وقوله تعالى ( ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ) واتباع الهوى لا يكون الا كذلك وقيل بل يكون الهوى في الحق فلا يكون من هذا النوع وقوله تعالى ( ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ) فان حكمه تعالى حسن لمن يوقن ولمن لا يوقن لكن لما كان القصد ظهور حسنة والاطلاع عليه وصفة بذلك لان المؤمن هو الذي يطلع على ذلك دون الجاهل 3 وقوله تعالى ( فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ) والكتابة لا تكون الا باليد ففائدته مباشرة ذلك التحريف بانفسهم وذلك زيادة في تقبيح فعلهم فانه يقال كتب فلان كذا وان لم يباشره بل امر به كما في قول علي كتب النبي ﷺ يوم الحديبية الثالثة قد تاتي الصفة بلفظ والمراد غيره كقوله تعالى ( صفراء فاقع لونها ) قيل المراد سوداء ناصع وقيل بل على بابها ومنه قوله تعالى ( كأنه جمالة صفر ) قيل كانه اينق سود وسمي الاسود من الابل اصفر لانه سواد تعلوه صفرة الرابعة قد تجيء للتنبيه على التعميم كقوله تعالى ( كلوا من ثمره إذا أثمر ) مع ان المعلوم انما يؤكل اذا اثمر فقيل فائدته نفي توهم توقف الاباحة على الادارك والنضج بدلالته على الاباحه من اول اخراج الثمرة وقوله تعالى ( ومن شر حاسد إذا حسد ) وقوله ( ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ) فان غير مال اليتيم كذلك لكن انما خصه بالذكر لان الطمع فيه اكثر نعجزه وقلة الناصر له بخلاف ما البالغ او لان التخصيص بمجموع الحكمين وهما النهي عن قربانه بغير الاحسن

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقوله ) وإذا قلتم فاعدلوا ( مع ان الفعل كذلك وقصد به ليعلم  
وجوب العدل في الفعل من باب اولى كقوله ) فلا تقل لهما  
أف ( الخامسة قد يحتمل اللفظ كثيرا من الاسباب السابقة  
وله امثله منها قوله تعالى ) وقال الله لا تتخذوا إلهين إنما  
هو إله واحد ( فان ابن مالك وغيره من النحويين جعلوه نعتا  
قصد به مجرد التأكيد

ولقائل ان يقول ان الهين مثنى والاثنان للثنوية فما فائدة  
الصفة وفيه وجوه احدهما قاله ابن الخباز ان فائدتها توكيد نهى  
الاشراك بالله سبحانه وذلك

لأن العبرة في النهي عن اتخاذ الالهين انما هو لمحض كونهما  
اثنين فقط ولو وصف الهين بغير ذلك من الصفات كقوله  
لاتتخذوا الهين عاجزين لاشعر بان القادرين يجوز ان يتخذوا  
فمعنى التثنية شامل لجميع الصفات فسبحان من دقت حكمته  
في كل شيء

ونظير هذا ما قال الاخفش في قوله ) فإن كانتا اثنتين ( انما  
الثاني ان الوحدة تطلق ويراد بها النوعية ومنه قوله ؓ انما  
نحن وبنو عبد المطلب شيء واحد وتطلق ويراد بها العدد نحو  
انما زيد رجل واحد فالتثنية باعتبارها فلو قيل لا تتخذوا إلهين  
فقط لصح في موضوعه أن يكون نهيا عن اتخاذ جنسين آلهة  
وجاز ان يتخذ من نوع واحد اعداد آلهة لانه يطلق عليهم انهم  
واحد لاسيما وقد يتخيل ان الجنس الواحد لا يتضاد مطلوباته  
فيصح فلما قال ) اثنين ( بين فيه قبح التعدد للإله وانه منزه  
عن العددية وقد اوما اليه الزمخشري بقوله الا ترى انك لو  
قلت انما هو اله ولم تصفه بواحد لم يحسن وقيل لك انك نفيت  
الالهية لا الوجدانية

الثالث انه لما كان النهي واقعا على التعدد والاثنية دون  
الواحد اتى بلفظ الاثنين لان قولك لاتتخذ ثوبين يحتمل النهي  
عنهما جميعا ويحتمل النهي عن الاقتصار عليهما فاذا قلت  
ثوبين اثنين علم المخاطب انك نهيته عن التعدد والاثنية دون  
الواحد وانك انما اردت منه الاقتصار على ثوب واحد فتوجه  
النفي الى نفس التعدد العدد

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

فانى باللفظ الموضوع له الدال عليه فكانه قال لاتعدد الآلهه  
ولا تتخذ عددا تعبده انما هو اله واحد  
الرابع ان اتخذ هي التي تتعدى الى مفعولين ويكون ( اثنين  
( مفعولهما الاول و ) إلهين ( مفعولهما الثاني واصل الكلام  
لاتتخذوا اثنين الهين ثم قدم المفعول الثاني على الاول ويدل  
على التقديم والتاخير ان الهين اخص من اثنين واتخاذ اثنين يقع  
على مايجوز وعلى ما لا يجوز واما اتخاذ اثنين الهين فلا يقع الا  
على مايجوز وقدم الهين على اثنين اذ المقصود بالنهي  
اتخاذهما الهين فالنهي وقع على معنيين الآلهة المتخذة وعلى  
هذا فلا بد من ذكر الاثنين والالهين اذهما مفعولا لاتخاذ  
قال صاحب البسيط وهذا الوجه هو الجيد ليخرج بذلك على  
التأكيد واما اذا جعل إلهين مفعول اتخذوا واثنين صفة فانه ايضا  
لايخرج عن الوصف الى التأكيد لانه لايستفاد من اثنين ما  
استفيد من الهين لان الاول يدل على العدد والجنس والثاني  
على مجرد الاثنينية  
قال وهذا الحكم في قوله تعالى ( من كل زوجين اثنين ) في  
دخول اثنين في حد الوصف الا ان من قرا بتنوين كل فانه  
حذف المضاف اليه وجعل التنوين عوضا عنه و ( زوجين  
( مفعول احمل او فاسلك واثنين نعت ومن يحتمل انه متعلق  
بفعل الامر ويحتمل ان يتعلق بمحذوف لكونه حالا من نكرة  
تقدم عليها والتقدير احمل او اسلك فيها زوجين اثنين من كل  
صنف ومن قرأ باضافة كل احتمل وجهين احدهما ان تجعل  
اثنين المفعول والجار والمجرور متعلق  
بفعل الأمر المحذوف كما تقدم والثاني جعل من زائدة على  
راي الأخفش وكل هي المفعول واثنين صفة  
الخامس انه بدل وينوي بالأول الطرح واختاره النيلي في شرح  
الحاجبية قال لما فيه من حسم مادة التأويل ونظير السؤال  
في الآية قوله تعالى ( فإن كانتا اثنتين ) فان مروان بن سعد  
المهلبى سأل أبا الحسن الاخفش فقال ما الفائدة في هذا  
الخبر اراد مروان ان لفظ كانتا تفيد التثنية فما فائدة تفسيره  
الضمير المسمى باثنتين مع انه لايجوز فان كانتا ثلاثا ولا فوق

## البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ذلك فلم يفصل الخبر الاسم في شئ فاجاب أبو الحسن بانه افاد العدد المحض مجردا عن الصفة أي قد كان يجوز ان يقال فان كانتا صغيرتين فلهما كذا او كبيرتين فلهما كذا او صالحتين او غير ذلك من الصفات فلما قال ( اثنتين ) افهم ان فرض الثلثين للاختين تعلق بمجرد كونهما اثنتين فقط على أي صفة وهي فائدة لا تحصل من ضمير المثني ومعناه انهم كانوا في الجاهلية يورثون البنين دون البنات وكانوا يقولون لا نورث الا من يحمل الكل وينكئ العدو فلما جاء الاسلام بتوريث البنات اعلمت الآية ان العبرة في احد الثلثين من الميراث منوط بوجود اثنتين من الاخوات من غير اعتبار امر زائد على العدد قال الحريري والعمري لقد ابدع مروان في استنباطه وسؤاله واحسن ابو الحسن في كشف اشكاله ولقد نقل ابن الحاجب في اماليه هذا الجواب عن ابي علي الفارسي وقد بينا

انه من كلام الأخفش ثم اعترض عليه بأن اللفظ وإن كان صالحا لإطلاقه على المثني مجردا عن الصفات لا يصح إطلاقه خبرا دالا على التجريد من الصفات وإنما يعنى باللفظ ذاته الموضوع له ألا ترى أنك إذا قلت جاءني رجل لا يفهم إلا ذات من غير أن يدل على تجريد عن مرض أو جنون أو عقل فكذلك اثنتين لا تدل إلا على مسمى اثنتين فقط فلم يستفد منه شيء زائد على المستفاد من ضمير التثنية ثم لو سلم صحة إطلاق اللفظ كذلك فلا يصح هاهنا إذ لو صح لجاز أن يقال فإن كانتا على أي صفة حصل ولو قيل ذلك لم يصح لأن تثنية الضمير في كانتا عائد على الكلالة والكلالة تكون واحدا وإثنين وجماعة فإذا أخبر باثنتين حصلت به فائدة

ثم لما كان الضمير الذي في كانتا العائد على الكلالة هو في معنى اثنين صح أن تثنية لأن تثنيته فرع عن الإخبار باثنين إذ لولاه لم يصح أنه لم تستفد التثنية إلا من إثنين وقد أورد على ذلك اعتراض آخر وهو ان هذه الآية مماثلة لقوله تعالى ( يوصيكم الله في أولادكم ( ثم قال ) فإن كن نساء ( ) وإن كانت واحدة ( ولو كان على ما ذكرتم لوجب أن يصح



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

إطلاق الأولاد على الواحد كما في الكلالة وإلا لكان الضمير  
لغير مذكور  
والجواب بشيء يشمل الجميع وهو ان الضمير قد يعود على  
الشيء باعتبار المعنى الذي سيق إليه ونسب إلى صاحبه فإذا  
قلت إذا جاءك رجال فإن كان واحدا فافعل به كذا وإن كان  
اثنين فكذا صح إعادة الضمير باعتبار المعنيين لأن المقصود  
الجائي وكأنك قلت وإن كان الجائي من الرجال لأنه علم من  
قولك إذا جاءك والآية سيق لبيان  
الوارثين الأولاد فكانه قيل فإن كان الوارث من الاولاد لأنه  
المعنى الذي سيق له الكلام فقد دخلت الاثنان باعتبار هذا  
المعنى  
ويجوز أن تبقى الآية الأولى على ما ذكرنا ويختص هذا الجواب  
بهذه

قلت وفي هذه الآية ثلاثة أجوبة آخر  
أحدها أنه كلام محمول على المعنى أي فإن كان من ترك  
اثنتين وهذا مفيد فاضمره على ما بعد و من يسوغ معها ذكر  
الاثنين لأنه لفظ مفرد يعبر به عن الواحد والاثنين والجمع فإذا  
وقع الضمير موقع من جرى مجراها في جواز الإخبار عنها  
بالإثنين

الثاني ان يكون من الاشياء التي جاءت على اصولها المرفوضة  
كقوله تعالى ( استحوذ عليهم الشيطان ) وذلك ان حكم  
الاعداد فيما دون العشرة ان تضاف الى المعدود كثلاثة رجال  
واربعة ابواب فكان القياس ان يقول اثنين رجل وواحد رجل  
ولكنهم رفضوا ذلك لانك تجد لفظه تجمع العدد والمعدود  
فتغنيك عن اضافة احدهما الى الاخر وهو قولك رجلان ورجل  
وليس كذلك ما فوق الاثنتين الا ترى انك اذا قلت ثلاثة لم يعلم  
المعدود ما هو واذا قلت رجال لم يعلم عددهم ما هو فانت  
مضطر الى ذكر العدد والمعدود فلذلك قيل كان الرجال ثلاثة  
ولم يقل كان الرجال ثلاثة ولم يقل كان الرجلان اثنتين ولا  
الرجلان كانا اثنتين فاذا استعمل شيء من ذلك كان استعمالا  
للشيء المرفوض كقوله ظرف عجز فيه إثننا حنظل

## البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

فان قيل كيف يحمل القرآن عليه وانما هو الشعر  
قيل إنا وجدنا في القرآن اشياء جاءت على الاصول المرفوضة  
كالستحوذ ونظائرها

الثالث ان المراد فان كانتا اثنتين فصاعدا فعبر بالأدنى عنه  
وعما فوقه قال ابن الضائع النحوي  
قلت ونظائرها قوله تعالى ( فإن لم يكونا رجلين ) فإن  
الرجولية المثناة فهمت من الضمير بدليل ( واستشهدوا  
شهيدين من رجالكم ) فالظاهر ان قوله ( رجلين ) حال لاخبر  
فكانا لمعنى فإن لم يوجدوا حال كونهما رجلين ومثله قوله  
تعالى ( إني وضعتها أنثى ) فان الانوثة فهمت من قوله ( وضعتها )

وأورد بعضهم السؤال في الاول فقال الضمير في ( يكونا  
( للرجلين لأن ) شهيدين ( قيدا بانهما من الرجال فكان الكلام  
فان لم يكن الرجلان رجلين وهذا محال  
واجاب بعضهم بما اجاب به الاخفش في آية المواريث ان الخبر  
هنا افاد العدد المجرد عن الصفة

وهذا ضعيف اذ وضع فيه الرجلين موضع الاثنين وهو تجوز بعيد  
والذي ذكره الفارسي المجرد منهما الرجولية او الانوثة او  
غيرها من الصفات فكيف يكون لفظ موضوع لصفة ما دالا  
على نفيها

على ان في جواب الفارسي هناك نظرا فإنه لم يرد على أن  
جعل نفس السؤال جوابا كانه قيل مل ذكر العدد وهو متضمن  
للضمير فقال لانه يفيد العدد المجرد فلم يزد الالفاظ تجردا  
قال واما من اجاب بأن ( رجلين ) منصوب على الحال المبينة  
وكان تامه فهو اظرف من الاول فانه سئل عن وجه النظم  
واسلوب البلاغة ونفي مالا يليق بها من الحشو فاجاب  
بالإعراب ولم يجب عن السؤال بشيء والذي يرد عليه وهو  
خبر يرد عليه وهو حال وما زادنا الا التكلف في جعله حالا  
والذي يظهر في جواب السؤال هو ان ( شهيدين ) لما صح ان  
يطلق على المرأتين بمعنى شخصين شهيدين لما صح ان  
يطلق على المرأتين بمعنى شخصين شهيدين قيده بقوله

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

تعالى ) من رجالكم ( ثم اعاد الضمير في قوله تعالى ) فإن لم يكونا ( على الشهيدين المطلقين وكان عودة عليهما ابلغ ليكون نفي الصفة عنهما كما كان إثباتها لهما فيكون الشرط موجبا ونفيا على الشاهدين المطلقين لان قوله ) من رجالكم ( كالشرط كانه قال إن كانا رجلين وفي النظم على هذا الاسلوب من الارتباط وجرى الكلام على نسق واحد مالا خفاء به وأما في آية المواريث فالظاهر ان الضمير وضع موضع الظاهر اختصارا لبيان المعنى بدليل انه لم يتقدمه ما يدل عليه لفظا فكأنه قال فإن كان الوارث اثنين ثم وضع ضمير الاثنين موضع الوارث الذي هو جنس لما كان المراد به منه الاثنان وايضا فان الاخبار عن الوارث وان كان جمعا باثنين ففيه تفاوت ما لكونه مفرد اللفظ فكان الاليق بحسن النظم وضع المضمير موضع الظاهر ثم يجري الخبر على من حدث عنه وهو الوارث فيجري الكلام في طريقه مع الايجاز في وضع المضمير الظاهر والسلامة من تفاوت اللفظ في الاخبار عن لفظ معرد بمثنى ونظير هذا مما وقع فيه اسم موضع غيره ايجازا ثم جرى الكلام مجراه في الحديث عن هوله وان لم يذكر قوله تعالى ) وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون ( فعاد هذا الضمير والخبر على اهل القرية الذين اقيمت القرية في الذكر مقامهم فجرى الكلام مجراه مع حصول الايجاز في وضع القرية موضع اهلها وفهم المعنى بغير كلفة وهذه الغاية في البيان يقصد عن مداها الانسان ومنها قوله تعالى ) فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ( قال ابن عمرون لما فهم منها التأكيد ظن بعضهم انها ليست بصفة وليس بجيد لانها دلالة على بعض احوال الذات وليس في ) واحد ( دلالة على نفخ فدل على انها ليست تأكيدا وفي فائدة ) واحدة ( خمسة اقوال احدها التوكيد مثل قولهم أمس الدابر الثاني وصفها ليصح ان تقوم مقام الفاعل لانها مصدر والمصدر لايقوم مقام الفاعل الا اذا وصف ورد بان تحديدها بتاء التأنيث مصحح لقيامها مقام الفاعل

## البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الثالث أن الوحدة لم تعلم من نفخة الا ضمنا وتبعاً لان قولك نفخة بفهم منه امران النفخ والوحدة فليست نفخة موضوعة للوحدة فلذلك صح وصفها  
الرابع وصفه النفخة بوحدة لأجل نفي توهم الكثرة كقوله تعالى ( وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ) فالنعمة في اللفظ واحدة وقد علق عدم الاحصاء بعدها  
الخامس اتى بالوحدة ليدل على ان النفخة لا اختلاف في حقيقتها فهي واحدة بالنوع كقوله ( وما أمرنا إلا واحدة ) أي لا اختلاف في حقيقته  
ومنها قوله تعالى ( وإلهكم إله واحد ) قيل ما فائدة ( إله ) وهلا جاء وإلهكم واحد وهو أوجز قيل لو قال وإلهكم واحد لكان ظاهره إخباراً عن كونه واحداً في إلهيته يعني لا إله غيره ولم يكن إخباراً عن توحيده في ذاته بخلاف ما إذا كرر ذكر الإله والاية إنما سيقت لإثبات أحديته في ذاته ونفي ما يقوله النصراني انه اله واحد والأقانيم ثلاثة أي الأصول كما أن زيدا واحداً وأعضاؤه متعددة فلما قال ( إله واحد ) دل على أحدية الذات والصفة  
ويقائل ان يقول قوله ( واحد ) يحتمل الأحدية في الذات والأحدية في الصفات سواء ذكر إله أولاً فلا يتم الجواب ومنها قوله ( ومائة الثالثة الأخرى ) ومعلوم بقوله ( الثالثة ) أنها الأخرى وفائدته التأكيد ومثله على رأي الفارسي ( وأنه أهلك عاداً الأولى )  
وأما قوله ( فخر عليهم السقف من فوقهم ) قيل بمعنى عن أي خر عن كفرهم بالله كما تقول اشتكى فلان عن دواء شربه أي من أجل كفرهم او بمعنى اللام أي فخر لهم وقيل لأن العرب لاتستعمل لفظه على في مثل هذا الموضع الا في الشر والأمر المكروه تقول خربت على فلان ضيعته كقوله ( واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان )  
( ويقولون على الله الكذب ) ( أتقولون على الله ما لا تعلمون ) ( وقيل لانه يقال سقط عليه موضع كذا إذا كان يملكه وإن لم يكن من فوقه بل تحته فدل قوله تعالى ( من فوقهم ) على

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الفوقية الحقيقية وما أحسن هذه المقابلة بالفوقية بما تقدم  
من قوله ( فأتى الله بنيانهم من القواعد ) كما تقول اخذ برجله  
فسقط على رأسه السادسة إذا اجتمع مختلفان في الصراحة  
والتأويل

إذا اجتمع مختلفان في الصراحة والتأويل قدم الاسم المفرد ثم  
الظرف أو عديله ثم الجملة كقوله تعالى ( اسمه المسيح  
عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم  
الناس في المهدي وكهلا ومن الصالحين ) فقوله ( وجيها ) حال  
وكذلك ( من المقربين ) وقوله ( ويكلم ) وقوله ( من  
الصالحين ) فهذه أربعة احوال انتصبت عن قوله ( كلمة  
( والحال الأولى جيء بها على الأصل اسما صريحا والثانية في  
تأويله جار ومجرور وجيء بها هكذا لوقوعها فاصلة في الكلام  
ولو جيء بها اسما صريحا لناسبت الفواصل والثالثة جملة  
فعلية والرابعة جار ومجرور

ومنه قوله تعالى ( وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم  
إيمانه ) قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما )  
ولما كان الظرف فيه شبه من المفرد وشبه من الجملة جعل  
بينهما

وقد أوجب ابن عصفور وليس كما قال فقد قال تعالى ( فسوف  
يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين ) ولا  
يقال إن ( أذلة ) بدل لأنه مشتق والبدل إنما يكون في الجوامد  
كما نص عليه هو وغيره

وأما قوله تعالى ( وهذا كتاب أنزلناه مبارك ) ف قيل إنه من  
تقديم الجملة على المفرد ويحتمل أن يكون ( مبارك ) خبرا  
لمحذوف فلا يكون من هذا الباب السابعة في اجتماع التابع

والمتبوع  
في اجتماع التابع والمتبوع انهم يقدمون المتبوع فيقولون أبيض  
ناصع وأصفر فاقع وأحمر قان و أسود غريب قال الله تعالى ( صفراء  
فاقع لونها ) والمعنى ان التابع فيه زيادة الوصف فلو  
قدم لكان ذكر الموضوع بعده عيبا إلا أن يكون لمعنى أوجب  
تقديمه

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقد أشكل على هذه القاعدة قوله تعالى ( وغرايب سود ) وهي من الآيات التي صدئت فيها الأذهان الصقيله وعادت بها أسنة الألسنة مفلولة ومن جملة العجائب أن شيخا أراد أن يحتج على مدرس لما ذكر له هذا السؤال فقال إنما ذكر السواد لانه قد يكون في الغربان مافيه بياض وقد رأيته ببلاد المشرق فلم يفهم من الآية إلا أن الغرايب هو الغراب ولا قوة إلا بالله والذي يظهر في ذلك أن الموجب لتقديم ( غرايب ) هو تناسب الكلم وجريانها على نمط متساوي التركيب وذلك انه لما تقدم البيض والحمرة دون إبتاع كان الأليق بحسن النسق وترتيب النظام أني يكون السود كذلك ولكنه لما كان في السود هنا زيادة الوصف كان الأليق في المعنى أن يتبع بما يقتضي ذلك وهو الغرايب فيقابل حظ اللفظ وحظ المعنى فوفى الخطاب وكمل الغرضان جميعا ولم يطرح أحدهما الآخر فيقع النقص من جهة الطرح وذلك بتقديم الغرايب على السود فوقع في لفظ الغرايب حظ المعنى في زيادة الوصف وفي ذكر السود مفردا من الإبتاع حظ اللفظ إذا جاء مجردا عن صورة البيض والحمرة فاتسقت الألفاظ كما ينبغي وتم المعنى كما يجب ولم يخل بواحدة من الوجهين ولم يقتصر على الغرايب وإن كانت متضمنه لمعنى السود لئلا تتنافر الألفاظ فان ضم الغريب إلى البيض والحمرة ولزها في قرن واحد كابن اللبون إذا مالز في قرن غير مناسب لتلاؤم الألفاظ وتشاكلها وبذكر السود وقع الالتئام واتسق نسق النظام وجاء اللفظ والمعنى في درجة التمام وهذا لعمر الله من العجائب التي تكل دونها العقول وتعيها بها الألسن لا تدري ما تقول والحمد لله

ثم رأيت أبا القاسم السهيلي أشار إلى معنى غريب فنقل عن ابي حنيفة الدينوري أن الغريب اسم لنوع من العنب وليس بنعت قال ومن هذا يفهم معنى الآية وسود عندي بدل لا نعت وإن كان الغريب اذا اطلق لفظه ولم يقيد بذكر شيء موصوف قلما يفهم منه العنب الذي هو اسمه خاصة فمن ثم حسن التقييد الثامنة عند تكرار النعوت لواحد

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إذا تكررت النعوت لواحدة فتارة يترك العطف كقوله ( ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم ) وتارة تشترك بالعطف كقوله ( سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى ) ويشترط في ذلك اختلاف معانيها قال الزمخشري وأبو البقاء دخول العاطف يؤذن بأن كل صفة مستقلة والعطف أحسن إن تباعد معنى الصفات نحو ( هو الأول والآخر والظاهر والباطن ) وإلا فلا التاسعة فصل الجمل في مقام المدح والذم وأبلغ من جعلها نمط واحدا

قال أبو علي الفارسي إذا ذكرت صفات في معرض المدح والذم فالاحسن أن يخالف في إعرابها لأن المقام يقتضي الإطناب فإذا خولف في الإعراب كان المقصود أكمل لأن المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفتن وعند الإيجاز تكون نوعا واحدا

ومثله في المدح قوله ( والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة ) فانتصب ( والمقيمين ) على القطع وهو من صفة المرفوع الذي هو ( المؤمنون ) وقيل بل انتصب بالعطف على قوله ( بما أنزل إليك ) وهو مجرور وكأنه قال يؤمنون بالذي أنزل إليك وبالمقيمين أي بإجابة المقيمين والأول أولى لأن الموضع للتفخيم فالإيق به إضمار الفعل حتى يكون الكلام جملة لا مفردا

ومثله قوله تعالى ( ولكن البر من آمن بالله ) إلى قوله ( والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين ) نص عليه سيبويه وجوز السيرافي أن يحمل على قوله ( وأتى المال على حبه ذوي القربى ) إلى أن قال ( والصابرين ) ورده الصفار بأنه لا يعطف على الموصول قبل تمام الصلة وإن كان ( والصابرين ) معطوفا على ( والسائلين ) فهو من صلة من فكذلك المعطوف عليه والصواب أن يكون المعطوف من صلة من وتكون الصلة كملت

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

عند قوله تعالى ( وآتى الزكاة ) ثم أخذ في القطع ومثاله في الذم ( وامراته حمالة الحطب ) بنصب ( حمالة ) تنبيهان ( الأول إنما يحسن القطع بشرطين احدهما أن يكون الموصوف معلوماً أو منزلاً منزلة المخاطب لا يتصور عنده البناء على مجهول وقولنا أو منزلاً منزلة المعلوم لا بد منه وقال الزمخشري في قوله تعالى ( الذي له ملك السماوات والأرض ) رفع على الإبدال من ( الذي نزل ) أو رفع على المدح أو نصب عليه ال الطيبي والإبدال أولى لان من حق صلة الموصول أن تكون معلومة عند المخاطب وكونه تعالى ( نزل الفرقان على عبده ) لم يكن معلوماً للعالمين فأبدل بقوله ( له ملك السماوات والأرض ) بيانا وتفسيرا وتبين لك المدح وجوابه ما ذكرنا أن المنزل بمنزلة المعلوم منزلة المعلوم وها هنا لقوة دليله أجرى مجرى المعلوم وجعلت صلة نص عليه سبويه والجمهور وثانيهما أن يكون الصفة للثناء والتعظيم واشترط بعضهم ثالثاً وهو تقدم الإتيان حكاها ابن بابشاذ وزيفة الاستاذ أبو جعفر بن الزبير وقال إنما يتم ذلك إذا كان الموصوف يفتقر إلى زيادة بيان فحينئذ يتقدم الإتيان ليستحكم العلم بالموصوف أما إذا كان معلوماً فلا يفتقر إلى زيادة بيان قال والأصل فيما الصفة فيه مدح أو ذم والموصوف معلوم قطع الضمير وهو الأفصح ولا يشترط غير ذلك وقد أورد على دعوى أفصحيه القطع عند ذلك إجماع القراء السبعة على الإتيان في قوله تعالى ( الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ) فضعفوا قراءة النصب على القطع مع حصول شرطي القطع وأجاب ابن الزبير بأن اختيار القطع مطرد ما لم تكن الصفة خاصة بمن جرت عليه لا يليق ولا يتصف بها سواه ولا شك أن هذا الضرب قليل جداً فكذلك لم يفصح سبويه باشتراطه فإذا كانت الصفة ممن لا يشارك فيها الموصوف غيره وكانت



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

مختصة بمن جرت عليه فالوجه فيها الاتباع ونظير ذلك في صفات الله سبحانه وتعالى مما يتصف به غيره فلذلك لم يقطع وعليه ورد السماع لهذه الايات الشريفة وكذلك قوله تعالى ( حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول ) لما كان وصفه تعالى ب ( غافر الذنب ) وما بعده لا يليق بغيره لم يكن فيه إلا الإلتباع والإتباع لا يكون غلا بعد القطع ويلزم افتتباع في الكل

وهذا مع تكرر الصفات وذلك من مسوغات القطع على صفة ما وعند بعضهم من غير تقييد بصفة وأما الإلتباع فيما لم يقع فيه الاختصاص من صفته تعالى فكثير فهذا هو السماع وله وجه في القياس وهو شبيه بالوارد في سورة والنجم في قوله تعالى ( وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا ) ثم قال بعد ( وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعري ) فورد في هذه الجمل الأربع الفصل بالضمير المرفوع بين اسم إن وخبرها ليتحدد بمفهومه نفي الاتصاف عن غيره تعالى بهذه الأخبار وكان الكلام في قوة أن لو قيل وأنه هو لا غيره

ولم يرد هذا الضمير في قوله تعالى ( وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ) لأن ذلك مما لا يتعاطاه أحد لا حقيقة ولا مجازا ولا ادعاء بخلاف الإحياء والإماتة فيما حكاه الله تعالى عن نمرود قلت وما ذكره في الجواب يرد عليه قوله تعالى ( التائبون العابدون ) والآية وقوله تعالى ( أن يبده أزواجا خيرا منكن مسلمات ) الايات

ومما يرد عليه بالنسبة لأوصاف الذم قوله ( ولا تطع كل حلاف مهين هماز ) الاية قد جرت كلها على ما قبلها بالإتباع ولم يجر فيها القطع

وقرأ الحسن ( عتل ) بالرفع على الذم قال الزمخشري وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك الثاني قد يلتبس المنصوب على المدح بالاختصاص وقد فرق سبويه بينهما فيما بين

## البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

والفرق أن المنصوب على المدح ان يكون المتصب لفظا يتضمن نفسه مدحا نحو هذا زيد عاقل قومه وفي الاختصاص لا يقتضي اللفظ ذلك كقوله تعالى ( رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ) فيمن نصب ) أهل ( العاشرة في وصف الجمع بالمفرد

يوصف الجمع بالمفرد قال تعالى ( ممن خلق الأرض والسموات العلى ) فوصف الجمع بالمفرد وقال تعالى ( ولله الأسماء الحسنى ) فوصف الأسماء وهي جمع اسم بالحسنى وهو مفرد تأنيث الأحسن وكذلك قوله تعالى ( فما بال القرون الأولى ) فإن الأولى تأنيث الأول وهو صفة لمفرد

وإنما وصف الجمع بالمفرد لأن اللفظ المؤنث يجوز إطلاقه على جماعة المؤنث بخلاف لفظ المذكر وأما قوله تعالى ( وكنتم قوما بورا ) والبور الفاسد فقال الرماني هو بمعنى الجمع إلا أنه ترك جمعه في اللفظ لأنه مصدر وصف وقد يوصف الجمع بالجمع ولا يوصف مفرد كل منهما بالمفرد ومنه ( فوجد فيها رجلين يقتتلان ) فثنى الضمير ولا يقال في الواحد يقتتل ومنه ( وأخر متشابهات ) و لا يقال وأخرى متشابهة الحادية عشر قد تدخل الواو على الجملة الواقعة صفة تأكيدا ذكره الزمخشري وجعل منه قوله تعالى ( وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ) قال الجملة صفة لقرية والقياس عدم دخول الواو فيها كما في قوله تعالى ( وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ) وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف وقد أنكره عليه ابن مالك والشيخ أبو حيان وغيرهما والقياس مع الزمخشري لأن الصفة كالحال في المعنى وزعم بعضهم أنه لا يؤتى بالواو في الصفات إلا إذا تكررت النعوت وليس كذلك ومنه قوله تعالى ( ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ) وقوله تعالى ( أتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرنا للمتقين ) وتقول جاءني زيد والعالم

## البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الثانية عشرة الصفة لاتقوم مقام الموصوف إلا على استكراه لأنها إنما يؤتى بها للبيان والتخصيص أو المدح والذم وهذا في موضع الإطالة لا الاختصار فصار من باب نقص الغرض وقال ابن عمرو عندي أن البيان حصل بالصفة والموصوف معا فحذف الموصوف بنقص الغرض ولأنه ربما أوقع لبسا ألا ترى أن قولك مررت بطويل يحتمل أنه رجل أو قوس أو غير ذلك إلا إذا ظهر أمره ظهورا يستغنى به عن ذكره كقوله تعالى ( وعندهم قاصرات الطرف عين )

قال السخاوي ولا فرق في صفة النكرة بين أن يذكر معها أولا قال ابن عمرو وليس قوله بشيء القسم الثالث البديل والقصد به الإيضاح بعد الإبهام وهو يفيد البيان والتأكيد أما البيان فإنك إذا قلت رأيت زيدا أخاك بينت أنك تريد بزيد الآخ لاغير وأما التأكيد فلأنه

على نية تكرار العامل ألا ترى أنك إذا قلت ضربت زيدا جاز أن تكون ضربت رأسه أو يده أو جميع بدنه فإذا قلت يده فقد رفعت ذلك الإبهام فالبديل جار مجرى التأكيد الدلالة الأولى عليه أو المطابقة كما بدل الكل أو التضمن كما في بدل البعض أو الألتزام كما في بدل الاشمال فإذا قلت ضربت زيدا رأسه فكأنك قد ذكرت الرأس مرتين مرة بالتضمن وأخرى بالمطابقة وإذا قلت شربت ماء البحر بعضه فإنه مفهوم من قولك شربت ماء البحر أنك لم تشربه كله فجئت بالبعض تأكيدا

وهذا معنى قول سيبويه ولكنه بني الاسم تأكيدا وجرى مجرى الصفة في الإيضاح لأنك إذا قلت رأيت أبا عمرو زيدا ورأيت غلامك زيدا ومررت برجل صالح زيد فمن الناس من يعرفه بأنه غلامك أو بأنه رجل صالح ولا يعرف أنه زيد وعلى العكس فلما ذكرتهما أثبت باجتماعهما المقصود

وهذا معنى قول الزمخشري وإنما يذكر الأولى لتجاوز التوطئة وليفاد بمجموعهما فضل تأكيد وتبيين لا يكون في الأفراد وقال ابن السيد ليس كل بدل يقصد به رفع الإشكال الذي يعرض في المبدل منه بل من البديل ما يراد به التأكيد وإن كان

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ما قبله غنيا عنه كقوله تعالى ( وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله ) ألا ترى أنه لو لم يذكر الصراط الثاني لم يشك أحد أن الصراط المستقيم هو صراط الله وقد نص سيبويه على أن من البدل ما الغرض منه التأكيد ولهذا جوزوا بدل المضمَر من المضمَر كلقبته أباه انتهى والفرق بينه وبين الصفة أن البدل في تقدير تكرار العامل وكأنه في التقدير من جملتين بدليل تكرر حرف الجر في قوله ( قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم ) وبدليل بدل النكرة من المعرفة والمظهر من المضمَر وهذا مما يمتنع في الصفة فكما أعيدت اللام الجارة في الإسم فكذلك تكرر العامل الرفع أو الناصب في تقدير التكرار وهو إن كان كذلك فلا يخرج عن أن يكون فيه تبين للأول كالصفة وقيل لأبي علي كيف يكون البدل إيضاحا للمبدل منه وهو من غير جملته فقال لما لم يظهر العامل في البدل وإنما دل عليه العامل في المبدل منه وارسل البدل بالمبدل منه في اللفظ جاز أن يوضحه ومن فوائد البدل التبين علي وجه المدح فقولك هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم فلان أبلغ من قولك فلان الأكرم والأفضل بذكره مجملا ثم مفصلا وقال الأخفش والواحد في بدل البعض من الكل نحو ( ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ) يسمى هذا بدل البيان لأن الأول يدل على العموم ثم يؤتى بالبدل إن اريد البعض واعلم أن في كلام البدلين أعني بدل البعض وبدل الاشتمال بيانا وتخصيضا للمبدل منه وفائدة البدل أن ذلك الشيء يصير مذكورا مرتين إحداهما بالعموم والثانية بالخصوص ومن أمثله قوله تعالى ( اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين ) ( أمنا برب العالمين رب موسى وهارون ) وقوله ( لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة ) وفائدة الجمع بينهما أن الأولى ذكرت للتخصيص على ناصية والثانية على علة السفح ليشمل بذلك

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ظاهر كل ناصية هذه صفتها  
ويجوز بدل المعرفة من المعرفة نحو ( الصراط المستقيم  
صراط الذين )  
وبدل النكرة من المعرفة نحو ( بالناصية ناصية كاذبة ) قال ابن  
يعيش ولا يحسن بدل النكرة من المعرفة حتى توصف كالأية  
لأن البيان مرتبط بهما جميعا والنكرة من النكرة كقوله تعالى (   
إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا  
( فحدائق وما بعدها بدل من مفازا  
ومنه قوله تعالى ) وغرابيب سود ( فان سود بدل من غرابيب  
لأن الأصل سود غرابيب فغرابيب في الأصل صفة لسود ونزع  
الضمير منها وأقيمت مقام الموصوف ثم ابدل منها الذي كا  
موصوفا بها كقوله تعالى ) ومن يتبع غير الإسلام دينا ( وقوله )  
وشروه بثمن بخس دراهم معدودة ( فهذا بدل نكرة موصوفة  
من أخرى موصوفة فيها بيان الأولى  
ومثل أبدال النكرة المجردة من مثلها مجردة وبدل المعرفة  
من النكرة ) وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله ( لأن  
صراط الله مبين إلى الصراط  
المستقيم فإن مجيء الخاص والخاص بعد العام والاعم كثير  
ولهذا المعنى قال الحدائق في قوله تعالى ) ما يلفظ من قول )  
إنه لو عكس فقليل ما يقول من لفظ لم يجر لأن القول اخص  
من اللفظ لاختصاصه بالمستعمل واللفظ يشمل المهمل الذي  
لا معنى له  
وقد بجيء للاشتمال والفرق بينه وبين بدل البعض أن البدل  
في البعض جر في الاشتمال وصفا كقوله ) وما أنسانيه إلا  
الشیطان أن أذكره ( فإن ) أذكره ( بمعنى ذكره وهو بدل من  
الهاء في ) أنسانيه ( العائدة إلى الحوت وتقديره وما أنساني  
ذكره إلا الشيطان  
وقوله ) يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ( ف ) قتال  
( بدل من الشهر بدل الاشتمال لان الشهر يشتمل على القتال  
وعلى غيره كما كان زيد يشتمل على العقل وغيره وهو مؤكد  
لأنهم لم يسألوا عن الشهر الحرام فانهم يعلمونه وإنما سألوا

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

عن القتال فيه فجاء به تأكيداً  
وقوله ( قتل أصحاب الأخدود النار ) فالنار بدل من الأخدود  
بدل اشتمال لأنه يشتمل على النار وغيرها والعائد محذوف  
تقديره الموقدة فيه  
ومن بدل البعض قوله تعالى ( ولله على الناس حج البيت من  
استطاع إليه سبيلاً ) فالمستطيعون بعض الناس لآكلهم  
وقال ابن برهان بل هذه بدل كل من كل واحتج بأن الله لم  
يكلف الحج من لا يستطيعه فيكون المراد بالناس بعضهم على  
حد قوله ( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم )  
في انه لفظ عام اريد به خاص لان ( الناس ) في اللفظ الاول  
لو كان المراد به الاستغراق لما انتظم قوله بعده ( إن الناس  
فعلى هذا هو عنده مطابق لعدة المستطيعين في كميتهم  
وهم بعض الناس لاجميعهم  
والصحيح ما صار عليه الجمهور لان باب البدل ان يكون في  
الثاني بيان ليس في الأول بان يذكر الخاص بعد العام مبيناً  
وموضحاً  
ولا بد في ابدال البعض من ضمير كقوله ( ولولا دفع الله الناس  
بعضهم ببعض ) ويجعل الخبيث بعضه على بعض )  
وقد يحذف لدليل كقوله ( ولله على الناس حج البيت من  
استطاع ) منهم وهو مراد بدليل ظهوره في الآية الأخرى وهي  
قوله ( وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم ) ( ف ) من آمن  
( بدل من ) أهله ( وهم بعضهم  
وقد يأتي البدل لنقل الحكم عن مبدله نحو جاء القوم أكثرهم  
واعجبني زيد ثوبه وقال ابن عصفور ولا يصح غلمانه  
وعدل عن البدل في قوله تعالى ( إن الذين ينادونك من وراء  
الحجرات أكثرهم لا يعقلون ) لانه اريد الإخبار عنهم كلهم في  
الحال الثاني وهو ( ولو أنهم صبروا ) فلو أبدل لأوهم بخلاف  
انك ان تقوم خير لك البدل ارجح  
والبدل في تقدير تكرير العامل وليس كالصفة ولكنه في تقدير  
جملتين بدليل تكرير حرف الجر

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

قد يكرر عامله إذا كان حرف جر كقوله ( ومن النخل من  
طلعها قنوان دانية ( ف ) طلعها ( بدل اشتمال من ) النخل  
( وكرر العامل فيه وهو ) من )  
وقوله تعالى ( قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين  
استضعفوا لمن آمن منهم ( ) لمن آمن ( بدل بعض من كل من  
( الذين استضعفوا ( لأن المؤمنين بعض المستضعفين وقد  
كرر اللام  
وقوله ( ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر  
بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ( فقوله ( لبيوتهم ( بدل  
اشتمال من قوله ( لمن يكفر بالرحمن ( وجعل ابن عطية اللام  
الاولى للملك والثانية للاختصاص فعلى هذا يمتنع البديل  
لاختلاف معنى الحرفين  
وقوله تعالى ( تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا ( ) لأولنا وآخرنا  
( بدل من الضمير في ) لنا ( وقد اعيد معه العامل مقصودا به  
التفصيل ز  
ومنه قراءة يعقوب ( وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى  
كتابها ( قال ابو الفتح جاز ابدال الثانية من الاولى لان في  
الثانية ذكر سبب الجثو  
قيل ولم يظهر عامل البديل اذا كان حرف جر ايذانا فافتقار  
الثاني إلى الأول فان حروف الجر مفتقرة ولم يظهر الفعل اذا  
لو اظهروه لانقطع الثاني عن الأول بالكلية لأن الكلام مع  
الفعل قائم بنفسه  
واعلم انه لاخلاف في جواز اطهار العامل في البديل اذا كان  
حرف جر كالايات السابقة فان كان رافعا او ناصبا ففيه خلاف  
والمجوزون احتجوا بقوله تعالى ( فاتقوا الله وأطيعون واتبوا  
الذي أمركم بما تعلمون أمركم ( فيجوز ان يكون ) أمركم  
( الثاني بدلا من ) أمركم ( الأول وقد يكون من ابدال الجملة  
من الجملة وتكون الثانية صلة الذي كالاولى ويجوز ان تكون  
الثانية شارحة للأولى كقولك ضربت راس زيد قذفته بالحجر ثم  
قوله تعالى ( يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم  
( ابدل قوله ) اتبعوا من لا يسألكم ( من قوله ) اتبعوا

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

المرسلين ( لانه اكثر تلطفا في اقتضاء اتباعهم وقوله تعالى )  
ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب ( ف ) يلق  
( مجزوم بحذل الالف لانه جواب الشرط ثم أبدل منه )  
يضاعف له العذاب ( فبين بها الاثام ما هو  
تقسيم البدل باعتبار آخر  
ينقسم البدل باعتبار آخر الى بدل مفرد من مفرد وجملة من  
جملة وقد سبقا وجملة من مفرد كقوله تعالى ) كمثل آدم  
خلقه من تراب ( وقوله ) ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من  
قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ( وجاز اسناد ) يقال  
إلى ما علمت فيه كما جاز إسناد ) قيل ( في ) وإذا قيل إن  
وعد الله حق )  
ومن إبدال الجملة من المفرد قوله تعالى ) وأسروا النجوى  
الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم  
تبصرون )  
قال الزمخشري هذا الكلام كله في محل نصب بدلا من )  
النجوى )  
ويبدل الفعل من الفعل الموافق له في المعنى مع زيادة بيان  
كقوله تعالى ) ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب  
( الآية )  
والرابع بدل المفرد من الجملة كقوله ) ألم يروا كم أهلكنا  
قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون ( ف ) إنهم ( بدل لان  
الإهلاك وعدم الرجوع بمعنى واحد  
فإن قلت لو كان بدلا لكان معه الاستفهام  
قيل هو بدل معنوي تنبيه في تكرار البدل  
وقد يكرر البدل كقوله ) إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه  
الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه  
( فقوله ) إذ هما ( بدل من قوله ) إذ أخرجه الذين كفروا  
( وقوله ) إذ يقول لصاحبه ( بدل من ) إذ هما في الغار )  
تنبيه في إعراب كلمة أزر في سورة الانعام  
أعربوا ) أزر ( من قوله تعالى ) وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر ( بدلا  
قال ابن عبد السلام والبدل لا يكون إلا للبيان والأب لا يلتبس



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

بغيزة فكيف حسن البدل  
والجواب أن الأب يطلق على الجد بدليل قوله ( آبائي إبراهيم  
وإسحاق ويعقوب ) فقال أزر لدفع توهم المجاز  
هذا كله إذا قلنا إن أزر اسم أبيه لكن في المعرب للجواليقي  
عن الزجاج لاخلاف إن اسم أبي إبراهيم تارح والذي في القرآن  
يدل على أن اسمه أزر وقيل أزر ذم في لغتهم وكأنه يامخطيء  
وهو من العجمي الذي وافق لفظه لفظ العربي نحو الإزار  
والإزرة قال تعالى ( أخرج شطاها فأزره )  
وعلى هذا فالوجه الرفع في قراءة ( أزر ) القسم الرابع عطف  
البيان

وهو كالنعت في الايضاح وإزالة الإشتراك الكائن فيه  
وشرط صاحب الكشاف فيه أن يكون وضوحه زائدا على  
وضوح متبوعه

ورد ما قاله بان الشرط حصول زيادة الوضوح بسبب انضمام  
عطف البيان مع متبوعه لا أن الشرط كونه اوضح واشهر من  
الاول لان من الجائز ان يحصل باجتماع الثاني مع الاول زيادة  
وضوح لا تحصل حال انفراد كل واحد منهما كما في خالي ابو  
عبد الله زيد مع أن اللقب اشهر فيكون في كل واحد منهما  
خفاء بانفراده ويرفع بالانضمام  
وقال سيبويه جعل يا هذا الحمد عطف بيان مع ان اسم الاشارة  
اعرف من المضاف الى ذي اللام  
وقيل يشترط ان يكون عطف البيان معرفة والصحيح أنه ليس  
بشرط كقولك لبست ثوبا جبة

وقد اعرف الفارسي ( من شجرة مباركة زيتونة ) وكذا (  
فكفارته إطعام عشرة مساكين ) وكذلك صاحب المفتاح في (  
لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد )

فان قلت ما الفرق بينه وبين الصفة قلت عطف البيان وضع  
ليدل على الايضاح باسم يختص به وان استعمل في الايضاح  
كالمدح في قوله تعالى ( جعل الله الكعبة البيت الحرام ) فان  
( البيت الحرام ) عطف بيان جيء به للمدح لا للايضاح وأما  
الصفة فوضعت لتدل على معنى حاصل في متبوعه وإن كانت

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

في بعض الصور مفيدة للإيضاح للعلم بمتبوعها من غيرها  
( وكقوله تعالى ) إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله ( وقوله  
تعالى ) آيات بينات مقام إبراهيم )  
وزعم الزمخشري في قوله تعالى ( أسكنوهن من حيث  
سكنتم من وجدكم ( أن ) من وجدكم ( عطف بيان  
وهو مردود فإن العامل إنما يعاد في البديل لا في عطف  
البيان

فان قلت ما الفرق بينه وبين البديل  
قلت قال أبو جعفر النحاس ما علمت أحدا فرق بينهما إلا ابن  
كيسان فإن الفرق بينهما أن البديل يقرر الثاني في موضع  
الأول وكأنك لم تذكر الأول وعطف البيان أن تقدر أنك أن  
ذكرت الاسم الأول لم يعرف إلا بالثاني وإن ذكرت الثاني لم  
يعرف إلا بالأول فجئت بالثاني مبينا للأول قائما له مقام  
النعته والتوكيد

قال وتظهر فائدة هذا في النداء تقول يا أخانا زيد اقبل على  
البديل كأنك رفعت الأول وقلت يا زيد اقبل فإن اردت عطف  
البيان قلت يا أخانا زيد اقبل القسم الخامس ذكر الخاص  
بعدم العام

فيؤتى به معطوفا عليه بالواو وللتنبية على فضله حتى كأنه  
ليس من جنس العام تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير  
في الذات وعلى هذا بني المتنبي قوله

فإن تفق الأنام وأنت منهم  
فإن المسك بعض دم الغزال  
وابن الرومي أيضا حيث قال  
كم من أب قد علا بابن ذرا شرف  
كما علت برسول الله عدنان

وحكى الشيخ أثير الدين عن شيخه أبي جعفر بن الزبير أنه  
كان يقول إن هذا العطف يسمى بالتجريد كأنه جرد من  
الجملة وأفرد بالذكر تفصيلا  
وله شرطان ذكرهما ابن مالك أحدهما كون العف بالواو والثاني كون المعطوف ذا مزية

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وحكي قولين في العام المذكور هل يتناول الخاص المعطوف عليه أولا يتناوله فعلى القول الأول يكون هذا نظير مسألة نعم الرجل زيد على المشهور فيه وهو الظاهر من لفظ العام وعلى الثاني يكون عطف الخاص قرينه دالة على إرادة التخصيص في العام وأنه لم يتناوله وهو نظير بحث الاستثناء في نحو قولك قام القوم إلا زيدا من أن زيدا لم يدخل في القوم وقد يتقوى هذا بقوله

ياحب ليلى لاتغير وازدد  
وانم كما ينمو الخضاب في اليد

وإن كان هذا ليس من العطف العام وقد اشار الزمخشري الى القولين في سورة الشعراء في قوله ( في جنات و عيون وزروع ونخل طلعها هضيم ) وقد يقال آية الشعراء إنما جاز فيها الاحتمالان من جهة أن لفظ جنات وقع بلفظ التنكير ولم يعم الجنس وأما الآية السابقة فالإضافة تعم ولا ينبغي أن يجعل من هذا قوله تعالى ( فيهما فاكهة ونخل ورمان ) اما على قول ابي حنيفة ومحمد فواضح لأنهما يقولان إن النخل والرمان ليسا بفاكهة وأما على قول أبي يوسف فقوله فاكهة مطلق وليس بعام ومن أمثله قوله تعالى ( حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ) على القول بانها احدى الصلوات الخمس قلنا إن المراد غيرها كالوتر والضحى والعيد فليس من هذا الباب

وقوله تعالى ( والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة ) مع أن التمسك بالكتاب يشمل كل عبادة ومنها الصلاة لكن خصها بالذكر إظهارا لمرتبتها لكونها عماد الدين وقوله تعالى ( من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكايل ) فان عداوة الله راجعه الى عداوة حزبه فيكون جبريل كالمذكور اربع مرات فإنه اندرج تحت عموم ملائكته وتحت عموم رسله ثم عموم حزبه ثم خصوصه بالتخصيص عليه

ويجوز ان يكون عومل معاملة العدد فيكون الذكر ثلاثا وذكرهما بعد الملائكة مع كونهما من الجنس دليل على قصد التنويه بشرفهما على ان التفصيل

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

إن كان بسبب الأفراد فقد عدل للملائكة مثله بسبب الإضافة وقد يلحظ شرفهما على غيرهما  
وأیضا فالخلاف السابق في أن ذكر بعض افراد العام بعد العام هل يدل على انه لم يدخل في العام فرارا من التكرار أو يدخل وفائدته التوكيد وحكاه الروياني في البحر من كتاب الوصية وخرد عليه ما إذا اوصى رجل لزيد بدينار وبثلث ماله للفقراء وزيد فقير فهل يجمع له بين ما أوصى لديه وبين شيء من الثلث على ما أراد الوصي وجهان والأصح انه لا يعطى غير الدينار لأنه بالتقدير قطع اجتهاد الوصي ز قلت والقول بعدم دخوله تحت اللفظ هو قول ابي علي الفارسي وتلميذه ابن جني وعلى هذا القول فلا يحسن عد هذه الآية من هذا النوع  
وأیضا فإذا اجتمع في الكلام معطوفان هل يجعل الآخر معطوفا على الأول او على ما يليه وقع في كلام الزمخشري في مواضع من الكشاف تجويز الأمرين  
فذكر في قوله تعالى ( إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ) أن مخرجا معطوف على ( فالق ) لا على ( يخرج ) فرارا من عطف الاسم على الفعل واخالفه ابن مالك وأوله  
وذكر أيضا في قوله تعالى ( إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر )  
على هذه القراءة انه معطوف على ( الله ) لأن قضاءه قديم وذكر أيضا في قوله تعالى ( الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ) حاصله أن قوله ( يا أيها الناس ) إذا اريد به العموم كان قوله ( وخلق منها زوجها ) عطفا على مقدر أي انشأها واوجدها ) وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ( يعني خلقكم من نفس هذه صفتها وإن اريد به المخاطبون بمكة كان قوله ( خلق ) عطفا على ( خلقكم ) وموجب ذلك الفرار من التكرار وعلى هذا فيجوز ان يكون جبريل معطوفا على لفظ الجلالة فلا تكون الآية من هذا النوع ولو سلمنا بعطفه على رسله

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

فكذلك لكن الظاهر أن المراد بالرسول من بني آدم لعطفهم  
على الملائكة فليسوا منه  
وفي الآية سؤالان  
أحدهما لم خص جبريل وميكائيل بالذكر الثاني لم قدم جبريل  
عليه والجواب عن الأول انه سبحانه وتعالى خصهما بالحياة  
فجبريل بالوحي الذي هو حياة القلوب وميكائيل بالرزق الذي  
هو حياة الأبدان ولانهما كانا سبب النزول في تصريح اليهود  
بعداوتهما  
وعن الثاني أن حياة القلوب أعظم من حياة الأبدان ومن ثم  
قيل

عليك بالنفس فاستكمل فضائلها  
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

ومنه قوله تعالى ( فيهما فاكهة ونخل ورمان ) وغلط بعضهم  
من عد هذه الآية من هذا النوع من جهة أن فاكهة نكرة في  
سياق الإثبات فلا عموم لها  
وهو غلط لأمرين أحدهما انها في سياق الإثبات وهو مقتضى  
العموم كما ذكره القاضي أبو الطيب الطبري  
والثاني أنه ليس المراد بالخاص والعام هاهنا المصطلح عليه  
في الأصول بل كل ما كان الأول فيه شاملا للثاني  
وهذا الجواب أحسن من الأول لعمومه بالنسبة إلى كل مجموع  
يشتمل على متعدد  
ولما لمح أبو حنيفة معنى العطف وهو المغايرة لم يحنث  
الحالف على أكل الفاكهة بأكل الرمان  
ومنه قوله تعالى ( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون  
بالمعروف وينهون عن المنكر ) إذ الأمر والنهي من جملة  
الدعاء إلى الخير  
وقوله تعالى ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل  
على محمد ) والقصد تفضيل النبي ﷺ وما نزل عليه إذ لا يتم

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الإيمان إلا به  
وقوله ( ولهم فيها منافع ومشارب )  
وقوله ( ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا  
( ففائدة قوله ) ومن الذين أشركوا ( مع دخولهم في عموم  
الناس أن حرصهم على الحياة أشد لانهم كانوا لا يؤمنون  
بالبعث  
وقوله ) الذين يؤمنون بالغيب ( فهذا عام ) وبالأخرة هم  
يوقنون ( وإن كان الإيمان بالغيب يشملها ولكن خصها لانكار  
المشركين لها في قولهم ) ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا (  
فكان في تخصيصهم بذلك مدح لهم  
وقوله ) اقرأ باسم ربك الذي خلق ( فعم بقوله ) خلق ( جميع  
مخلوقاته ثم خص فقال ) خلق الإنسان من علق ( )  
وقوله تعالى ( إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير )  
فإنه عطف اللحم على الميتة مع دخوله في عموم الميتة لأن  
الميتة كل ما ليس له ذكاة شرعية والقصد به التنبيه على شدة  
التحريم فيه تنبيه  
ظاهر كلام الكثيرين تخصيص هذا العطف بالواو وقد سبق عن  
ابن مالك وآخرين مجيئه في أو في قوله ( ومن يعمل سوءا أو  
يظلم نفسه ) مع أن ظلم النفس  
من عمل السوء فليل هو بمعنى الواو والمعنى يظلم نفسه  
بذلك السوء حيث دساها بالمعصية وقوله تعالى ( ومن أظلم  
ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلي ( فإن الوحي  
مخصوص بمزيد قبح من بين أنواع الأفتراء خص بالذكر تنبيها  
على مزيد العقاب فيه والإثم  
وقوله تعالى ( والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ) مع  
أن فعل الفاحشة داخل فيه قيل أريد به نوع من انواع ظلم  
النفس وهو الربا أو كل كبيرة فخص بهذا الاسم تنبيها على  
زيادة قبحه وأريد بظلم النفس ما وراء ذلك من الذنوب القسم  
السادس ذكر العام بعد الخاص  
وهذا أنكر بعض الناس وجوده وليس بصحيح  
والفائدة في هذا القسم واضحه والاحتمالان المذكوران في

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

العام قبله ثابتان هنا أيضا ومنه قوله ( إن صلاتي ونسكي  
( والنسكُ العبادة فهو أعم من الصلاة  
وقوله ) ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام  
الغيوب )  
وقوله ( ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم )  
وقوله إخبار عن نوع ) رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي  
مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات )  
وقوله ( فإن الله هو مولاة وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة  
بعد ذلك ظهير )  
وجعل الزمخشري منه قوله تعالى ( ومن يدبر الأمر ) بعد قوله  
( قل من يرزقكم )  
واعلم أن هذين النوعين يقعان في الأفعال والأسماء لكن  
وقوعهما في الأفعال لا يأتي إلا في النفي وأما في الإثبات  
فليس من هذا الباب بل من عطف المطلق على المقيد أو  
المقيد على المطلق القسم السابع عطف أحد المترادفين  
على الآخر أو ما هو قريب منه في المعنى والقصد منه التأكيد  
وهذا إنما يجيء عند اختلاف اللفظ وإنما يحسن بالواو ويكون  
في الجمل كقوله ) أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى )  
ويكثر في المفردات كقوله ( فما وهنوا لما أصابهم في سبيل  
الله وما ضعفوا وما استكانوا )  
وقوله ( فلا يخاف ظلما ولا هضما ) ( لا تخاف دركا ولا تخشى  
)  
وقوله ( ثم عيس وبسر )  
وقوله ( إنما أشكو بثي وحزني إلى الله )  
وقوله ( لا تبقي ولا تذر )  
وقوله ( وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه )  
وقوله ( لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ) قال الخليل العوج والأمت  
بمعنى واحد وقيل الأمت أن يغلظ مكان ويرق مكان قاله ابن  
فارس في المقاييس وهو راجع لما قاله الخليل  
وقوله ( أنا لا نسمع سرهم ونجواهم )  
وقوله ( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

( وقوله ) إلا دعاء ونداء )  
وفرق الراغب بين النداء والدعاء بأن النداء قد يقال إذا قيل يا  
أو أيا ونحوه من غير أن يضم إليه الاسم والدعاء لا يكاد يقال إلا  
إذا كان معه الاسم نحو يافلان  
( وقوله ) إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا )  
( وقوله ) إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض )  
( وقوله ) لا يمسننا فيها نصب ولا يمسننا فيها لغوب ( فإن نصب  
مثل لغب وزنا ومعنى ومصدرا  
( وقوله ) أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ( على قول من  
فسر الصلاة بالرحمة والأحسن خلافه وأن الصلاة للاعتناء  
وإظهار الشرف كما قاله الغزالي وغيره وهو قدر مشترك بين  
الرحمة والدعاء والاستغفار وعلى هذا فهو من عطف  
المتغايرين  
وقال الزمخشري في قوله تعالى ) والذين يؤمنون بما أنزل  
إليك وما أنزل من قبلك ( إنهم هم المذكورون أولا وهو من  
عطف الصفة على الصفة  
واعترض عليه بأن شرط عطف الصفة على الصفة تغاير  
الصفتين في المعنى تقول جاء زيد العالم والجواد والشجاع أي  
الجامع لهذه المعاني الثلاثة المتغايرة ولا تقول زيد العالم  
والعالم فإنه تكرار والآية من ذلك لأن المعطوف عليه قوله  
تعالى ) الذين يؤمنون بالغيب ( والمعطوف قوله تعالى )  
والذين يؤمنون بما أنزل إليك ( والمنزل هو الغيب بعينه  
ويحتمل أن يقال المعطوف عليه مطلق الغيب والمعطوف  
غيب خاص فيكون من عطف الخاص على العام  
وجعل منه بعضهم قوله تعالى ) وإن يكذبوك فقد كذب الذين  
من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير  
( فإن المراد بالكتاب المنير  
هو الزبور ونقله على إجماع المفسرين لما تضمنه من النعت  
كما تعطف النعوت بعضها على بعض وهذا يردده تكرار الباء فإنه  
يشعر بالفصل لأن فائدة تكرار العامل بعد حرف العطف إشعار  
بقوة الفصل من الاول والثاني وعدم التجوز في العطف



# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الشيء على نفسه  
والذي يظهر أنه للتأسيس وبيانه وجوه  
أحدها أن قوله تعالى ( جاءتهم ) يعود الضمير فيه على  
المكذبين للنبي ﷺ وعلى الذين من قبلهم فيكون النبي ﷺ داخلا  
في المرسلين المذكورين والكتاب المنير هو القرآن وقوله  
تعالى ( ثم أخذت الذين كفروا ) معطوف على قوله تعالى (  
فقد كذب الذين من قبلهم ) أي كذبوا ثم أخذتهم بقيام الحجة  
عليهم ) بالبينات والزبر والكتاب المنير ( وجاء تقديم قيام  
الحجة عليهم قبل العطف اعتراضا للاهتمام به وهو من ادق  
وجوه البلاغة ومثله في آية آل عمران قوله تعالى ( فقد كذب  
رسل من قبلك ) وقوله ( جاؤوا ) انصراف من الخطاب إلى  
الغيبة كأنه قال جاء هؤلاء المذكورون فيكون النبي ﷺ داخلا في  
الضمير وهو في موضع جئتم بالبينات فأقام الإخبار عن الغائب  
مقام المخاطب كقوله تعالى ( وجرين بهم ) وفيه وجه من  
التعجب كأن المخاطب إذا استعظم الأمر رجع إلى الغيبة ليعم  
الإخبار به جميع الناس وهذا موجود في الآيتين  
والثاني أن يكون على حذف مضاف كأنه قيل الكتاب المنير  
يعني القرآن  
فيكون مثل قوله ( ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد  
( وهذا وجه حسن تنبيهات  
الأول انكر المبرد هذا النوع ومنع عطف الشيء على مثله إذا لا  
فائدة فيه وأول ما سبق باختلاف المعنيين ولعله ممن ينكر  
أصل الترادف في اللغة كالعسكري وغيره  
ما ذكرناه من تخصيص هذا النوع بالواو هو المشهور وقال ابن  
مالك وقد انببت أو عنها كما في قوله تعالى ( نشوزا أو إعراضا  
( ) ومن يكسب خطيئة أو إثما )  
قال شيخنا وفيه نظر لامكان أن يراد بالخطيئة ما وقع خطأ  
وبالإثم ما وقع عمدا قلت ويدل له قوله تعالى قبل ذلك ( ومن  
يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه )  
وجعل منه بعضهم قوله ﷺ اللهم إني أسالك بكل اسم هو لك  
سميت به نفسك أو انزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

او أستأثرت به في علم الغيب عندك  
قلت ما ذكره ابن مالك قد سبقه به ثعلب فيما حكاه ابن سيده  
في المحكم فقال ثعلب في قوله تعالى ( عذرا أو نذرا ) العذر  
والنذر واحد

قال اللحياني وبعضهم يثقل  
وعن الفراء أنه يجري في العطف بثم وجعل منه قوله ( ويا  
قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ) قال معناه وتوبوا إليه لان  
التوبة الاستغفار وذكر بعضهم أنه قد تجرد عن العطف وجعل  
منه قوله تعالى ( وغرابيب سود ) والغرابيب هي السود ( سبلا  
فجاجا ) ( الرحمن الرحيم ) وغير ذلك

الثالث مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع أن يعتقد أن  
مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما فإن  
التركيب يحدث معنى زائدا وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة  
المعنى فكذلك كثرة الألفاظ القسم الثامن الإيضاح بعد الإبهام  
ليرى المعنى في صورتين أو ليكون بيانه بعد التشوف إليه لانه  
يكون الذ للنفس وأشرف عندها وأقوى لحفظها وذكرها كقوله  
تعالى ( وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين  
)

وقوله تعالى ( قل هو الله أحد ) فإن وضع الضمير موضع  
الظاهر معناه البيان أو الحديث أو الأمر لله أحد مكفوا بها ثم  
فسر وكان أو وقع في النفس من الإتيان به مفسرا من أول  
الأمر ولذلك وجب تقديمه وتفيد به الجملة المراد تعظيما له  
وسياتي عكسه في وضع الظاهر موضع المضمرة  
ومثله التفصيل بعد الإجمال كقوله تعالى ( إن عدة الشهور عند  
الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض  
منها أربعة حرم )

وعكسه كقوله تعالى ( ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعت  
تلك عشرة كاملة )

وقوله تعالى ( وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم  
ميقات ربه أربعين ليلة ) ( وأعاد قوله ) أربعين ( وإن كان  
معلوما من الثلاثين والعشر أنها أربعون لنفي اللبس لأن العشر

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

لما أتت بعد الثلاثين التي هي نص في المواعدة دخلها الاحتمال أن تكون من غير المواعدة فأعاد ذكر الأربعين نفيًا لهذا الاحتمال وليعلم أن جميع العدد للمواعدة وهكذا قوله تعالى ( فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ) اعاد ذكر العشرة لما كانت الواو تجيء في بعض المواضع للإباحة وقوله كاملة تحقيق لذلك وتأكيده

فإن قلت فإذا كان زمن المواعدة أربعين فلم كانت ثلاثين ثم عشرًا

أجاب ابن عساكر في التكميل والإفهام بأن العشر إنما فصل من أولئك ليتحدد قرب انقضاء المواعدة ويكون فيه متأهبا مجتمع الرأي حاضر الذهن لأنه لو ذكر الأربعين أولا لكانت متساوية فإذا جعل العشر فيها إتماما لها استشعرت النفس قرب التمام وتجدد بذلك عزم لم يتقدم

قال وهذا شبيه بالتلوم الذي جعله الفقهاء في الآجال المضروبه في الاحكام ويفصلونه من أيام الأجل ولا يجعلونها شيئًا واحدا ولعلمهم استنبطوه من هذا

فإن قلت فلم ذكر في هذه السورة أعني الأعراف الثلاثين ثم العشر وقال في البقرة ( وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ) ولم يفصل العشر منها

والجواب والله أعلم أنه قصد في الأعراف ذكر صفة المواعدة والإخبار عن كيفية وقوعها فذكر على صفتها وفي البقرة إنما ذكر الامتنان على بني إسرائيل بما أنعم به عليهم فذكر نعمة عليهم مجملة فقال ( وإذ فرقنا بكم البحر ) ( وإذ أنجيناكم من آل فرعون )

وأعلم أنه يخرج لنا مما سبق جوابان في ذكر العشرة بعد الثلاثة والسبعة إما الإجمال بعد التفصيل وإما رفع الالتباس ويضاف إلى ذلك أجوبه

ثالثها أنه قصد رفع ما قد يهجس في النفوس من أن المتمتع إنما عليه صوم سبعة أيام لا أكثر ثلاثة منها في الحج ويكمل سبعا إذا رجع

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

رابعها أن قاعدة الشريعة أن الجنسين في الكفارة لا يجب على المكفر الجمع بينهما فلا يلزم الحالف أن يطعم المساكين ويكسوهم ولا المظاهر العتق والصوم فلما اختلف محل هذين الصومين فكانت ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع صاروا باختلاف المحليين كالجنسين والجنسان لا يجمع بينهما وأفادت هذه الزيادة وهي قوله ( تلك عشرة كاملة ) رفع ما قد يهجنس في النفوس من أنه إنما عليه أحد النوعين إما الثلاثة وإما السبع الخامس أن المقصود ذكر كمال لا ذكر العشرة فليست العشرة مقصودة بالذات لأنها لم تذكر إلا للإعلام بأن التفصيل المتقدم عشرة لأن ذلك من المعلوم بالضرورة وإنما ذكر لتوصف بالكامل الذي هو مطلوب في القصة السادس أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا والتقدير فصيام عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعتم وهذا وإن كان خلاف الأصل لكن الإشكال الجأنا إليه السابع أن الكفارات في الغالب إنما تجب متتابعة ككفارات الجنائيات ولما فصل هاهنا بين صوم هذه الكفارة بالإفطار قبل صومها بذكر الفدية ليعلم أنها وإنما كانت منفصلة فهي كالمتصله فإن قلت فكفارة اليمين لا تجب متتابعة ومن جنس هذه الكفارة ما يجب على المحرم إذا حلق ثلاث شعرات ومن عجز عن الفدية فإنه يصوم ثلاثة أيام ولا يشترط التتابع قلت هي في حكم المتتابعة بالنسبة إلى الثواب إلا أن الشرع خفف بالتفريق ثامنها أن السبع قد تذكر والمراد به الكثرة لا العدد والذي فوق الستة ودون الثمانية وروى أبو عمرو بن العلاء وابن الأعرابي عن العرب سبع الله لك الأجر أي أكثر ذلك يريدون التضعيف وقال الأزهري في قوله تعالى ( إن تستغفر لهم سبعين مرة ) هو جمع السبع الذي يستعمل للكثرة وإذا كان كذلك فاحتمل أن يتوهم أن المراد بالسبع ما هو أكثر من السبع ولفظها معطوف على الثلاثة بألة الجمع فيفضي إلى الزيادة في

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

الكفارة على العدد المشروع فيجب حينئذ رفع هذا الاحتمال  
بذكر الفذلكة وللعرب مستند قوي في إطلاق السبع والسبعة  
وهي تزيد الكثرة ليس هذا موضع ذكره  
تاسعها أن الثلاثة لما عطف عليها السبعة احتمل أن يأتي بعدها  
ثلاثة أو غيرها من الأعداد فقيدهم بال عشرة ليعلم أن المراد كمل  
وقطع الزيادة المفضية للتسلسل  
عاشرها أن السبعة المذكورة عقب الثلاثة يحتمل أن تكون  
الثلاثة داخله فيها كما في قوله ( وقدر فيها أقواتها في أربعة  
أيام ) أي مع اليومين اللذين خلق الأرض  
فيها فلا بد من اعتقاد هنا التأويل ليندفع ظاهر التناقض فجاء  
التقييد بال عشرة لرفع توهم التداخل  
وهذا الجواب أشار إليه الزمخشري ونقل عن الشيخ عز الدين  
بن عبد السلام ترجيحه وردده ابن أبي الإصبع بأن احتمال  
التداخل لا يظن إلا بعددين منفصلين لم يأت بهما جملة فلو  
اقتصر على التفصيل احتمل ذلك فالتقييد مانع من هذا  
الاحتمال  
وهذا أعجب منه فإن مجيء الجملة رافع لذلك الاحتمال  
الحادي عشر أن حروف السبعة والتسعة مشتبهة فأزيل  
الآشكال بقوله ( تلك عشرة كاملة ) لئلا يقرءوها تسعة فيصير  
العدد اثني عشر ونظير هذا قوله ﴿ إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ  
اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا  
فائدة في التأكيد بمائة إلا واحدا  
التأكيد بمائة إلا واحدا لإزالة إلباس التسعة والتسعين بالسبعة  
والسبعين لكن مثل هذا مأمون في القرآن لأن الله حفظه  
القسم التاسع وضع الظاهر موضع المضمرة  
لزيادة التقرير والعجب أن البيانين لم يذكره في أقسام  
الإطناب  
ومنه بيت الكتاب  
إذا الوحش ضم الوحش في ظللاتها  
سواقط من حر وقد كان أظهرها

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

ولو أتى على وجهه لقال إذا الوحش ضمها  
وإنما يسأل عن حكمته إذا وقع في الجملة الواحدة فإن كان  
في جملتين مستقلتين كالبيت سهل الأمر لكن الجملتين فيه  
كالجملة الواحدة لأن الرفع للوحش الأول فعل محذوف كما  
يقول البصريون والفعل المذكور ساد مسد الفعل المحذوف  
حتى كأنه هو ولهذا لا يجتمعان وإن قدر رفع الوحش بالابتداء  
فالكلام جملة واحدة

ويسهل عند اختلاف اللفظين كقوله

إذا المرء لم يغش الكريهة أو شكت  
حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا

فاختلاف لفظين ظاهرين أشبهما لفظي الظاهر والمضمر في  
اختلاف اللفظ وعليه قوله تعالى ( ومنهم الذين يؤذون النبي  
( ثم قال ) والذين يؤذون رسول الله ( ولم يقل يؤذونه مع ما  
في ذلك من التعظيم فالجمع بين الوصفين كقوله في الحديث  
نبيك الذي أرسلت وقوله ) ألم تعلم أن الله على كل شيء  
قدير ( الآية فإنه قد تكرر اسم الله ظاهرا في هذه الجمل  
الثلاث ولم يضم لدلالته على استقلال كل جملة منها وأنها لم  
تحصل مرتبطة ببعضها ارتباط ما يحتاج فيه إلى إضمار  
وقوله ) والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا  
أولياء الشيطان )

وفيه دلالة على أن الطاغوت هو الشيطان وحسن ذلك هنا  
تنبيه على تفسيره

وقال ابن السيد إن كان في جملتين حسن الإظهار والاضمار  
لان كل جملة تقوم بنفسها كقولك جاء زيد وزيد رجل فاضل  
وإن شئت قلت وهو رجل فاضل  
وقوله ) مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته  
(

وإن كان في جملة واحدة قبح الإظهار ولم يكذب يوجد إلا في  
الشعر كقوله

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

لأرى الموت يسبق الموت شيء  
نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

قال وإذا اقترن بالاسم الثاني حرف الاستفهام بمعنى التعظيم  
والتعجب كان المناسب الإظهار كقوله تعالى ( الحاقة ما  
الحاقة ( و ) القارعة ما القارعة ( والإضمار جائز كقوله تعالى )  
فأمه هاوية وما أدراك ما هيه )  
الخروج على خلاف الأصل وأسبابه  
واعلم أن الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة وأصل المحدث  
عنه كذلك والأصل أنه إذا ذكر ثانيا أن يذكر مضمرا للاستغناء  
عنه بالظاهر السابق كما أن الأصل في الأسماء الإعراب وفي  
الأفعال البناء وإذا جرى المضارع مجرى الاسم أعرب كقوله  
تعالى ) فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه  
ترجعون )  
وقوله تعالى ) فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب  
الظالمين )  
وقوله تعالى ) فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا  
( وللخروج على خلاف الأصل أسباب أحدها قصد التعظيم  
كقوله تعالى ) واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم )  
وقوله تعالى ) أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون  
(  
وقوله تعالى ) واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون )  
وقوله تعالى ) لكن هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ) فأعاد  
ذكر لرب لما فيه من التعظيم ولهضم للخضم  
وقوله تعالى ) الله أحد الله الصمد )  
( وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد )  
( هو الله ربي ولا أشرك بربي )  
( كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

محظورا )  
( بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا )  
( وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا )  
( وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب )  
وقوله تعالى ( الحاقة ما الحاقة ) ( القارعة ما القارعة ) كان  
القياس لولا ما أريد به من التعظيم والتفخيم الحاقة ماهي  
ومثله ( فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب  
المشأمة ما أصحاب المشأمة ) تفخيما لما ينال الفريقين من  
جزيل الثواب ورأيم العقاب الثاني قصد الإهانة والتحقير  
كقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان  
ومن يتبع خطوات الشيطان )  
وقوله تعالى ( أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان )  
وقوله ( إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان  
عدوا مبينا )  
وقوله تعالى ( وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن  
السبيل وما كيد فرعون )

وقول الشاعر  
فما للنوى لا بارك الله في النوى  
وعهد النوى عند الفراق ذميم

وسمع الأصمعي من ينشد  
فما للنوى جد النوى قطع النوى  
كذاك النوى قطاعه للقرائن  
فقال لو قيض لهذا البيت شاة لآتت عليه الثالث الاستلذاذ  
بذكره  
كقوله تعالى ( وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ) ( إن كان الحق  
الثاني هو الاول  
وقوله ) من كان يريد العزة فلله العزة جميعا )  
وقوله تعالى ( وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء ) ولم يقل منها ولهذا عدل عن ذكر  
الأرض إلى الجنة وإن كان المراد بالأرض الجنة ولله در القائل



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

كرر على السمع منى أيها الحادي  
ذكر المنازل والأطلال والنادي

وقوله

مطربي بحديث من سكن الغضى  
هجت الهوى وقدحت في حراق

كررت حديثك يا مهيج لوعتي  
إن الحديث عن الحبيب تلاق

الرابع زيادة التقدير  
كقوله تعالى ( وبالحق أنزلناه وبالحق نزل )  
وقوله ( الله الصمد ) بعد قوله ( الله أحد ) ويدل على إرادة  
التقدير سبب نزولها وهو ما نقل عن ابن عباس ان قريشا  
قالت يا محمد صف لنا ربك الذي تدعوننا إليه فنزل ( الله أحد )  
معناه أن الذي سألمتموني وصفه هو الله ثم لما أريد تقدير  
كونه الله أعيد بلفظ الظاهر دون ضميره  
وقوله ( إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا  
يشكرون ) وقوله تعالى ( ويقولون هو من عند الله وما هو من  
عند الله )  
( يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من  
الكتاب ) الخامس  
إزالة اللبس حيث يكون الضمير يوهم أنه غير المراد  
كقوله تعالى ( قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ) لو  
قال تؤتيه لأوهم أنه الأول قاله ابن الخشاب  
وقوله تعالى ( الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء  
( كسر السوء )  
لانه لو قال عليهم دائرة لالتبس بأن يكون الضمير عائدا إلى  
الله تعالى قال الوزير المغربي في تفسيره  
ونظيره ( الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا ( وتبينه الأول النطفه أو التراب والثاني الوجود في الجنين أو الطفل والثالث الذي بعد الشيخوخه وهو أرذل العمر والقوة الأولى التي تجعل للطفل التحرك والاهتداء للثدي والثانية بعد البلوغ قاله ابن الحاجب ويؤيد الغيرية التنكير

( ونحو قوله تعالى ) وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ( الآية لو قال إنه لأوهم عود الضمير إلى الفجر وقوله تعالى ) يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ( فلم يقل عنها لئلا يتحد الضميران فاعلا ومفعولا مع إن المظهر السابق لفظ النفس فهذا أبلغ من ضرب زيد نفسه وكقوله تعالى ) ثم استخرجها من وعاء أخيه ( وإنما حسن إظهار الوعاء مع أن الاصل فاستخرجها منه لتقدم ذكره لانه لو قيل ذلك لأوهم عود الضمير على الأخ فيصير كأن الأخ مباشر لطلب خروج الوعاء وليس كذلك لما في المباشر من الآدى الذي تاباه النفوس الآية فأعيد لفظ الظاهر لنفي هذا الله تبارك وتعالى الرب عز وجل وإنما لم يضمم الأخ فيقال ثم استخرجها من وعائه لأمرين

احدهما أن ضمير الفاعل في ( استخرجها ) ليوسف عليه السلام فلو قال من وعائه لتوهم أنه يوسف لأنه أقرب مذكور فأظهر لذلك

والثاني أن لأخ مذكور مضاف إليه ولم يذكر فيما تقدم مقصودا بالنسبة الإخبارية فلما احتيج إلى إعادة ما وأضيف إليه أظهره أيضا

وقوله تعالى ) يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال ( ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ( السادس

أن يكون القصد تربية المهابة وإدخال الروعة في ضمير السامع بذكر الاسم المقتضى لذلك كما يقول الخليفة لمن يأمره بأمر أمير المؤمنين يأمرك بكذا مكان أنا أمرك بكذا ومنه قوله تعالى ) الحاقة ما الحاقة ( وقوله ) إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ( ) إن الله

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

يأمر بالعدل والإحسان )  
وقوله ( وقال الذين في النار لخزنة جهنم ( ولم يقل لخزنتها  
السابع قصد تقوية داعية المأمور  
كقوله تعالى ) فإذا عزمتم فتوكل على الله إن الله يحب  
المتوكلين ( ولم يقل على وحين قال ) على الله ( لم يقل إنه  
يحب أو إني أحب تقوية لداعية المأمور بالتوكل بالتصريح باسم  
المتوكل عليه  
وقوله تعالى ) واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم )  
الثامن تعظيم الأمر  
كقوله تعالى ) أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن  
ذلك على الله يسير قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ  
الخلق )  
وقوله ( هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا  
مذكورا إنا خلقنا الإنسان ( ولم يقل خلقناه للتنبيه على عظم  
خلقه للإنسان  
وقوله ) يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا  
( وإنما أعيد لفظ ) الجبال ( والقياس الإضمار لتقدم ذكرها  
مثل ما ذكرنا في ألم السجدة في أحد القولين  
وهو قوله ) كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم  
ذوقوا عذاب النار ( وهو أن الآيتين سيقتا للتخويف والتنبيه على  
عظم الأمر بإعادة الظاهر أبلغ وأيضا فلو لم يذكر ) الجبال  
( لاحتتمل عود الضمير إلى الأرض التاسع أن يقصد التوصل  
بالظاهر إلى الوصف  
كقوله تعالى ) فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن  
بالله وكلماته ( بعد قوله في صدر الآية ) إني رسول الله إليكم  
جميعا ( ) فأمنوا بالله ورسوله ( دون فأمنوا بالله وبني ليتمكن  
من إجراء الصفات التي ذكرها من النبي الأمي الذي يؤمن بالله  
فإنه لو قال وبني لم يتمكن من ذلك لأن الضمير لا يوصف ليعلم  
أن الذي وجب الإيمان به والإتباع له هو من وصف بهذه  
الصفات كائنا من كان أنا أو غيري إظهارا للنصفة وبعدا من  
التعصب لنفسه العاشر التنبيه على علة الحكم

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

( كقوله تعالى ) فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ( وقوله ) فإن الله عدو للكافرين ( أعلمنا أنه من كان عدوا لهؤلاء فهو كافر هذا إن خيف الإلباس لعودة للمذكورين وكذا قوله ) فإن الله ( دون فإنه وكقوله تعالى ) فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء ( ولم يقل عليهم لأنه ليس في الضمير ما في قوله ) الذين ظلموا ( من ذكر الظلم المستحق به العذاب وجعل منه الزمخشري قوله تعالى ) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ( وقوله تعالى ) فلعنة الله على الكافرين ( والأصل عليهم لدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم ولبس من ذلك قوله تعالى ) إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ( فإن العلة قد تقدمت في الشرط وإنما فائدة ذلك إثاب صفة اخرى زائدة وقال الزمخشري فائدته اشتماله على المتقين والصابرين ومنه قوله ) ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ( لأنه شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان عظيم وقوله ) ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون ( والقياس أنهم لا يفلحون ولو ذكر الظاهر لقال لا يفلح المفترون او الكاذبون لكن صرح بالظلم تنبيها على أن علة عدم الفلاح الظلم وقوله ) والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين ( ولم يقل أجرهم تنبيها على أن صلاحهم علة لنجاتهم وقوله ) إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ( ولم يقل لنا لينبه على انه اهل لآن يصلى له لأنه ربه الذي خلقه وأبدعه ورباه بنعمته وكقوله تعالى ) من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ( قال الزمخشري اراد عدوا

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم  
وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما  
بال الملائكة وهم أشرف والمعنى ومن عاداهم عاداه الله  
وعاقبه اشد العقاب المهين  
وقد ادمج في هذا الكلام مذهب في تفضيل الملك على النبي  
وان لم يكن مقصودا فهو كما قيل  
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى  
إلى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل  
ومثله قول مطيع

امي الضريح الذي اسمى  
ثم استهل على الضريح

الا ترى انه لم يقل عليه لانه باك بذكر الضريح الذي من عادته  
ان يبكي عليه ويحزن لذكره الحادي عشر قصد العموم  
كقوله تعالى ( حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ) ولم يقل  
استطعمهم الإشعار بتأكيد العموم وأنهما لم يتركا أحدا من  
أهلها إلا استطعماه وأبى ومع ذلك قابلهم  
بأحسن الجزاء وفيه التنبيه على محاسن الآخلاق ودفع السيئة  
الحسنة

وقوله تعالى ( وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ) فإنه  
لو قيل إنها لأمارة لاقتضى تخصيص ذلك فاتى بالظاهر ليدل  
على أن المراد التعميم مع انه بريء من ذلك بقوله بعده ( إلا  
ما رحم ربي ) وقوله ( إن ربي غفور رحيم ) ولم يقل إنه إما  
للتعظيم وإما للاستلذاذ

وقوله تعالى ( إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق  
شيئا ) وقوله تعالى ( وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها  
( ثم قال ) فإن الإنسان كفور ) ولم يقل فانه مبالغة في اثبات  
أن هذا الجنس شأنه كفران النعم الثاني عشر قصد الخصوص  
كقوله تعالى ( وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ) ولم يقل  
لك لانه لو أتى بالضمير لأخذ جوازه لغيره كما في قوله تعالى (

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وبنات عمك ( فعدل عنه إلى الظاهر للتنبيه على الخصوصية  
وأنه ليس لغيره ذلك  
الثالث عشر مراعاة التجنيس  
ومنه ) قل أعوذ برب الناس ( السورة ذكره الشيخ عز الدين  
ابن عبد السلام رحمه الله الرابع عشر أن يتحمل ضميرا الابد  
منه  
كقوله ) أتيا أهل قرية استطعما أهلها ( الخامس عشر  
كونه أهم من الضمير  
كقوله تعالى ) أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى  
( وقال بعضهم إنما أعيد ) إحداهما ( لتعادل الكلم وتوازن  
الألفاظ في التركيب وهو المعنى في الترصيع البديعي بل هذا  
ابغ من الترصيع فإن الترصيع توازن الألفاظ من حيث صيغها  
وهذا من حيث تركيبها فكانه ترصيع معنوي وقلما يوجد إلا في  
نادر من الكلام وقد استغرب أبو الفتح ما حكى عن المتنبى  
في قوله

وقد جادت الأجفان قرحى من البكا  
وعادت بهارا في الخدود الشقائق

قال سألته هل هو قرحى أو قرحا منون فقال لي قرحا منون  
ألا ترى أن بعدها وعادت بهارا قال يعني أن بهارا جمع بهار  
وقرعى جمع قرحة ثم اطنب في الثناء على المتنبى  
واستغرب فطنته لآجل هذا  
وبيان ما ذكرت في الآية أنها متضمنة لقسمين قسم الظلال  
وقسم التذكير فأسند الفعل الثاني إلى ظاهر حيث أسند  
الأول ولم يوصل بضمير مفصول لكون الأول لازما فأتى  
بالثاني على صورته من التجرد عن المفعول ثم أتى به خبرا  
بعد اعتدال الكلام وحصول التماثل في تركيبه  
ولو قيل إن المرفوع حرف لكان أبلغ في المعنى المذكور  
ويكون الأخير بدلا أو نعتا على وجه البيان كأنه قال إن كان

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ضلال من إحداهما كان تذكير من الآخري وقدم على الاخرى  
لفظ إحداهما ليسند الفعل الثاني إلى مثل ما أسند إليه الأول  
لفظا ومعنى والله أعلم السادس عشر كون ما يصلح للعود  
ولم يسق الكلام له  
كقوله ( رسل الله الله أعلم ) وكقول الشاعر  
تبكي على زيد ولا زيد مثله  
برئ من الحمى سليم الجوانح

السابع عشر الاشارة إلى عدم دخول الجملة في حكم الأولى  
كقوله تعالى ( فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل  
( في سورة الشورى فإن ) يمحو ( استئناف وليس على  
الجواب لأن المعلق على الشرط عدم قمل وجوده وهذا صحيح  
في ) يختم على قلبك ( وليس صحيحا في ) ويمح الله الباطل  
( لأن محو الباطل ثابت فلذلك أعيد الظاهر وأما حذف الواو  
من الخط فاللفظ وأما حذفها في الوقف كقوله تعالى ) يدع  
الداع ( و ) سندع الزبانية ( فللوقف ويؤكد ذلك وقوف يعقوب  
عليها بالواو

وهذا ملخص كلام عبد العزيز في كلامه على البزدوي وفيما  
ذكره نزاع وهذا أنا لانسلم أن المعلق ها هنا بالشرط هو  
موجود قبل الشرط لأن الشرط هنا المشيئة وليس المحو ثابتا  
قبل المشيئة فإن قيل إن الشرط هنا مشيئة خاصة وهي  
مشيئة الختم وهذا وإن كان محذوفا فهو مذكور بالقوة شائع  
في كثير من الاماكن كقوله تعالى ( ولو شاء الله لجمعهم على  
الهدى ) ( ولو شاء الله ما أشركوا ) ( ولو شاء الله ما اقتتلوا  
( المعنى ولو شاء الله جمعهم لجمعهم ولو شاء الله عدم  
ايمانهم ما أشركوا ولو شاء الله عدم قتالهم ما اقتتلوا  
قيل لايكاد يثبت مفعول المشيئة إلا نادرا كما سيأتي في  
الحذف إن شاء الله تعالى وإذا ثبت هذا صح ما ادعيناه فان  
محو الله ثابت قيل مشيئة الله الختم  
فإن قلت سلمنا أن الشرط مشيئة خاصة لكنها إنما تختص

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

بقريئة الجواب  
والجواب هنا شيئان فالمعنى إن يشأ الله الختم ومحو الباطل  
يختم على قلبك ويمح الباطل وحينئذ لا يتم ما ادعاه  
وجوابه أن الشرط لا بد أن يكون غير ثابت وغير ممتنع ويمحو  
الباطل كان ثابتا فلا يصح دخوله في جواب الشرط وهذا أحسن  
جدا

بقي أن يقال إن الجواب ليس كلا من الجملتين بل مجموع  
المجموع الجملتين ومعدوم قبل وجود الشرط وإن كان  
أحدهما ثابتا الاوّل  
قد سبق أنه لا يشترط في وضع الظاهر موضع المضمّر أن  
يكون بلفظ الاوّل ليشمل مثل قوله تعالى ( إنا لا نضيع أجر من  
أحسن عملا )

وقوله تعالى ( ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا  
المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص  
برحمته من يشاء ) لأن إنزال الخير هنا سبب للربوبية وأعادة  
بلفظ الله لان تخصيص الناس بالخير دون غيرهم مناسب  
للإلهية لأن دائرة الربوبية أوسع  
ومثله ( وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء ) كما سبق

500 ومن فوائده التلذذ بذكره وتعظيم المنة بالنعمة  
ومن فوائده قصد الذم وجعل الزمخشري قوله تعالى ( يوم  
ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ) فقال المرء هو  
الكافر وهو ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم  
وقال ابن عبد السلام في قوله تعالى ( سواء عليهم  
أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا  
يهدي القوم الفاسقين ) إن الفاسقين يراد بهم المنافقون  
ويكون قد أقام الظاهر مقام المضمّر والتصريح بصفة الفسق  
سبب لهم ويجوز ان يكون المراد العموم لكل فاسق ويدخل  
فيه المنافقون دخولا اوليا وكذا سائر هذه النظائر  
وليس من هذا الباب قوله تعالى ( إن تكونوا صالحين ) أي  
في معاملة الابوين ) فإنه كان للأوابين عفورا )



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقوله تعالى ( من كان عدوا لجبريل ( إلى قوله ) فإن الله  
عدو للكافرين )  
وكذلك كل ما فيه شرط فإن الشرط أسباب ولا يكون  
الإحسان للوالدين سببا لغفران الله لكل تائب لأنه يلزم أن  
يثاب غير الفاعل بفعل غيره وهو خلاف الواقع  
وكذلك معادة بعض الكفرة لا يكون سببا لمعاداة كل كافر  
فتعين في هذه المواضع ان يكون من باب إقامة الظاهر  
مقام المضمرة ليس إلا الثاني  
قد مر أن سؤال وضع الظاهر موضع المضمرة حقه ان يكون  
في الجملة الواحدة نحو ( الحاقة ما الحاقة ) فأما إذا وقع في  
جملتين فأمره سهل وهو افصح من وقوعه في الجملة  
الواحدة لان الكلام جملتان فحسن فيها ما مالا يحسن في  
الجملة الواحدة ألا ترى الى قوله  
ارى الموت يسبق الموت شئ  
نقص الموت ذا الغنى والفقيرا

فتكرار الموت في عجز البيت أوسع من تكراره في صدره لآنا  
إذا عللنا هذا إنما نقول أعاد الظاهر موضع المضمرة لما اراد من  
تعظيم الموت وتهويل امره فإذا عللها مكرره في عجزه عللناه  
بهذا وبان الكلام جملتان  
إذا علمت هذا فمثاله في الجملتين كقوله تعالى ( واتقوا الله  
ويعلمكم الله ( وقوله ) إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها  
كانوا ظالمين )  
وقد اشكل الإظهار هاهنا والإضمار في المثل قوله ( إلى  
فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين )  
وأجيب بأنه لما كان المراد في المدائن لوط إهلاك القرى صرح  
في الموضوعين بذكر القرية التي يحل بها الهلاك كأنها اكتسبت  
الظلم معهم واستحقت الهلاك معهم إذ للبقاع تأثير في الطباع  
ولما كان المراد في قوم فرعون إهلاكهم بصفاتهم حيث كانوا

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ولم يهلك بلدهم اتى بالضمير العائد على ذواتهم من حيث هي  
من غير تعرض للمكان  
واعلم أنه متى طال الكلام حسن إيقاع الظاهر موضع المضمرة  
كيلا يبقى الذهن متشاغلا بسبب ما يعود عليه اللفظ فيفوته ما  
شرع فيه كما إذا كان ذلك في ابتداء آية اخرى كقوله تعالى (   
قل أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ) الآية  
وقوله ) وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناسي (   
وقوله ) يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس  
(

وقوله ) رجال لا تلهيهم تجارة )

القسم العاشر

تجيء اللفظة الدالة على التكثر والمبالغة بصيغ من صيغ  
المبالغة

كفعال وفعيل وفعالان فإنه أبلغ من فاعل ويجوز أن يعد هذا من  
أنواع الاختصار فإن أصله وضع لذلك فإن ضروبا ناب عن قولك  
ضارب وضارب وضارب ما جاء على فعالان  
أما فعالان فهو أبلغ من فعيل ومن قيل الرحمن أبلغ من  
الرحيم وإن كانت صيغة فعيل من جهة أن فعالان من ابنية  
المبالغة كغضبان للممتلى غضبا ولهذا لا يحوز التسمية به  
وحكاه الزجاج في تأليفه المفرد على البسملة  
وأما قول الشاعر اليمامة وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا فهو  
من كفرهم وتعنتهم كذا أجاب به الزمخشري  
ورده بعضهم بأن النعت لا يدفع وقوع إطلاقهم وغايته أنه ذكر  
السبب الحامل لهم على الإطلاق وإنما الجواب أنهم لم  
يستعملوا الرحمن المعرف بالآلف واللام وإنما استعملوه  
مضافا ومنكرا وكلامنا إنما هو في المعرف باللام  
وأجاب ابن مالك بأن الشاعر أراد لازلت ذا رحمة ولم يرد  
بالاسم المستعمل بالغلبة

ويدل على أن العرب كانت تعرف هذا الاسم قوله تعالى ( قل  
ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى )  
وأما قوله ) وما الرحمن ( فقال ابن العربي إنما جهلوا الصفة

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

دون الموصوف ولذلك لم يقولوا ومن الرحمن  
وذكر البرزأباذاني أنهم غلطوا في تفسير الرحمن حيث جعلوه  
بمعنى المتصف بالرحمة

قال وإنما معناه الملك العظيم العادل لدليل ( الملك يومئذ  
الحق للرحمن ) إذا الملك يستدعي العظمة والقدرة والرحمة  
لخلقه لا أنه يتوقف عليها ) وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن  
( وإنما يصلح السجود لمن له العظمة والقدرة  
( إني أعوذ بالرحمن ) ولا يعاذ إلا بالعظيم القادر على الحفظ  
والذب

( وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ) أي وما ينبغي للعظيم  
القادر على كل شئ المستغني عن معاونة الوالد وغيره أن  
يتخذ ولدا

( الرحمن لا يملكون منه خطابا )  
( وخشعت الأصوات للرحمن )  
( قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ) ولا يحتاج الناس  
إلى حافظ يحفظهم من ذي الرحمة والواسعة  
( إلا آتي الرحمن عبدا )  
( إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن )  
( وربنا الرحمن المستعان )  
( من خشى الرحمن بالغيب )

ولا مناسبة لمعنى الرحمة في شئ من هذه المواضع وأما  
رحيم فهو من صفات الذات كقولهم كريم  
وما ذكرناه من أن الرحمن أبلغ ذهب إليه أبو عبيد والزمخشري  
وغيرهما وحكاه ابن عساكر في التكميل والإفهام عن الأكثرين  
وفي كلام ابن جرير ما يفهم حكاية الاتفاق عليه ونصره  
السهيلي بأنه ورد على لفظ التنبيه والتنبيه تضعيف وكان البناء  
تضاعفت فيه الصفة

وقال قطرب المعنى فيهما واجد وإنما جمع بينهما في الآية  
للتوكيد

وكذلك قال ابن فورك قال وليس قول من زعم أن رحيم أبلغ  
من رحمن يجيد إذ لا فرق بينهما في المبالغة ولو قيل فعلا

# البرهان في علوم القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أشد مبالغة كان أولى ولهذا خص بالله فلا يوصف به غيره  
ولذلك قال بعض التابعين الرحمن اسم ممنوع وأراد به منع  
الخلق أن يتسموا به ولا وجه لهذا الكلام إلا التوكيد وإتباع الأول  
ما هو في معنى الثاني

وقال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر  
وعن الخطابي استشكل هذا وقال لعله أرفق كما جاء في  
الحديث إن الله رقيق يحب الرفق في الأمر كله  
وقال ابن الأنباري في الزاهر الرحيم أبلغ من الرحمن  
ورجحه ابن عساكر بوجه منها أن الرحمن جاء متقدما على  
الرحيم ولو كان أبلغ لكان متاخرا عنه لأنهم في كلامهم إنما  
يخرجون من الأدنى إلى الأعلى فيقولون فقيه عالم وشجاع  
باسل وجواد فياض ولا يعكسون هذا لفساد المعنى لأنه لو  
تقدم لأبلغ لكان الثاني داخلا تحته فلم يكن لذكره معنى  
وهذا قدر ذكره الزمخشري وأجاب عنه بأنه من باب الإرداف  
وأنه أردف الرحمن الذي يتناول جلائل النعم وأصولها بالرحيم  
ليكون كالتتمه والرديف ليتناول مارق منها ولطف  
وفيه ضعف لاسيما إذا قلنا إن الرحمن علم لصفة وهو قول  
الأعلم وابن مالك وأجاب الواحدي في البسيط بأنه لما كان  
الرحمن كالعلم إذ لا يوصف به إلا الله قدم لأن حكم الأعلام  
وغيرها من المعارف أن يبدأ بها ثم يتبع الأنكر وما كان التعريف  
انقص

قال وهذا مذهب سيويه وغيره من النحويين فجاء هذا على  
منهاج كلام العرب

وأجاب الجويني بأن الرحمن للخلق والرحيم لهم بالرزق  
والخلق قبل الرزق

ومنها أن أسماء الله تعالى إنما يقصد بها المبالغة في حقه  
والنهاية في صفاته وأكثر صفاته سبحانه جارية على فعيل  
كرحيم وقدير وعليم وحكيم وحليم وكريم ولم يأت على فعلان  
إلا قليل ولو كان فعلان أبلغ لكان صفات الباري تعالى عليه  
أكثر

قلت وجواب هذا أن ورود فعلان بصيغة التكثير كان فيعدم

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

تكرار الوصف به بخلاف فعيل فإنه لما لم يرق في الكثرة رفته  
كثُر في مجيء الوصف  
ومنها أنه إن كانت المبالغة في فعلان من جهة موافقه لفظ  
التثنية كما زعم السهيلي ففعيل من أبنية جمع الكثرة كعبيد  
وكليب ولا شك أن الجمع أكثر من التثنية وهذا أحسنها  
قال وقول قطرب إنهما بمعنى واحد فاسد لانه لو كان كذلك  
لتساويا في التقديم والتأخير وهو ممتنع  
تنبيهات الأول

نقل عن الشيخ برهان الدين الرشيدى أن صفات الله التي هي  
صيغة المبالغة كغفار ورحيم وغفور ومنان كلها مجاز إذ هي  
موضوعه للمبالغة ولا مبالغة فيها لأن المبالغة هي أن تثبت  
للشيء أكثر مما له وصفات الله متناهية في الكمال لا يمكن  
المبالغة فيها والمبالغة أيضا تكون في صفات تقبل الزيادة  
والنقصان وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك انتهى  
وذكر هذا للشيخ ابن الحسن السبكي فاستحسنه وقال إنه  
صحيح إذا قلنا إنها صفات  
فإن قلنا أعلام زال ذلك

قلت والتحقيق أن صيغ المبالغة على قسمين  
أحدهما ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل  
والثاني بحسب تعدد المفعولات  
ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة إذ الفعل الواحد قد يقع  
على جماعة متعددين

وعلى هذا التقسيم يحب تنزيل جميع أسماء الله تعالى التي  
وردت على صيغة المبالغة كالرحمن والغفور والتواب ونحوها  
ولا يبقى إشكال حينئذ لهذا قال بعض المفسرين في حكم معنى  
المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع  
وقال الزمخشري في سورة الحجرات المبالغة في التواب  
للدلالة على كثرة من

يتوب إليه من عباده أو لأنه ما من ذنب يقترفه المقترف إلا كان  
معفوا عنه بالتوبة أولا لأنه بليغ في قبول التوبة نزل صاحبها  
منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

وقد أورد بعض الفضلاء سؤالا في قوله تعالى ( والله على كل شيء قدير ) وهو أن قديرا من صيغ المبالغة يستلزم الزيادة على معنى قادر والزيادة على معنى قادر محال إذ الإتحاد من واحد لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كل فرد فرد وأجيب عنه بأن المبالغة لما لم يقدر حملها على كل فرد واجب صرفها إلى مجموع الأفراد التي دل السياق عليها والمبالغة إذن بالنسبة إلى تكثير التعلق لا بالنسبة إلى تكثير الوصف وكذلك قوله تعالى ( والله بكل شيء عليم ) يستحيل عود المبالغة إلى نفس الوصف إذ العلم بالشيء لا يصح التفاوت فيه فيجب صرف المبالغة فيه إلى المتعلق إما لعموم كل أفرادها وإما لأن يكون المراد الشيء ولواحقه ويكون من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل الثاني

سئل أبو علي الفارسي هل تدخل المبالغة في صفات الله تعالى فيقال علامة فأجاب بالمنع لأن الله تعالى ذم من نسب إليه الإنث لما فيه من النقص فلا يجوز إطلاق اللفظ المشعر بذلك

حكاه الجرجاني في شرح الإيضاح أنه لو جرد عن الألف واللام لم يصرف لزيادة الألف والنون في آخره مع العلمية أو الصفة

وأورد الزمخشري بأنه لا يمنع فعلا صفة من الصرف إلا إذا كان مؤنثه فعلى كغضبان وغضبي وما لم يكن مؤنثه فعلى ينصرف كندمان وندمانه وتبعه ابن عساكر بأن رحمن وإن لم يكن له مؤنث فعلى فليس له مؤنث فعلا لأنه اسم مختص بالله تعالى فلا مؤنث له من لفظه فإذا عدم ذلك رجع فيه إلى القياس وكل ألف ونون زائدتان فهما محمولتان على منع الصرف

قال الجويني وهذا فيه ضعف في الظاهر وإن كان حسنا في الحقيقة لأنه إذا لم يشبه غضبان ولم يشبه ندمان من جهة التأنيث فلماذا ترك صرفه مع أن الأصل الصرف بل كان ينبغي أن يقال ليس هو كغضبان فلا يكون غير منصرف ولا يصح أن يقال ليس هو كندمان فلا يكون منصرفا لأن الصرف ليس

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

بالشبه إنما هو بالآصل وعدم الصرف بالشبه ولم يوجد  
قلت والتقدير الذي نقلناه عن ابن عساكر يدفع هذا عن  
الزمخشري نعم أنكر ابن مالك على ابن الحاجب تمثيله ب  
الرحمن لزيادة الألف والنون في منع الصرف وقال لم يمثل به  
غيره ولا ينبغي التمثيل به فإنه اسم علم بالغلبة لله مختص به  
وما كان كذلك لم يجرد من آل ولم يسمع مجردا إلا في النداء  
قليلًا مثل يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة  
قال وقد أنكر على الشاطبي  
تبارك رحمانا رحيمًا وموئلا  
لأنه أراد الاسم المستعمل بالعبادة  
ولم يحضر الزمخشري هذا الجواب فذكر أنه من تعنتهم في  
كفرهم كما سبق ما جاء على فعيل  
وأما فعيل فعند النحاة أنه من صيغ المبالغة والتكرار كرحيم  
وسميع وقدير وخبير وحفيظ وحكيم وحليم وعليم فإنه محول  
عن فاعل بالنسبة وهو إنما يكون كذلك للفاعل لا للمفعول به  
بدليل قولهم قتيل وجريح والقتل لايتفاوت  
وقد يجيء في معنى الجمع كقوله تعالى ( وحسن أولئك رفيقا  
( وقوله ) والملائكة بعد ذلك ظهير ( وقوله ) وحسن أولئك  
رفيقا ( وقوله ) والملائكة بعد ذلك ظهير ( وقوله ) خلصوا نجيا  
( وغير ذلك ومن المشكل ) وما كان ربك نسيا ( فإن النفي  
متوجه على الخبر وهو صيغة مبالغة ولايلزم من نفي المبالغة  
نفي اصل الفعل فلا يلزم نفي اصل النسيان وهو كالسؤال  
الآتي في ) بظلام للعبيد )  
ويجاب عنه بما سيأتي من الاجوبه ويختص هذا بجواب آخر وهو  
مناسبة رءوس الآي قبله  
وأما فعال فنحو غفار ومنان وتواب ووهاب ( فعال لما يريد )  
علام الغيوب ( ونحو ) لكل صبار شكور ( ونحو ) نزاعة للشوى  
(  
( ومن المشكل قوله تعالى ) وما ربك بظلام للعبيد ) وتقريره  
أنه لايلزم من نفي الظلم بصيغة المبالغة نفي اصل الظلم  
والواقع نفيه قال الله تعالى ( إن الله لا يظلم الناس شيئا ) ( )

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

إن الله لا يظلم مثقال ذرة ( وقد اجيب عنه باثني عشر جوابا أحدهما أن ظلما وإن كان يراد به الكثرة لكنه جاء في مقابله العبيد وهو جمع كثرة إذا قوبل بهم الظلم كان كثيرا ويرشح هذا الجواب أنه سبحانه وتعالى قال في موضع آخر ( علام الغيوب ) فقابل صيغة فعال بالجمع وقال في موضع آخر ( عالم الغيب ) فقابل صيغة فاعل الدالة على أصل الفعل بالواحد

وهذا قريب من الجواب عن قوله تعالى ( لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ) حيث احتج به المعتزلة على تفضيل الملائكة على الأنبياء وجوابه أنه قابل عيسى بمفرده بمجموع الملائكة وليس النزاع في تفضيل الجمع على الواحد الثاني أنه نفي الظلم الكثير فينتفي القليل ضرورة لأن الذي يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم فإذا ترك الظلم الكثير مع زيادة ظلمه في حق من يجوز عليه النفع كان الظلم القليل في المنفعة أكثر

الثالث أنه على النسب واختاره ابن مالك وحكاه في شرح الكافية عن المحققين أي ذا ظلم كقوله وليس بنال أي بذي نبل أي لا ينسب إلى الظلم فيكون من بزاز وعطار الرابع أن فعلا قد جاء غير مراد به الكثرة كقوله طرفه ولست بحلال التلاع مخافة

ولكن متى يسترفد القوم أرفد لا يريد أنه يحل التلاع قليلا لأن ذلك يدفعه قوله يسترفد القوم أرفد هذا بدل على نفي الحال في كل حال لان تمام المدح لا يصل بإيراد الكثرة

الخامس أن أقل القليل لو ورد منه سبحانه وقد جل عنه لكان كثيرا لاستغنائه عنه كما يقال زله العالم كبيرة ذكره الحريري في الدرر قال وإليه أشار المخزومي في قوله

كفوفه الظفر تخفى من حقارتها  
ومثلها في سواد العين مشهور



# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

السادس أن نفي المجموع يصدق بنفي واحد ويصدق بنفي كل واحد ويعين الثاني في الآية للدليل الخارجي وهو قوله ( إن الله لا يظلم مثقال ذرة )  
السابع أنه أراد ليس بظالم ليس بظالم ليس بظالم فجعل في مقابله ذلك ( وما ربك بظلام )  
الثامن أنه جواب لمن قال ظلام والتكرار إذا ورد جوابا لكلام خاص لم يكن له مفهوم كما إذا خرج مخرج الغالب  
التاسع أنه قال بظلام لأنه قد يظن أن من يعذب غيره عذاب شديدا ظلام قبل الفحص عن جرم الذنب  
العاشر أنه لما كان صفات الله تعالى صيغة المبالغة فيها وغير المبالغة سواء في الإثبات جرى النفي على ذلك  
الحادي عشر أنه قصد التعريض بأن ثمة ظلما للعبيد من ولاة الجور  
وأما فعال بالتخفيف والتشديد نحو عجاب وكبار قال تعالى ( إن هذا لشيء عجاب ( وقال ) ومكروا مكرا كبيرا ( قال المعري في اللامع العزيزي فعيل إذا أريد به المبالغة نقل به الى فعال وإذا أريد به الزيادة شدوا فقال فعال ذلك من عجيب وعجاب وعجاب وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ( إن هذا لشيء عجاب ( بالتشديد وقالوا طويل وطوال ويقال نسب قريب وقراب وهو ابغ قال الحارث بن ظالم وكنت إذا رأيت بني لؤي  
عرفت الود والنسب القرابا  
ما جاء على فعول  
وأما فعول كغفور وشكور وودود فمنه قوله تعالى ( إن الإنسان لظلوم كفار )  
وقوله تعالى في نوح ( إنه كان عبدا شكورا )  
وقد أطربني قوله تعالى ( وقليل من عبادي الشكور ) فقلت الحمد لله الذي ما قال الشاكر  
فإن قيل قوله تعالى ( إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

( كيف غير بين الصفتين وجعل المبالغة من جانب الكفران )  
قلت هذا سأله الصاحب بن عباد للقاضي عبد الجبار بن أحمد  
المعتزلي فأجاب بأن نعم الله على عباده كثيرة وكل شكر يأتي  
في مقابلتها قليل وكل كفر يأتي في مقابلتها عظيم فجاء  
شكور بلفظ فاعل وجاء كفور فعول على وجه المبالغة فتهلّل  
وجه الصاحب ما جاء على فعل  
وأما فعل فقوله تعالى ( وإنا لجميع حاذرون )  
وقوله تعالى ( كذاب أشتر ) قرن فعلا بفعال ما جاء على فعل  
وأما فعل فيكون صفة كقوله تعالى ( أهلك ما لا لبدا ) اللبّد  
الكثير وقوله تعالى ( إنها لإحدى الكبر )  
ويكون مصدر كهدي وتقى ويكون معدولا عن أفعل من كذا  
كقوله تعالى ( وأخر متشابهات ) وقوله تعالى ( فعدة من أيام  
آخر ) كما قال ( أننكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ) ما  
جاء على فعلى  
وأما فعلى فيكون اسما كالشورى والرجعي قال الله تعالى ( إن إلى ربك الرجعى ) وقال تعالى ( وكلمة الله هي العليا )  
ويكون صفة كالحسنى في تأنيث الاحسن والسوءى في تأنيث  
الأسوأ قال تعالى ( ثم كان عاقبة الذين أسأؤوا السوأى أن  
كذبوا بآيات الله )  
قال الفارسي يحتمل السوءى تأويلين  
أحدهما أن يكون تأنيث الآسوأ والمعنى كان عاقبتهم خلة  
السوءى فتكون  
السوءى على هذا خارجة من الصلة فتنصب على الموضوع  
وموضع أن نصب فإنه مفعول له أي كان عاقبتهم الخصلة  
السوءى لتكذيبهم  
الثاني أن يكون السوءى مصدرا مثل الرجعي وعلى هذا فهي  
داخلة في الصلة ومنتصبه بأسأؤوا كقوله تعالى ( وتبتل إليه  
تبتيلا ) ويكون ( أن كذبوا ) نصبا لأنه خبر كان  
ويجوز في إعراب ( السوأى ) وجه ثالث وهو أن يكون في  
موضع رفع صفة العاقبة وتقديرها ثم كان عاقبتهم المذمومة  
التكذيب

# البرهان في علوم القرآن الإسلامية مكتبة مشكاة

والفعلى في هذا الباب وإن كانت في الاصل صفة بدليل قوله  
تعالى ( وهم بالعدوة القصوى ( وقوله تعالى ) فأراه الآية  
الكبرى ( فجرت صفة على موصوفها فإنها في كثير من الأمور  
تجري مجرى الأسماء كالأبطح والأجرع والأدهم